obeikandl.com

لقاء في الليل مع بريخت

ماتي أونت

لقاء في الليل مع بريخت

ترجمة / فريق إقرأ للترجمة
مراجعة / إكرامي فتحي
الغلاف / هانيبال – هيبو

سلسلة من كل بلد كتاب - كتاب من أستونيا
الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠١٤

وكالة سفنكس
٧ شارع معروف الدور السابع
وسط البلد – القاهرة
ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أواقتباس هذا العمل أوأي جزء منه بأي وسيلة تصويرية أوإليكترونية أوميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أوأقراص مقروءة أوأي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات دون إذن كتابي من الناشر، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية
Sphinx Agency © 2014

obeikandl.com

رواية من إستونيا

ماتي اونت

لقاء في الليل مع بريخت

ترجمة
فريق إقرأ للترجمة

وكالة سفنكس

Sphinx Agency وكالة سفنكس

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة

تعد رواية "بريخت في المساء" آخر روايات مالتى آنت وأكثرها خوضاً في السياسة؛ حيث إنه اتبع التزامن والسخرية في كتابتها. ففي أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات عندما كان الشاب مالتى آنت ينشر أولى أعماله الإبداعية حيث كان ما يعرف آنذاك بجمهورية أستونيا السوفيتية الاشتراكية، في هذا الوقت كان يستخدم السخرية وأدوات سردية أخرى ماهرة؛ ليلقى الضوء على التناقض بين الحياة اليومية في الاتحاد السوفيتى والحياة اليومية في الغرب، حيث توجد معظم الابتكارات والإبداعات الاجتماعية والثقافية. وقد امتدت أدوات آنت الساخرة إلى التناقض بين الحياة اليومية للمواطن السوفيتى والأحلام الخيالية للشيوعية.

وقد تجاوز آنت في كتابته لهذه الرواية حدود التلميح؛ حيث إن أى انتقاد علنى للنظام سوف يؤدي إلى سقوطه في أحد معسكرات العمل التابعة للمعتقلات السوفيتية.

وقد كانت "السخرية" دائما جزءًا لا يتجزأ من كتابات مالتي آنت ضمن غيرها من الحيل الأدبية، لكنه الآن يقدم شيئاً جديداً، ألا وهو "التزامن" الذي ينطوى هنا في "بريخت في المساء" ليصور عاما واحدا (١٩٤٠) في حياة الكاتب المسرحى الألمانى برتولت بريخت، تزامنًا مع الأحداث التي تجرى في الوقت نفسه بأوروبا كلها ومنطقة بحر البلطيق على وجه التحديد.

ويركز الكاتب على الحرب العالمية الثانية ومعاهدة السلام قصيرة المدى بين ألمانيا النازية وروسيا الاتحادية (المعروفة باسم ميثاق مولتوف ريبنتروب)، التي كان من نتائجه: الاحتلال العسكرى لدول البلطيق الثلاث – أستونيا ولاتفيا وليتوانا – من قِبل القوة العظمى الثانية.

وبينما يعالج بريخت المشاكل الأدبية العقلية والمسرحية لتأثير الاغتراب والجدل، يكتب مسرحياته ليواسى نفسه في منفاه بالعاصمة الفنلندية هلنسكى، حيث تحيط به النساء التي يختارهن، بينما يكافح الشعب الأستونى؛ من أجل البقاء إزاء ما تقوم القوات الاتحادية من احتلاله ببطء، وقد قامت روسيا بضمها فعلاً.

خلال الحقبة السوفيتية، منذ ١٩٦٠ عندما قام مالتى آنت بنشر أولى أعماله الإبداعية حتى أواخر الثمانينيات – لم يتجاوز آنت الحدود فيما يتعلق بما هو مسموح به سياسياً من جانب القوى السوفيتية، التي ظلت تراقب الأمور الثقافية في أستونيا.

لكن عندما لوحظ وجود تغيير قام بإنتاج روايتين بارزتين في عام واحد: "أشياء في المساء" و"يوميات متبرع بالدم". وقد تضمنت هاتان الروايتان إشارات إلى الوطنية الأستونية وازدراء الواقع السوفيتى، واستخدام ما يمكن تسميته بتقنيات ما بعد الحداثة، لكن خلت من انتقاد مباشر للحكم السوفيتى حتى لو كان ضمنياً.

وبحلول منتصف التسعينيات، بعد إعادة استقلال أستونيا بعدة سنوات، عمل آنت على فك ألغاز بعض الأساطير حول "العمال" للكاتب برتولت بريخت، الذى لم تعرض أعماله خلال سنوات كتاباته وإصداراته وإخراجه للروايات المسرحية للمسرح الأستونى.

في حين يبدو إعجاب آنت ببعض جوانب بريخت، وخاصة تقنيات العرض المسرحى – دائما ما يشعر القارئ بأنه مكترث بشيء. فدائما ما يقدم آنت "الجدل" بطريقة متعمدة؛ من خلال مقارنة أساليب ستانيسلافسكى بالاتجاه المتحفظ للانسلاب الذي كان بريخت واحدًا من دعاته. ويمكن رؤية هذا النوع من الدراما غير الواقعية في صورتها الأولية من خلال مسرحيات مايترلينك على سبيل المثال،

كما يمكن تصويرها في الآونة الأخيرة في أفلام إنجمار برجمان ولويس بانويل وهانز جورجن وأندريه تاركوفسكى وآخرين بما في ذلك مسرحيات ويتولد جومبروواينز وإصدارات تادوس كانتور.

قد كانت حياة بريخت مليئة بالتناقضات، وأول تناقض يتناوله آنت هو أن كثيراً ما يتم تقديم بريخت بوصفه واحدًا من أبطال الطبقة العاملة، بينما هو الكاتب الذى حاول إعطاء بعض القراء نظرة ثاقبة على حياة الطبقة الكادحة المتناقضة. وفوق ذلك، كان تعامله الخاص مع الطبقة العاملة قليلاً في حياته. فقد كان نجل المدير العام لمصنع الورق، ومن خريجى الجامعات في مجال العلوم والطب. وكان أيضا من الطبقة البرجوازية العليا.

لمع بريخت في مجاله؛ مجال المسرح في العشرينيات، وبلغ ذروته في أوبرا الثرى بنى عام ١٩٢٨، التي تعد واحدة من أعظم نجاحات بريخت خلال حياته. وقد بلغت مسيرته ذروتها في ألمانيا. لكن بدأت متاعبه في الظهور فقط عندما جاء هتلر إلى السلطة؛ ومن ثم أصبحت حياة بريخت بألمانيا في خطر داهم؛ لأنه كان من أصل يهودى وينحاز للماركسية.

وسرعان ما عرض هتلر مسرحيته الخاصة "حريق الرايخستاغ" عقب وصوله للحكم في ١٩٣٣؛ لذا اشتعلت الأمور بالنسبة لبرتولت بريخت؛ ليبدأ السنوات التي قضاها

في المنفى: براغ وفرنسا وأمستردام والدنمارك، وكذلك منفى ستوكهولم.

ومن هنا استلهم ماتى آنت موضوع الرواية: عندما كان يمر بالعَبّارة الليلية من ستوكهولم إلى ميناء أبو توركو في غرب فنلندا. نحن الآن عام ١٩٤٠، حيث بدأت الحرب العالمية الثانية، حرب الشتاء التي خاضتها الفنلندنون ضد الروس. وبدأ اعتبار فنلندا دولة صديقة لأستونيا؛ حيث تتشابه لغتهم وثقافتهم.

تجرى هذه الأحداث شبه الخيالية لهذه الرواية في عام واحد من هذه الفترة الزمنية. ويُصوَّر بريخت كأنه في عالمه الخاص، يعتمد تناوله للجدل في فلسفة بوذية، فضلاً عن الفلسفة الماركسية في العمل. ومع ذلك، فإنه داهية بالقدر الكافى للوقوف أمام هتلر، الذى كان يتصور أنه يطارده في الخفاء.

تمتلئ الرواية بالتهكم والسخرية. على سبيل المثال، لم تكن الدولة التي يريد بريخت الفرار إليها من النازية الاتحاد السوفيتى، بل كانت منبع الرأسمالية، ألا وهي الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت الدولة التي يود بريخت الإبحار منها مباشرة إلى أمريكا هى فنلندا، التي يعدها بريخت دولة فاشية بشكل غير عادى؛ حيث إنها حليفة لألمانيا النازية. فعلى مدار أحداث الرواية، نجد أن بريخت يقوم بتبرير كل ما يفعله لنفسه بشكل مستقل تماماً، ويقوم آنت بالاعتراف

في أولى صفحات الكتاب أنه قد قام بالمبالغة في بعض الجوانب التي عرضها لبريخت فوق ذلك.

هرب بريخت من ألمانيا النازية مع زوجته وعشيقته وأطفاله، وقد قامت هيلا الأستونية المولد بتمويله مالياً في أثناء وجوده بفنلندا. الآن تبلغ هيلا حوالي ستين عاماً، وهى ممتلئة الجسم مثل صديقاتها الاشتراكيات. لكن هذه السيدة مثل بريخت ليست من طبقة الكادحين. فهى تمتلك منزلا كبيرا خارج هلنسكى، وكذلك عضو قيادي في الحركة التعاونية الفنلندية، الأنتو. يراها بريخت امرأه متحضرة؛ لأنها تتحدث الألمانية بطلاقة؛ مما يعني أنها لا تنتمى إلى طبقات المجتمع الدنيا.

بالإضافة إلى ذلك لا يستطيع بريخت التعايش مع الواقع السياسى الفنلندى. فبينما تعوله وترعاه ووليجوكى السيدة الغنية الموالية للاشتراكية، يدعو هو الرجل الفنلندى الدموى الاشتراكى الذى كان وزير خارجية فنلندا خلال حرب الشتاء ضد الاتحاد السوفيتي "فاشى" وأيضا صديق لووليجوكى، يدعوه بشكل عديم اللباقة. وعلى الرغم من كل النظريات الجدلية في الرواية فإن ذلك لا يخدم بريخت عندما يقوم بتفسير أمثلة حقيقة من الفكر الجدلي.

أيضا استخدم التهكم المأساوى عدة مرات في الرواية. فعلى سبيل المثال، انتهى المطاف بالكثير من الشيوعيين الأجانب، الذين فروا إلى الاتحاد السوفيتى هرباً من النازية بإرسالهم إلى معسكرات العمل، أو إعدامهم عن طريق

آلات التعذيب المميتة، التي يستخدمها ستالين الشبيه بهتلر، وقد كانت صديقة بريخت المحبة لديه واحدة منهم.

يتخلل الرواية ضمن مشاهد برولت بريخت مشاهد غالبا ما تتضمن اعتبارات دنيوية وأوصافا هزلية؛ لتصف الأحداث التي تقع في الوقت نفسه في بقية أوروبا، ولاسيما الحرب بين ألمانيا تحت حكم هتلر والاتحاد السوفيتى تحت حكم ستالين، حيث تتناقض الحلول الميكافيلية المقدمة للجانبين لتخفيف الحدة بينهما مع مخاوف بريخت اليومية. ولاتتجاهل الرواية تقديم الأحداث والشخصيات الدولية الأخرى في مجالات الفن، حيث ذُكر الكاتب ليون فيوتشواجن وكلاوس مان عدة مرات داخل الأحداث.

تتناول أحداث الرواية احتلال دول البلطيق، وتعالج أيضا مصائر العديد من السياسيين، فهى تعرض شخصيات عالمية شهيرة مثل تشرشل ومولوتوف، أيضا يمكننا قراءة الكثير عن بعض السياسيين الأستونيين في ذلك الوقت، وعن تفاؤلهم ومخاوفهم بشأن ما إذا كانت أستونيا ستبقى دولة ذات سيادة أم لا؛ خاصة بعد وقوعها وضمها تحت الحكم السوفيتى.

أيضا تناولت الرواية أوتوفيل كوسينيين (١٩٦٤/١٨٨١) القائد الفنلندى ذا المكانة المشبوهة، الذي سيكون رئيس المحكمة الشبيه بالدمية التي يحركها السوفيت. وعلى الرغم من أن الاشتراكيين الفنلنديين رفضوا في نهاية المطاف هذه الحكومة، وفرّ كوسينيين إلى روسيا فقد ظل ستالين أكثر

نجاحاً في بلدان البلطيق الأخرى؛ الأمر الذى دفع آنت إلى ذكره على مدار أحداث الرواية.

ومن ثمة، وعلى جانب آخر من الرواية نجد موقف بريخت الغامض تجاه الزخرفة الصينية. فعلى الرغم من أن بريخت كان يكره البدع البرجوازية، مثل جمع الزخارف الصينية الصغيرة – فإنه علق في كتابه غير المكتمل "مى تى بوخ دير ويناجن"، وانتقد السياسيين الأوروبيين في الشمال واليمين على حد سواء. وتشبه هذه التعليقات والانتقادات تلك التي كتبها الفلاسفة الصينيون منذ قرون. فقد تم تغيير جميع أسماء السياسيين إلى مقاطع صينية أحادية أو ثنائية، مثل "صا" لـ (روزا لوكسمبررج)، ونى أون (ستالين)، وقد قام ماتى آنت باتباع ذلك النهج، ومنح هتلر اسمًا صينيًا.

تتضمن الرواية أيضا أساليب غريبة، منها استخدام بريخت لأشخاص صينيين للقيام بالأحداث العامة في الرواية. فإذا انزلق شخص ألمانى فوق قشرة موز فهذا شيء عادى بالنسبة للألمانى، أما إذا حدث ذلك مع شخص صينى يؤخذ الحدث بأبعاد أخرى مفاجأة، يستفيد منها آنت استفادة كاملة بالنسبة للأساليب التي يستخدمها بريخت.

في غضون بضع صفحات، يجد القارئ النهج "الجدلي" الذى يستخدمه بريخت تجاه حاشيته من النساء، كما يجد وصف العسكرية السوفيتية لدول البلطيق وفرنسا التي قهرها هتلر. ويقوم آنت بتوظيف أساليب بريخت الخاصة

الغربية، وكذلك نظرته الجدلية تجاه العالم – عبر إلقاء الضوء على العديد من تناقضات الحياة ومفارقاتها التاريخية، مثل ميثاق مولتوف ريبنتروب، عندما وقع كل من الاتحاد السوفيتى وألمانيا معاهدة سيئة النية؛ على أمل إعادة تسليح أنفسهم بالقدر الكافي قبل حدوث المواجهة.

في نهاية الفصل الرابع من الرواية، يتخلى آنت عن دور الراوي؛ ليصف باختصار كيف كان هو وزوجته في موقف مواز لموقف بريخت عام ١٩٩١، عندما اشتعلت الثورة في روسيا وسط يلتسن في المقدمة، بينما كان آنت وزوجته في زيارة لفنلندا، كأنما يعيد التاريخ نفسه.

في نهاية الرواية هل يمكننا تغيير اسمها مرة أخرى؟ أو هل يمكننا الإصرار على تجنب ذلك المصطلح مثل (سيبالد). يقدم آنت جدلا حادا بين قصائد بريخت (الموجودة بالفعل) والوثائق (الموجودة أيضا) التي تعرض الخطوات التي اتخذها الاتحاد السوفيتى لقهر دول البلطيق ذات السيادة حتى الآن والسيطرة عليه.

نرى نفور بريخت نفسه من الصراع الذى يجرى حوله (من أجل فنلندا)، بينما على جانب آخر ولد ووليجوكى في بلدة على بعد ثمانين كيلومتر من خليج فنلندا، وقد تم الاستيلاء عليها عن طريق سلسلة من المناورات الماكرة من قِبل أندريه السياسى السوفيتى، حيث قام بدورين أساسيين لهما علاقة "ببريخت في المساء": أحدهما دوره بوصفه واضعًا لنظريات الفنون (الواقعية الاشتراكية: مهندسى

النفس البشرية)، والآخر مفوض لدول البلطيق وفنلندا (النظريات الجديدة للأمبراطورية السوفيتية). وهنا يعرض بريخيت "البروتوكول السري لميثاق مولتوف - ريبنتروب" الذى قام هتلر وستالين من خلاله بتقسيم أوروبا إلى منطقتين ذاتي نفوذ ـ جنباً إلى جنب مع القصيدة التي كتبها بعنوان "المغتربون"،وهى عبارة عن عبارات موجزة لقهر القوات السوفيتية تنتهى بقصيدة "قناع البشر"، وهكذا يطلق على ذهدانوف "مدير مسرح" الأحداث في دول البلطيق.

أيضا في هذا الفصل نجد فقرة من تسعة أسطر، تمثل النقيض الواضح للقصائد التي ضمها بريخت للرواية؛ مما يؤدى إلى التوليف الجدلي الذى يريد بريخت الحصول عليه: وهي وصف تفصيلي لما حدث للأعضاء حتى عام ١٩٤٠، حيث حكومة أستونيا المستقلة ذات السيادة.

يتناول هذا الفصل الصغير "أين اختفوا؟"، المحرر بطريقة تحليلة - النائب السابق لرئيس فرع الاستخبارات الأستوانية، فلاديمير بوول، علمًا بأنه إذا كانت أن ابلبام على معرفة بذلك التاريخ الخاص بمعسكرات العمل السوفيتى فمن المحتمل أنه سيتم النفع، لكن انتهى المطاف بالكثير من مشرعى القوانين ومسؤلي الحكومة الأستوانية ووزرائها إلى معسكرات العمل في سيبيريا عام ١٩٤٠، أو موت كثيرين رمياً بالرصاص. وقد نشرت هذه المقالة لأول مرة في صحف أستونيا الحرة عقب الاستقلال عام ١٩٩١.

ومن ثم ظهرت محاولة موظف الاستخبارات الأستوانية السابق القيام بالتعويضات والترضيات بطريقته الخاصة.

يعد الفصل المتحدث عن تعاملات الرئيس السابق لديوان الأمين العام لأستوانيا المستقلة يوهان لايدونر مثالا سيئًا للسادية الاستفزازية المجردة، التي تعامل بها ستالين وأتباعه السياسيون مع كبار الشخصيات السابقين؛ مما أصبح الآن حالات تابعة، فهذا الفصل يفيد القارئ بالتأكيد ليرى كل ما يعرضه بريخت من سخرية لاعقلانية، وكذلك يلمس ذلك التأثير الغريب الناتج عن الشعر.

هناك قسم آخر في أستونيا يصف كيف انضم إلى الحكومة المنساقة تماماً من قبل زهدانوف – العديد من الشخصيات الثقافية الذين كانوا نقاد أدب وشعراء منحازين للغرب خلال الثلاثينيات، مثل جوهانز سمبر، الذى عرض أعمال أندريه جايد في أستونيا، وكان رئيس نادى القلم الأستونى، وجوهانز فاريس بابارس الذى أصبح رئيس وزراء منساقًا عندما احتل الاتحاد السوفيتى أستونيا للمرة الثانية عام ١٩٤٤، وانتحر في ظروف غامضة عام ١٩٤٦. لذا يمكننا القول بأن الرواية بها تزامن تاريخي إلى حد ما.

في نهاية الرواية نجد بريخت يكتب مسرحية "السيد بانتيلا والرجل الخاص به ماتى" المستوحاة من نصوص فنلندية مختلفة، حيث يجمع عش الغراب مع عائلته. ثم يقوم آنت ـ في نص متداخل ـ بإعادة خلق فصل من

الملحمة الفنلندية "الأخوة السبعة" للشاعر المجنون أليكيس كيفى، وفي هذا الفصل يتنافس الفنلنديون والأستوانيون والألمان على وصف أكثر الشعراء جنوناً. ويروى آبو – وهو أحد الأخوة السبعة – القصة لبريخت؛ حتى يدمج الحلقات بطريقة حمقاء في فصل يقوم فيه بريخت والأخوة السبعة بمحاربة الأسود.

يعد النص بأكمله تهكميًا مقارنةً وتبايناً مع الدراما الأصلية في أوروبا، التي تتماشى مع طريقة بريخت لاستحضار الأوهام؛ استناداً في الواقع على أعمال الآخرين (اليكيس كيفى) وأساطير الأمم الفنلندية. وهى أيضا تظهر بريخت في صورة سيئة نوعاً ما. ففي الإصدار الأصلى للأخوة السبعة يحاط الأشقاء السبعة بقطيع من الثيران العدائية، التي يتم قتلها ويحول بريخت هذه الثيران إلى أسود، ويضع نفسه في مكان الصدارة.

في النهاية تتخذ الرواية لهجة عدائية من جديد. ويترك آنت السؤال دون إجابة: هل كان بريخت لديه بُعد نظر فيما يتعلق بالحياة في فنلندا، البلد التي تحيط بها فيما يتعلق بالحياة في أستوانيا، بلد هيلا ووليجوكى، أم كان مشغولاً جداً بالجدل المسرحى الذى كان يعرضه؟ نهاية الرواية هى نبذة موجزة عن مصير بريخت ونسائه.

إريك ديكنز، ٢٠٠٩

الجزء الأول

obeikandl.com

obeikandl.com

لقد وصل سنة ١٩٤٠
برتولت بريخت على متن سفينة المساء.

ـ خواطر بريخت ـ

يمكن اعتبار هذا الاسم رمزاً للكاتب الألمانى الشهير المُتمرس بالمسرحيات، لكن استخدامه أساساً لاختصار الاسم. ولأن هذا العمل مُدعم بالوثائق (في فيوجي أوهايكارا على سبيل المثال)، فإنى أصر بجراءة على استخدام الاسم. وعلى الرغم من أننى قد حصلت على جميع المعلومات الواردة في هذه الرواية من عدة مصادر مختلفة، فإننى أعفي نفسي من مسؤلية كتابة ما يمكن أن يُسمى "رواية وثائقية". وعندما أُبالغ في الأحداث داخل الرواية فأنا أعتمد هذا؛ فنحن جميعاً نعلم أن الأشخاص المشهورين ليس لديهم الحق في الحصول على سيرة ذاتية حقيقية. فعلى سبيل المثال إذا نظرنا إلى هاملت من يهتم الآن بسيرته الذاتية.

عندما لاحظ سقوط ظلام الليل على البحر بالخارج كان يرى ذلك من خلال الكوة المليئة بالضباب في جوانب

السفينة، بينما هو يتحرك على سطح السفينة لسبب أو لآخر.

وقد استغرقت الرحلة طوال النهار والليل أى يوما كاملا، على متن السفينة لا يوجد أى مكان آخر يمكن أن تذهب إليه إذا رغبت في مغادرة حجرتك.

بالطبع لا يفكر بريخت جدياً الآن في تلك العلاقة التنافرية بين سطح السفينة والمقصورة.

هناك قطع من الجليد على جميع الجوانب، تُعد بداية للربط بين الأحداث والسماء. يتأمل بريخت الأفق إذا جاز لنا تسميته بذلك؛ لأنه لا يوجد شيء آخر على متن السفينة يمكن أن يتأمل فيه. فقد تعودت عيناه على رؤية الغسق، وأمسى ليلته ضعيف الرؤية، لا يرى ليلاً، إلى أن ينتهى من رؤية ذلك العدد من الأضواء الخافقة غير الساطعة؛ لذلك لا تُعد هذه الأضواء منارات. فإن لم تكن لامعة، فلابد من وجود شيء لامع في عيون بريخت. فبطبيعة الحال يجب أن تكون المنائر اثنتين في العدد. لكن على الفور ترك بريخت الأفكار الجدلية جانباً؛ فهو يستطيع إدراك ضوئين خافتين بصعوبة، لكنها ليست أضواء المنائر؛ لأنها لا تلمع. فمن هنا بدأ يترك تلك الأفكار الجدلية لتتعاقب مع أمواج البحر. يحاول بريخت الحد من التفكير الجدلى، وهذا ما قرره؛ لأنه عندما ينظر إلى البحر يرى ضوئين متجاورين، وعندما يذهب ليراهما لا يجد منائر على الإطلاق، اثنتين كانتا أو حتى ثلاثة.

ربما تكون سفنًا حربية ألمانيا؟

أصبح بريخت متأكدًا الآن أنه مُساق، ليس فقط من قبل أي شخص، لكن من قبل "ما يُدعى".

كما جرت العادة، يستخدم بريخت هنا بعض الأسماء الشامخة أو الساخرة ليطلقها على الديكتاتور العظيم.

فأعمال "ما يُدعى" غالباً ما تكون مفهومه. فلماذا يجب علينا إرسال سفينة تتبع؟ فهذه المياه عادة ما تكون مياهًا مُحايدة، وذلك يمكِّنه من فعل ما يريد، والسويد أيضا تتدعى أنها دولة محايدة- فلماذا إذًا يكون التعامل مع مياهها هكذا؟

فإذا ما تم اعتقالي في خليج بوثينا، سيكون ذلك إشارة واضحة إلى أن "ما يُدعى" لن يسمح بأى ثرثرة أكثر من ذلك أو زائدة عن الحاجة أياً كان المتحث بها.

آه، نعم لا تعد أى أرض إسكندنافية في مأمن من أى ناحية.

النازيون أيضا مشغولون بتسلل جنودهم في كل مكان كما هو حال فنلندا.

مما لا شك فيه، من ناحية أخرى يبدو أنه لسبب ما تم الاحتفاظ ببعض قيم الحضارة في هذا الجزء من العالم. ربما يكون السبب أن كل شيء هناك في الشمال يحدث ببطء

شديد. فكل أفعال الشمال والجنوب متناقضة؟ لكن يبقى الوسط فما علاقته بكل من الجزئين، العلوي والسفلي؟

فكما نرى نجد بُعدًا آخر للفكر الجدلي هنا، أى حلما آخر من الازدواجية أو الثنائية القطبية، وهذا لا يمكن أن يمر مرور الكرام من قبل بريخت؛ فقد وجد نفسه يبتسم بمكر.

ظل بريخت ينظر إلى الضوئين حتى بدأت عيناه تذرفان الدمع، وفي ذلك الحين بدأت الأضواء تتلاشى؛ ربما لأنها ليست أضواء السفن، أو ربما تم إطفاؤها فلا يمكن تحديد مصدرها من خلال المشاهدة، فإذا ظهرت فإنها تظهر من خلف القواطع، أو تومض مثل الأسلحة الرشاشة.

انظر! ظهر السفينة مبتل وزلق ومغسول بالماء، وها هى الرغوة فوق الدرابزين. لكنها يالللعجب – هناك شخص آخر أيضاً! وهناك شخصان من إسكندنافية يقفان بجانب بريخت. فهما شخصان حقيقيان ينتميان للعالم السفلي؛ لذا يلتزمان الصمت، ويبصقان من وقت لآخر في الماء. فقد شغل سهل التندرا عقليتهما، وغرست العواطف الثلجية القوية في نفوسهما احتقار الأعراف والتقاليد والمواثيق. فهما انطوائيان. لا يبصقان في البحر فقط، بل إنهما فجأة سيقومان بالبصق على كل شيء؟ هل سيبصقان على "ما يدعى" أيضا؟ فهذه هى اللامبالاة التي لا تبشر بالخير، بل بالجهل الذي يتسابق الهنود الأوروبيون من أجل زرع بذوره في كل مكان. لكن لماذا الهنود الأوروبيون؟ بريخت نفسه لا

يفهم لماذا؟ لكن هذا ما قرره أصدقاء "ما يدعى" المقربون له. ويعتقد بريخت أيضا أنه سيتم تصنيف الفنلنديين جنسًا شماليًا، فإنهم يدعون فنلنديين، وهذا مصطلح الجرثومية كما يطلق عليه البعض. فلدينا الآن الفنلنديون والصوماليون، أي ازدواجية أخرى، فكل شيء لديه اسمان، وعليك اعتياد ذلك.

لقد منح بصق الفنلنديين في الماء بريخت رغبة لا تقاوم في كتابة قصيدة شعرية، وقد خطر بباله هذا البيت من الشعر:-

آخر من أبناء بلدى، إلى فنلندا حيث ينتهى بي الأمر.

لكني لم أصل حتى الآن، فعليَّ اغتنام ما أملك حتى أستعد للبصق على كتفي لجلب الحظ السعيد، حيث إننى لا أعرف أين تقع فنلندا. في الوقت الحاضر أصبح الظلام دامسًا، ومن المستحيل رؤية أى شيء يشبه الأفق، فالآن قد اختفى تماماً ونهائياً، وقد تساوى كل شيء في هذا الظلام الحالك. ربما كانت ألمانيا جزءًا من إسكندنافية، لكني متأكد الآن أننا نقترب من الدائرة القطبية، وهذا في الحقيقة أكثر من اللازم. فبدون "ما يدعى" ما كان ذلك ليحدث أبداً، السفر إلى وسط القطب الشمالي إلى فنلندا؟ فالعنف والحرب وبالطبع تداعيات التجارة هي فقط التي جلبت بريخت إلى "هنا".

وهنا! يأتي رجل مترنح.

يعتقد بريخت أنه ربان السفينة، أو ربما يكون بحارًا. فحتى في أقصى الشمال البحارون بشر، ويمكنك التحدث معهم.

ويسأل بريخت: "ماذا يعرض مقياس الحرارة؟"

وبالطبع يسأل ذلك باللغة الألمانية التى يسأل بها "ما يدعى" عن أشياء، كما كان ووتان وجوثيه يسألان من قبل. لكن هل فهم هذا الرجل الفنلندى؟ لكنه توقف على أية حال. إنه يفكر في شيء – القرصان إسكندنافي – المغرب – الأريه – ولا يرد، لكن تتحرك شفتاه، كما لو كان يعد شيئاً. ينتظر بريخت؛ إنه لاجئ منبوذ في وضع لا يُمكنه الفرار، فكل ما يجب عليه أن يكرس نفسه له. ويتوقف ذلك الرجل كالح اللون عن مناجاة نفسه ويرد:

"درجة الصفر تماماً"

ويُجيب باللغة الألمانية أيضاً؛ الأمر الذى يقلق بريخت، لكن الرد باللغة الفنلندية سيكون أسوأ. فما أكثر ما يمكنه أن يسأل عنه؟ إنه بمجرد طرحك لسؤال واحد، تصبح متلهفا على معرفة إجابة السؤال التالي، اسأل عن الوقت، اسأل عن الوقت المتأخر وليس الوقت نفسه، فالبحر كله ظلمة من حولنا، وبريخت ليس ذلك المبتزل، لكن الليل يقترب، وهذا بالطبع يخدم اللاجئين.

بدأ في سؤال: "كيف تسير الأمور خلاف ذلك؟" لأنه يعرف أن عامة الشعب يحبون ذلك السؤال.

يقول بربري الشمال – غير مرتجل – "حسناً" ويمشى بتمايل؛ نظراً لارتفاع درجة الحرارة.

ولايزال بريخت يفكر في درجة الحرارة، الصفر، فالصفر ليس رقماً مرتفعاً، لكن الطقس في الحقيقة قاس وبارد جداً. وقد انتظر بريخت فصل الشتاء كله للوصول إلى ذلك الصفر. فالصفر هو تمام الحدود بين البرودة والحرارة. على الأقل هذا ما يتم تداوله في عالم وحدات قياس درجات الحرارة.

وقد اخترع أندرس سلزيوس (١٧٤٤-١٧٠١) مقياس درجة الحرارة، الذى يتم استخدامه على نطاق واسع في جميع أنحاء أوربا؛ ليصبح مقياس ريومور ذو الثمانين درجة قليل الاستخدام للغاية. ولايزال مقياس فهرينهايت يستخدم في الولايات المتحدة؛ لأن معياره يختلف تماماً عن معيار سلزيوس. حيث يجد الأوروبيون صعوبة في التعود على حقيقة أن الماء يتجمد عند ٣٢ ° درجة فهرينهايت. ويتسألون لماذا لا يتجمد الماء عند درجة الصفر كما يقول سلزيوس، لكننا لا نستطيع أن نفرض على الأمريكان أى مقياس يستخدمونه، علاوة على ذلك لم يكن فهرينهايت أمريكى الجنسية، فإنه ألمانى مثل بريخت.

لم يكن رقم الصفر هذا رقماً عادياً أو هباء، فقد كان لبريخت صديق ماركسي يُدعى الأستاذ ك، يزعم أن الصفر هو علاقة النقطة التي يتجمد عندها الماء، وكذلك يصبح الثلج عندها سائلاً. أى أنها النقطة التى يتحول عندها

الشيء إلى آخر، حيث يحدث التغير النوعي حقاً، فهذا التغير يحدث فجأة فقط على مقياس ميزان الحرارة. وحيث لاحظ بريخت أن دلو الماء لا يصبح فجأة جليداً عند درجة الصفر. فإنه يتحول فقط عندما تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون سالب ثلاثة، حيث يتجمد السطح أولاً، ثم يعلم الله في كم ساعة من الوقت اللاحق من اليوم الحالي أو التالي يتجمد باقى الدلو. وبعض الأحيان، يتجمد الماء حتى قاع الدلو، وعندما يميل الطقس إلى الدفء، وترتفع درجة الحرارة ولو درجة واحدة فوق الصفر على سبيل المثال فلا تتغير الأمور على الفور، ومهما كانت حالة التجميد لا تذوب المياه في الحال، فعلى الرغم من الوصول للحد الفاصل بين التجمد والذوبان فما زالت هناك الحاجة إلى متسع من الوقت، حيث يمكن أن تذوب طبقة السطح في اليوم التالى.

إن الانتقال النوعي المفاجئ له عوامل خاصة به تفوق أداءه، كما اكتشف بريخت، لكنه ليس مقتنعاً بهذه الصياغة؛ حيث إن لديها نفحة من قدر توتونى، الشيء الذى يشعر به بريخت على الأصح خارج الوضع، وسط الضباب بالقرب من القطب الشمالي. كل ما يفكر فيه بريخت بإصرار وهو يمشي بجانب السفينة الآخر.

"لقد جئت إلى هنا وأنا أحاول الهروب من الجدل عن طريق المماطلة!". فهناك جانبان للسفينة يمكنك الاختيار بينهما، وعندما ترى جانباً تذهب إلى الجانب الآخر.

وفلسفياً هناك خياران أيضاً: إما الذهاب إلى منحنى السفينة أو مؤخرتها، فهذا محور يساري يميني. لذلك يذهب بريخت إلى الجانب الآخر، أبعد من البنية الفوقية، ماشياً على محاذاة سطح السفينة الزلق. فماذا يرى بعد هذه الرحلة الصغيرة الشاقة؟

يرى هناك أضواء نيران تحترق قريباً إلى حد ما، ويرى أيضا أنها قريبة جداً من البر. فهذا البر أو الجزيرة كانت على الجانب الآخر حيث كان بريخت يحدق في الفراغ إلى اللاشيء؛ مما دفعه للبدء في التفكير. والآن ومع ذلك فقد وصلنا للشاطئ. ويستحضر بريخت مقولة الفيلسوف مودى: "عندما تنظر إلى سطح الماء تتناسى البر".

يطلق على هذه المدينة الساحلية اسم "أبو". كما تعرف أيضا باسم آخر. فقد قيل لبريخت إن فنلندا بلد ثنائى اللغة، تنفرد بأسلوبها الخاص. واسم المدينة الآخر في الواقع هو "توركو"، لكن لا ينبغى أن نتوقع أن بريخت سيتذكر هذا الاسم أيضاً.

لا يستطيع بريخت إشعال السيجار بسبب الريح والظلام، ومع ذلك فهو يريد أن يصل إلى "أبو" بالسيجار بين أسنانه، فهذا السيجار العطري يحمل علامة شركته التجارية، فعندما كان صغيراً كان باستطاعته أن يهز الكون، لكنه الآن كبير السن...

لقد توقف كل ما يدور بذهن بريخت الآن، حيث إن الفنلنديين بدأوا في التحدث معا.

فمن المروع أن يسمع شخص لاجئ هذه اللغة الغريبة على سطح السفينة، في الظلام بين الطين والثلج، وفي درجة حرارة صفر قبالة "أبو".

فجأة ينطق أحد الفنلنديين بكلمة تعني (*الطقس*) مراراً وتكراراً. ويرد الآخر بكلمة أخرى تعني (*الحرب الجوية*)! ثم ينظر الأول إلى السماء، ويقول الثاني موافقاً لرأيه (*المنطاد*) أو (*المركب الجوي*)! لكن الشخصين لا يتفقان. فالسماء صافية على الأقل هذا ما يبدو؛ فلا يمكن رؤية أي شيء فيها. ظلا يتحدثان قليلاً؛ حتى أصبح بريخت مهتماً اهتماماً كبيراً بهذا الحديث. فكل ما يفكر فيه بريخت الآن هو أنه يذهب إلى بلدهم، ويبقى هناك بعض الوقت؛ لذا فإنه يود أن يفهم لغتهم سواء كانوا مؤيدين "لما يُدعى" أو معارضين له. فهم بشر قبل كل شيء. ويقول فنلندي يقيم في أبو":

"الملانين، كايلمانين"

يكرر بريخت ذلك لنفسه: الملانين، ماهذا؟ الملانين؟ أليس هذا السيد الملانين الذي عرض أوبرا *النبات في كل مكان* في الشمال منذ سنوات؟ أم هو كايلمانين؟ أم سيليملانين؟

جوهالانين؟ نانين؟

أياً كان، فلا يستطيع بريخت أن يتخيل أن هذين الرجلين الفنلنديين سيتحدثان عن مسرحية في هذه الليلة الصعبة، فإنهما لاشك يتحدثان عن شيء آخر، ربما يتحدثان عن الزراعة أو القطع والحرق، أو الإضراب عن العمل، فهما الآن قريبان من ديارهما.

ويلاحظ بريخت بوضوح أنه ليس محور العالم، وأنه لا يعرف أي شيء عن كل شيء. إلى جانب ذلك فهو يعيش داخل البلاد باسم مستعار.

انظروا، فإنهما يشربان بكميات كبيرة هنا في الشمال! فهذا الأمر كان متوقعاً. يرفع أحد الفنلنديين الزجاجة إلى شفتيه، ويعرضها للرجل الآخر، الذي يأخذ جرعة كبيرة، ثم ينتبه إلى بريخت؛ فيعطيه الزجاجة.

لابد للاجئ أن يكون مقتصدًا في تناوله للشراب بقدر الإمكان، وبريخت ليس لديه هذه الفكرة على الإطلاق. فهو لا يعرف أنه سيتم فرض الحظر على المشروبات الكحولية في فنلندا هذا الأسبوع، في أعقاب حرب الشتاء. نعم حرب الشتاء.

ففي عام ١٩٣٩ طالب الاتحاد السوفيتى ببناء قواعد عسكرية في أستونيا (وفي باقي بلدان منطقة البلطيق)، وحصل بالفعل على ما يريد. وهو الآن يريد الجزر الموجودة في خليج فنلندا بالإضافة إلى هانجو، فبذلك ومع حصول

الاتحاد السوفيتي على ديسكي في الجنوب وهانجو في الشمال يكون قد حاصر فنلندا حصاراً شديداً.

يريد الاتحاد السوفيتى برزخ الكريليه؛ بحجة أن الحدود قريبة جداً من لينغراد. حيث قال ستالين: إذا لم تستطع تحريك لينغراد فعليك بتحريك الحدود الفنلندية، لكن لم تُثمر هذه المحادثات عن شيء. فقد قاومت فنلندا قائلة إنها لن تتخلى عن أي قطعة من أرضها. وفي الثالث من نوفمبر عام ١٩٣٩ قال مولتوف في موسكو: حان الوقت لترك الأمر لجنودنا؛ حيث إن مفوحنينا المدنيين لم يحرزوا أي تقدم؛ فعملت فنلندا بهذا التلميح، وقامت بإصدار أمر بالتعبئة العامة.

وفي السادس والعشرين من نوفمبر وقع حادث مُشين في ماينيلا بكاريليا، أسفر عن موت اثنين من الروس التابعين للاتحاد السوفيتي، وقد بدا كما لو كانت نيران المدافع الفنلندية هى التي قتلتهم. لكن فنلندا لم تعترف ببدء إطلاق النيران. على أية حال، ادعى الروس في ذلك الوقت أن الفنلنديين قد بدءوا الخصومة. وقد يكون من الملائم أن نذكّر القرّاء هنا بوقوع حادث مجاور في جليوتيز، حيث وجد "البولنديون" – عندما عُثر على جثث ملقاة ترتدى زيًا بولنديًا على الأرض الألمانية – وبالمثل قد انتهكت الحدود الفنلندية، وكان هذا هو البداية للحرب العالمية الثانية.

في اليوم التالي، عبرت القوات الروسية إلى فنلندا وبدأت حرب الشتاء، وفي صباح اليوم نفسه، قال ستالين: إذا رفعنا أصواتنا قليلاً سوف يستسلم الفنلنديون، سوف نضربهم ضربة واحدة؛ فسرعان ما سيجدون أيديهم فوق رؤوسهم، حتى إذا كانوا ذوي براعة قتالية خارقة! وبالفعل تم تشكيل حكومة في أول ديسمبر برئاسة أوتوفيل كوسينن؛ لتمثيل رغبات الشعب الفنلندي، ومقرها بلدة حدودية من تيريجوكي، وهى أول مدينة تم الاستيلاء عليها.

قد قام المؤرخون بعمل مناظرات مع القضية الكوسينية: انقلت (أستونيا ١٩١٨)، ستوكا (لاتفيا ١٩١٨)، كابوكاس (لتيوانيا ١٩١٩)، بياتاكوت(أوكرانيا ١٩١٧)، ناريمانوف (أزربايدزهان ١٩٢٠)، كاسيان (أرفيبا ١٩٢٠)، ماهارادزي (جورجيا١٩٢١)، خودزهايف (نجاري ١٩٢٠)، مارشلوسكي (بولندا ١٩٢٠)، بابراك كارمال (أفغانستان ١٩٧٩).

تقريباً كان ميزان القوى على النحوالتالي: ٣٠٠٠ طائرة للاتحاد السوفيتي بينما ١٠٠طائرة لفنلندا، وأيضا يمتلك الاتحاد السوفيتي ١.٢ مليون جندي بينما فنلندا ٤٠٠.٠٠ جنديا، وقد رآى القادة السوفيت أن قهر فنلندا ليس صعباً بل هى مهمة سهلة، ربما لأنهم اعتقدوا أن الشعب الفنلندي سيدعم الحكومة الكوسينية، لكن الأمور قد تحولت بشكل مختلف. فالجنود الروس لا يعرفون كيفية استخدام الزلاجات، أيضا لم يعرفوا شيئاً عن كيفية الحرب بالغابات؛ عندئذ نشبت الحرب على تغير الثروات،

وانتصر الروس، واحتُجز الفنلنديون في الزاوية على الرغم من طرد الاتحاد السوفيتي من عصبة الأمم في ١٤ ديسمبر؛ لأنه اتحاد معتدٍ.

كذلك على الرغم من دعم أمم أوربية أخرى للفنلنديين منذ بداية عام ١٩٤٠ اضطرت فنلندا للتفاوض من أجل السلام، فقد خسرت برزخ الكريليه وعددًا من الأراضي وأخرى معرضة لمزيد من الخسارة. إجمالياً فقدت عُشر مساحات الأراضي في فنلندا، وفي الثالث عشر من مارس - أي في أقل من شهر بعد وصول بريخت - تم التوقيع على معاهدة سلام في موسكو بعد خسارة فنلندا لـ (٢٥.٠٠٠ جندي في الحرب و٤٥.٠٠٠ جريح. أما بالنسبة لروسيا، فالتقديرات الروسية تقول إنها خسرت ٤٨.٠٠٠ جندي و١٥٨.٠٠٠ جريح. وقال قائد القوات المسلحة الفنلندي المشير مانرهايم: إن الخسائر الروسية كانت حوالي ٢٠٠.٠٠٠).

استمرت حرب الشتاء مع قدر كبير من الاهتمام في جميع أنحاء العالم، وقد شاع طرد الاتحاد السوفيتى من عصبة الأمم، لكن كانت هناك أصوات مضادة، فقد دعمت حكومة تيريجوكي من أشخاص مثل جورج برنارد شو وجون شتايرنبك وراجاني بالم دوت ونهرو باندیت ومارتن أندرسون نكسو وأليكس فيدين وألكسندر فادیین وليونيد ليوفوف وميخائيل زوشنكو. لكن دون إلقاء هؤلاء الأفراد لنظرة فاحصة عليها.

هناك أيضا من يدعم تلك الحكومة، هوليوود والموسيقيون والمرأة النرويجية ونجوم كرة المضرب الأمريكيون لتوقيع معاهدة سلام. فقد اختفت تلك الحكومة مع الضباب والغيوم كما لو لم تكن بالفعل، فقد فرضت فنلندا الحظر خلال تلك الحرب.

نعم لم يكن يعلم بريخت أنه تم منع المشروبات الكحولية في فنلندا مع أنه معتدل في شربها.

لا! الآن هانحن في آبو أو بوبو أياً كان فإنهما سواء بالنسبة لبريخت. هو في غضون نصف كيلومتر منه؛ لذا رفض هذا المهاجر قطرة شراب واحدة من أي شخص غريب؛ حيث يجب أن يكون ذهنه صافياً تماماً؛ لأنه لابد أن يغير البلد مرة أخرى.

انتهى تجوال بريخت الطويل بين البلدان، وقد كان هذا التجوال كالآتي: ترك ألمانيا في اليوم التالي لحريق الرايخستاع، ووصل براغ في الثامن والعشرين من فبراير، ومن هناك سافر إلى فيذيا ثم إلى زيورخ، وبحلول شهر أبريل كان في كارونا التى تقع على بحيرة لوغانو على الحدود السوسرية، حيث أتت باربرا وهى الآن تبلغ العامين. وكانت هذه الطفلة موجودة مع أجدادها في ألمانيا، ولم يتم ذلك لابتزاز بريخت.

في شهر أبريل عام ١٩٣٣ سافر بريخت إلى باريس، بينما ذهب ويجل والأطفال إلى الدنمارك. حيث انطلق إليهم

بريخت لاحقاً، وانتقلوا جميعاً إلى جزيرة ثورو، حيث اشترى منزلاً في شهر أغسطس، وكانت معهم جريتي آنذاك. وفي صيف عام ١٩٣٥ تم تجريد بريخت من جنسيته الألمانية؛ حيث وجد فرصته للهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لكنه لم يكن بمفرده: فقد كان معه سيدتان وطفلان، إلى جانب روث، وكانت التأشيرة استغرقت بعض الوقت لاستخراجها. حاول الانتقال إلى أيسلندا، لكنه انتهى به المطاف إلى قبول السويد لاستقباله؛ كي يعيش هناك على جزيرة ليدينجو خارج ستكوهولم.

في التاسع من أبريل عام ١٩٤٠ قام الألمان بغزو الدنمارك والنرويج، قاومت الأخيرة أما الدنمارك فلم تقاوم وفر الملك النرويجي للجبال في الشمال. لم يكن بالدنمارك جبال ليختبئ بها الملك (كما يشير ويليام شيرر). الآن أصبحت السويد غير آمنة، ولا تقوم بمساعدة النرويج بأي أسلحة أو وقود، مثلما فعلت مع فنلندا عندما نشبت الحرب مع الاتحاد السوفيتي في مطالع السنة.

فلم يبق أمام بريخت الآن سوى الانتقال إلى فنلندا المشبوهة، فهو يعلم جيداً أن تلك البلاد تتعاطف مع النازيين، وحان الوقت الذي تدفع فيه فنلندا الثمن لكبريائها، فربما كانت هناك أشياء في طريقها للتغير. فلا تستطيع فنلندا احتلال الاتحاد السوفيتي، خاصة مع معاهدة السلام التي أُبرمت على شروط شيوعية. قطعاً ذلك هو سبيل بريخت للاقتناع. إلى جانب ذلك كانت الحدود

الجانبية الفنلندية لا تزال مفتوحة؛ بحيث تهيأت فرصة للهروب إلى الولايات المتحدة. كان صديقه روث برلا يعرف الكاتبة المسرحية الشهيرة هيلا ويلوجوكي، حيث قاما بمناقشة أزمة بريخت من قبل، فعرضت روث استعدادها للقيام برعاية أسرة بريخت في فنلندا إذا ما وجهتهما في ظروف صعبة.

وها قد حان الوقت الآن، فالألمان بالفعل في الدنمارك والنرويج! وأصبح بريخت مستعداً. وسأل روث عن الدعوة التي تلقاها منها. حيث أعلن - بوضوح - أن هدفه الوصول إلى الولايات المتحدة الأمريكية عبر فنلندا، فلم يكن هناك أى مشكلة في الحصول على تأشيرات بهذه الطريقة.

لذلك قاموا بالتخلي عن جميع ما يملكون. فالأثاث أخذه جار لهم يدعى لوك سميث، وأخذوا معهم الضروريات فقط، وسافروا على متن سفينة "بور ١"، التي أبحروا بها عبر خليج بوثينا إلى توركو.

يذهب بريخت الآن إلى حجرة بالسفينة لإنقاذ عائلته. حيث يجد هيلين مستعدة بالفعل ومرتدية ملابسها. فهي أعدت الأطفال لرسو السفينة في بلد غريب، لكن جريتي هى الشخص الوحيد الذي مازال نائماً، بينما شفتاها الشاحبتان مفتوحتان قليلاً؛ مما يُتيح رؤية أسنانها؛ مما يعني أنه عليك إيقاظها في مزاح جيد. فعندما تستيقظ تجدها ذات حيوية ونشاط. فهى تعتنى بنفسها وبالعالم كله، لكن كل

مشكلتها أنها تجد صعوبة في الاستيقاظ من النوم؛ لأنها عندما تستيقظ تصرخ من شدة الخوف. لكنها سرعان ما تهدأ لتملئ الحياة بالمرح والسعادة بقدر ما تستطيع.

ينادي بريخت لها "ماك" كما اعتاد على ذلك:

"سنذهب إلى جزيرة "الأسرار".

فترفرف جفون جريتي الرقيقة، ويبدأ فمها في التحرك، ويُسمع صوتاً.

يقول بريخت: "أقالون" "تيرا الأنثوية"

فتقول جريتي: "لهذا السبب كنت أحلم بالأسود".

فيرد بريخت بصعوبة: "ليس بالأفيال كما تعتادين؟".

فهى تحب الأفيال؛ لذلك يُعطيها بريخت تلك الحيوانات المصنوعة من الخشب والعاج.

obeikandl.com

ـ بريخت في القطار ـ

المصباح خافت الضوء لا يعطي أي نور على الإطلاق، وخلف النافذة يبدو سواد قاتم..

الليل، الليل، الليل – لماذا نقضي كل هذه المساحات لنصفه؟

يسافر بريخت مع عائلته عبر الغابة المغطاة بالثلج للريف الشمالي، وهو مقتنع أنهم سوف ينتهون في أقصى شمال الريف؛ ليدخلوا أكثر في الظلمة والليل.

في الحقيقة هلسنكي أبعد قليلاً من توركو، حيث سيحل بريخت..

الاختلاف صغير، لكن بريخت ما زال نظير الستينيات الخشن، فقط هو نفسه يعتقد أنه يسافر إلى التيما ثولي، وفي الحقيقة هذا الوهم احتمال حقيقي والشرق يتغير بشكل ما إلى الشمال. هو نفسه لا يمكنه قول لماذا.

وفي الشمال هناك مخيمات وفي الشرق أيضا، ومن السهل فقْد وجهتك والشمس تشرق في أوقات مختلفة

بطرقته المميزة – في الصيف في الشرق حتى الذروة وفي الشتاء مع ذلك في العرب، لم يرد بريخت أبداً أن يكون واضحاً بخصوص كل ذلك. وأنا أعرف لماذا، فبريخت عرف بالفعل أين أراد أن ينتهي، فقد أراد أن ينتهي في أمريكا، وكان هذا بعد كل شيء هو الغرب، ولم يكن بريخت أول رحّالة يقوم بذلك: فكولومبوس أيضا فكر أنه كان يبحر إلى الهند الشرقية، لكن في أثناء قيامه بذلك انتهى إلى اكتشاف أمريكا، ونحن نعرف أن هدف بريخت الحقيقي كان أمريكا أي الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان يسافر عكس اتجاه عقارب الساعة في الاتجاه المضاد للشمس.. ولماذا؟ وكيف فعل ذلك؟ هو ما نحن بصدد الكتابة عنه هنا.

الغابة وما زالت الغابة!

بريخت يجلس في عربة السكة الحديد. إنه الليل والغابة تهرول مبتعدة.

في الحقيقة ربما هنا في الليل، هنا في المستنقع قد يوجد بشر كلاب خموط في يومه.

في هذه الأثناء هناك امرأتان وطفلان نائمون، وأربعتهم أعينهم مغلقة، وهم ينظرون إلى أنفسهم، وعلى الجانب الآخر ينظر بريخت للخارج كما يفعل كل مسافر بالقطار خاصة بالليل، ولديه قرينه وهو ينظر إليه، بينما يجتازون الغابة من زجاج النافذة.

كان ما يفكر فيه وحده.. نعم لم يكن هناك مكان باقٍ لي

سوى هذه الدولة فنلندا. مع اندفاع غير طبيعي من التهكم.. ومن يريدني فعلاً بهذا القدر؟ وهنا وجدت مكاني المناسب. هكذا يفكر بريخت وهو ينظر ثانية في الظلام.. كلاب الخموط كلاب الخموط... وظل يعيد الكلمة لنفسه بشكل صارم.. ما كل هذا عن كلاب الخموط؟؟ هناك شيء أكثر واقعية، هو حقيقة أن الفاشيين الفنلنديين يقومون بمهاجمة روسيا التي عانت كثيراً في السنة الأخيرة.

هناك آراء متضاربة حول الطريقة التي تصرفت بها الشعوب الفينواوجرية في أثناء الحرب العالمية الثانية فقط، رآهم الروسيون فاشيين، وقبلها ببضعة سنوات فقط سمع روسي غاضب وسكران وهو يقول في الحافلة أو في الشارع: الفاشيون الملعنون اقتلوا الكثير منهم. هذا ما أقول! حتى في الغرب لم يفهم الناس دائماً المأزق الذي فيه الأستونيون (وأيضا الفنلنديون) حينما يجدون أنفسهم بعد توقيع اتفاقية مولوتوف – ريبنتروب في ١٩٣٩. وهم الآن اضطروا لأن يراقبوا جميع الاتجاهات! لذلك توجهت بعض الوجوه إلى الشرق والأخرى إلى الغرب، واشتياقهم السري كان للحفاظ على الاستقلال. وشيء ما في القوة الخارقة لليوم قد تم تقرير إبادته.

لحسن الحظ لم تخطط فنلندا لإخضاع روسيا؛ فقد عوقبت فنلندا، ولا يوجد فنلندي واحد سلم سلاحه طواعية، لكنهم كان يخفونها في الغابات منتظرين الوقت المناسب لاستخدامها. وبعد أن أعطى "أيًا كان اسمه" الإشارة

يرفعون زر الأمان عن أسلحتهم الأوتوماتيكية.

بعض هؤلاء يقومون الآن بالإشارة إليّ دون تشجيع إضافي من ألمانيا، وبريخت يفكر؛ فهو يعرف أن الفنلنديين مثل الأشباح. وفي الشتاء يكون الفنلندي أبيض فلا تستطيع أن تراه، وقد رأى بريخت صورا تعرض منظرا ثلجيا، وقد تم التقاط صورتين خلال ثانيتين في الأولى يقف فنلندي على رقعة من الأرض المغطاة بالثلج، وبعدها بثانية يختفي. لقد ظهر الفنلندي في المشهد، وهذا الخصم فعلاً ماكر، بل يمكنك حتى القول إنه ليس بشرياً.

مثل هذه الأحداث ليست فقط من خيالات بريخت؛ فأنا أذكر أن هذا الموضوع الخاص بظهور فنلندي في مشهد طبيعي قد ظهر في بعض الأبحاث عن الأمور الخارقة، وقد أدهشني هذا إلى حد ما، فبالنسبة لي تعد الظاهرة ببساطة سؤال عن بذلة تمويه من جانب، والحب الخالص للوطن الذي تحمله الأمم الصغيرة من جانب آخر.

بريخت نفسه كان لديه ميل خاص إلى هذه الحرب؛ لأنه ألماني ضد الألمان، وميله المريب إلى روسيا؛ لأنه هو نفسه ممثل لقوة عظمى أخرى. هو طبيعي بإدراك متأخر إذا كان هناك أي شيء طبيعي.

سوف أنقل هنا كثيراً من مقال شريوود باو القصير "المعجزة الفنلندية"، الذي ظهر في فبراير ١٩٤٠ في مجلة سويدية صغيرة تسمى أونجدومينز روست (صوت

الشباب):

"لا يزال الروسيون يتجولون في هذا البلد بسبب الحرارة والحصون والغابات تلعن اليوم الذي ولدت فيه، وكل ما يرونه من الفنلنديين أطياف سريعة، ومدرعاتهم قد تم القفز عليها من قبل قافزي زانة أولمبيين، قاموا بعد ذلك بقتل الطاقم بالمسدسات، فالروسيون يحتضرون بينما الفنلنديون يتضاعفون في هذه المعارك، ويقودهم مارشال قام منذ سنوات عديدة بغزو أكثر شعوب العالم شجاعة – شعبه – وقد قاتلوا من أجل الحضارة مع موسوليني وهتلر وفرانكو والبابا. (.....)

يفتقد الروسيون للأحذية، فهم يلفون القماش حول أقدامهم العارية، وهذا القماش من النوع الرديء، كما كان لديهم زوج من البنادق الآلية أسقطوا بها النساء والأطفال، بينما كان هناك بضعة مدرعات تم إغلاق أبوابها باللحام؛ كيلا يقوم الطاقم بالهرب (....) فهم لم يسمعوا قط بالحضارة الأمريكية ولا يعرفون لماذا يقاتلون، وكذلك لا يعرفون أن المانرهايم ديمقراطي. هم في حالة سيئة جسدياً ويتجمدون حتى الموت، كما يعانون من الرعشة. وعواقب الحكم الإرهابي لبولشيفيك، والمفوضون أجبروهم على غناء الإنترناسيونالي بتوجيه بندقية لهم، وقد لا يكون ذلك حدث في فنلندا؛ فهي بلد ديمقراطي تحظر فيه الإنترناسيونالي، والجيش الروسي ظاهر ويغزوه الفنلنديون بثبات، وهو دائماً على شفا الانهيار، حيث يفتقد تعاطف الدول المتحضرة، وينقصه مارشال لقيادته..."

أراد بريخت بوضوح أن يسخر من الثقة العظيمة بالنفس التي تمتع بها هذه الدولة الصغيرة حيث كانت تقاتل عدواً محبطاً، وفي أرشيف الشرطة الفنلندية ليس هناك أي ملحوظة عن هذا النص كما يشير كاليفي هايكارا، وعلى النقيض هناك نصوص ضد الفنلنديين تم تعقبها عبر العالم باجتهاد شديد. تلقى بريخت بالكاد تصريح إقامة في فنلندا بعدها بشهرين بمجرد أن أصبح مؤلف النص معروفاً للجميع.

يحيط الأشرار بستالين ودولته؛ ولهذا السبب من الممكن تفهم ما فعله ستالين إلى حد ما، فعبر نافذة العربة القذرة يستطيع بريخت أن يلقي نظرة على المشهد الفنلندي من الغابة. والآن لن يبقى لون الفنلندي أبيض؛ فليس هناك ثلج ليظهر معه، فهو الآن يذوب في عشب الربيع الميت. حسناً، حسناً، ليلة واحدة في هذه الدولة البربرية وهي بالفعل تثير أعصابي، فما بالك بإثارة أعصاب ستالين المسكين العجوز الذي كان مضطراً للتسامح معها لسنوات في النهاية.. عقود من الزمن! لا عجب أن ستالين صار مرحاً إلى حد ما! حتى إذا كنت مرحاً قليلاً فبريخت يبتسم لنفسه.

صباح بريخت في فنلندا

في الصباح يتم أخذ عائلة بريخت الناعسة نصف النائمة إلى فندق قريب – لحسن الحظ – من محطة السكة الحديد بعد المسرح القومي وأعلى التل.. ويذهب المصعد فقط إلى الدور الخامس.

تخطط جريتي للنوم في أثناء هذه الرحلة القصيرة، فهي تسترخي أمام حائط المصعد، وتبدو فاقدة للوعي. ثم يصعد المصعد والأطفال لديهم الكثير ليفعلونه، والوحيد الذي يلاحظ مدى ضعف جريتي هو بريخت نفسه، الذي يحاول أن يسندها للنهوض، لكن الآن وصل المصعد إلى الطابق الخامس حيث لا يصعد أكثر، ولا يمكن فعل ذلك؛ فليس هناك طوابق بعد ذلك، وليس هناك بئر مصعد؛ لأن الفندق قد تم بناؤه قبل الأيام العظيمة للمصاعد.

بريخت يستيقظ في مدينة غريبة

بريخت مرتبك إلى حد ما عند وصوله إلى العاصمة الفنلندية؛ حيث إنها ما زالت مظلمة، فهو يعرف أنه سوف يستيقظ هذا الصباح في فندق، لكنه لم يستيقظ هذا الصباح إلى ما بعد الغداء؛ فاتزانه البيولوجي كان مضطرباً، لكن من الطبيعي أنه عند الهرب من أيًا كان اسمه لا يمكنك النوم في الوقت الصحيح، كما يجب عليك التخلي عن بعض الرفاهية أيضاً.

لا يخرج بريخت؛ ففي اليوم الأول الذي يقضيه في مدينة غريبة لا يخرج، وقد انتهت بالفعل حرب الشتاء منذ شهرٍ في الواقع، لكن بريخت يقرر أن يتأقلم بينما لا يزال محاطاً بأمن جدران الفندق، ولهذا الوقت سوف تكفي نظرة إلى الشارع بالأسفل، وحافة السطح تعيق النظر، هناك رصيف ولا يوجد ناس، بل الشارع خال من المارة، هذا هو استنتاج بريخت ولم يندهش من وجود قلة من الناس. يتبع ذلك

الحكم الجدلي التالي بشكل سريع، فمن أمرهم بافتعال شجار مع ستالين؟ ستالين غير سعيد، لكني أنا أيضا قد أحتج إذا ضربني شخص ما بشكل غير متوقع في قدمي! فقط كما لو كان هناك القليل منهم!

يجد بريخت ملحوظة من زوجته وأطفاله، يقولون فيها إنهم ذهبوا في "مهمة استطلاعية"، ويعيد بريخت تشكيل الليلة السابقة، الغابة والجزارون الفنلنديون في العشب الميت، وجريتي كانت نائمة في فراش، والأطفال في سرير، وهيلين على الأرض، وبريخت نفسه في مكان أو آخر.

الآن يفكر في فض المتاع، ويبدأ في ذلك، لكنه يتوقف في منتصف الطريق؛ فالطاولة صغيرة وليست هناك حجرة كافية لكل شيء. ودون ذكر فالأشياء يجب أن تخرج بشكل منظم، لكن أليس هناك شخص ما في الحجرة المجاورة؟ طفل أو زوجته أو متعاطف؟ ويضع بريخت أذنه على الحائط، فهو غير متأكد ما إذا كان متفائلاً أو خائفاً، فكلاهما قد تكون الحالة: الباب المجاور صامت كالقبر.

قد يكون هناك شخص ما هناك أو لا يكون، لكن هناك شيء واحد مؤكد: لا يمكنهم الاستمرار في العيش هنا في هذا الفندق؛ فلا بد أن هذا باهظ الثمن، واللاجئون خاصة يميلون إلى التعرض للسلب، وليس من المستحيل أن يتم ذلك عبر مسئول ما أو أيًا كان اسمه، الذي قد يكون أعطى أوامره بسلب بريخت من كل سنت حصل عليه، فالفندق بالتأكيد باهظ التكاليف، والفنادق عادة ما تكون هكذا؛

ومن الحتمي إيجاد شقة. غالباً ما يبدو هذا جدلياً، لكن اليوم لا يريد بريخت أن يتعامل بأي شكل مع الجدليات، فلماذا يجب أن أكون دائماً جدلياً؟

يجلس بريخت. يتسرب من الحوائط الطقس الفنلندي الذي لا يمكنه وصفه.

لكن ماذا عن الصين؟

يتسرب من الحوائط الطقس الفنلندي الذي لا يمكنه وصفه، لكن بريخت يحاول التفكير في الصين، فهو لا يعرف بالطبع أنه على بعد مائة كيلومتر تقريباً سوف تكتب أغنية تتضمن كلماتها: *تمضي الحدود الأستونية إلى سور الصين العظيم! وروسيا ينبغي أن تختفي بينهما!*

يأخذ بعض الروس الأغنية بجدية شديدة، فمن الممكن تصور أن هؤلاء الأستونيين المرعبين سوف يضعون خططهم موضع التنفيذ؛ لذا من المفترض أن يكونوا أشخاصًا مضطهدين بشكل جنوني، ومن المحتمل أن يبدأوا بأنفسهم في الاضطهاد.

العلاقات بين بريخت والصين من نوع مختلف:

كتب بريخت مسرحية تتعامل جزئياً مع الصين.. تريتياكوف – *عمل بريخت على مسرحيته المسماة المرأة الصالحة من سيشوان لمدة عشرة أعوام تقريبًا في أثناء الثلاثينيات، وقد كان للمشروع اسم مؤقت* الحب الحقيقي،

الذي كان تورية لحب السلع الحب الحقيقي، وقد انتهى من المسرحية في فنلندا، وتم القيام بالمسودة أولاً عن طريق جريتي ثم أضيف إليها بواسطة روث.

تريتياكوف

كان سيرجي تريتياكوف (١٨٩٢ – ١٩٣٩) مؤلفا روسيا، وكان في ١٩٢٤ في الصين، ثم ذهب في الثلاثينيات إلى ألمانيا، وهناك التقى ببريخت من بين آخرين، وقد رأى بريخت مجموعة مسرح مايرلاند تؤدي مسرحية تريتياكوف المضادة لبريطانيا باسم ازأري أيتها الصين! وفي ١٩٣١ أتى تريتياكوف لزيارة بريخت، وقد أخبره عن كل أنواع الإرهاب، حيث قال إنه كان طبيباً في مستشفى الميدان في أثناء الحرب العالمية الأولى، وقد اضطر إلى بتر الأقدام بدم بارد، وكذلك القيام بنشر الجمجمة "إخراج المخ". وفي الحقيقة كان طبيباً بشكل منتظم لثلاثة شهور في مستشفى احتياطيات تتعامل مع حالات الأمراض التناسلية، كما تتعامل مسرحية تريتياكوف الثانية أريد طفلاً مع تحسين النسل وتحسين الأنواع والعادات العرقية؛ لتسقط في الخط مع وجهات النظر النازية السائدة في هذه الموضوعات، وقد قام تريتياكوف بترجمة العديد من مسرحيات بريخت وعرضها في الاتحاد السوفيتي.

– قام تريتياكوف في زمنه بجذب انتباه بريخت إلى الصين، فلماذا كانت الصين مهمة جداً لتريتياكوف؟

هل دخل ستالين في صورة على الصين أو بسبب شيء آخر؟ في حالة الرجل العظيم ليس هناك وجهة نظر في التعجب من ثورته، وكان يكفي لنا معرفة أنه فعل ذلك.

قبض على تريتياكوف في ١٩٣٧ متهمًا بالتجسس لصالح اليابان وألمانيا، وقبض على زوجته أيضا، كما تمت الإطاحة بابنته من معهد الطيران، واكتشف بريخت كل ذلك في ١٩٣٩، وعقب موت تريتياكوف كتب بريخت قصيدة دون ذكره بالاسم، افترض بحذر أن "أبناء الشعب" القضاة البروليتاريين الصالحين ربما يقومون بأخطاء في هذه القضية الخاصة "قد يقوم شخص واحد بإفساد عمل ٥٠٠٠، وعندما يتم معاقبة ٥٠ بالموت قد يكون أحدهم بريئًا.

يقرأ بريخت كتابًا بقلم مودي (٤٧٩ – ٤٠٠ ق.م أو ربما ٤٧٠ – ٣٩١) وقد استخدم بريخت اسم مي-تي حيث أعاد اختراع هذا الفيلسوف في العشرينيات بفضل رفيقته فيما بعد، والكاتبة المساعدة له اليزابيث هوبتمان، وبعدها كتب بريخت عمله "مي-تي"، لكن ذلك توقف في منتصف الطريق، وظهرت منه أجزاء فقط بعد موت بريخت.

اعتقد بعض الناس أن مودي هو نوع من الأسماء الجماعية، أليس ذلك أفضل! فلدى بريخت اهتمام خاص بالأعمال البوليتارية المنتجة بالتعاون (أوه كيف تمنى أن يختلط بالكتل، ويصبح رفيقًا بسيطًا وترسًا في الأعمال).

في النهاية يقود بريخت الآن مجموعة صغيرة أو طاقمًا صغيرًا من اللاجئين.

بريخت يصغي..
صوت قعقعة سحب طويلة ثم لا شيء..

الصمت شديد بشكل مثير للشك.
لا يرغب بريخت بعد ذلك في الإصغاء إلى الصمت؛ لأنه لا يعبر عن أي شيء.

يفتح مودي (أو نسخته مي – تي) مرة أخرى، وهناك يمكنه أن يقرأ أنه في أوقات المجاعة لا يكون ما يتم فعله سوى النفخ في الأبواق أو قرع الطبول.
ولا يجب أن تدق أجراس الكنيسة.
فلماذا نعزف على الفلوت لهؤلاء الذين يرتعشون؟!
نعم، لماذا نفعل ذلك؟ يعطي بريخت بداية؛ ومن ثم يلقي نظرة على الموقد، إنه دافئ والحمد لله، وقد قام شخص ما بتسخينه قليلاً في أثناء الليل، وعلى الجانب الآخر من الواضح أن هذا الوقود سيكلف شيئاً ما!
سيكلف أم لا، ومهما يكن من يدفع له يحاول بريخت الاقتراب من الموقد، وكتفاه وظهره تضغط على الموقد، وها هو الآن يحاول ضغط وسطه عليه أيضا، وبالفعل يمكنه فعل ذلك؛ لأنه نحيف نسبياً.
لفترة قصيرة يكون في رحم أمه.

لكن من هذا في الرواق؟

في الرحم ربما لكن أكثر تحديداً؟

هناك أطلس جيب في جيب حقيبة ظهره يمكنك أن ترى فيه موقع فنلندا، وكذلك الصين وألمانيا.

ألمانيا وفنلندا متقاربان، وليس هناك جدل في قربهما، فقد حدث أنهم في النهاية في أوروبا، فإذا كنت تريد جدلا بالفعل فمن الأفضل أن تلقي نظرة على الصين، والعلاقة بين الصين وألمانيا، أو الصين وأيًا من يكون، أو الصين وبريخت. ففي الروحانيات الصينية القديمة جدل مع بعض أنواع التزاوج بين المتعارضات يمكن رؤيته.

يدرس بريخت لوقت طويل الخريطة، ولا يبدو أن عائلته تلتفت، والفندق كله صامت، وليس من المنتج جداً أن تحدق في خريطة، فكل خرائط أطلس نماذج، لكن لا يمكنك أن توظفها في الحياة الحقيقية، بل يمكنك أن تحملق في خريطة كما تريد بينما ما زلت في حجرتك، لكن بمجرد أن تخرج فأنت مع ذلك تقابل العالم كما هو، وكما كان قبل أن تبدأ النظر إلى الخريطة، فالعالم وخريطته متشابهان ونظيران، لكن بعد ذلك كله وبشكل عاطفي لا يعطي نوع المعلومات المعطى هناك أي دعم لمهاجر.

لكن الآن شخص ما يمشي في الرواق.

كما لو كان يتسلل بحذر..

يندفع بريخت إلى الباب ويغلقه، ولحسن الحظ كان المفتاح في الباب، لكن نقرة خفيفة يمكن سماعها مع ذلك؛

ومن ثم يغلق، وهو ما يسمعه الفنلندي بوضوح حيث توقفت خطواته أو أياً كانت، بينما يصغي بريخت لفترة وأذنه على الباب، ثم يصغي الفنلندي لفترة من الجانب الآخر، ولا يجرؤ أي منهما على القيام بالخطوة الأولى.. يبدأ بريخت في الاعتقاد أن الفنلندي قد رحل ويحاول إقناع نفسه أنه ليس مجنوناً... اللعنة، الرواق فارغ!

بحرص شديد وهذه المرة دون نقرة يفتح قفل الباب، ثم يفتح الباب لبوصة أو اثنتين.

كان بريخت مخطئاً؛ فالرواق ليس فارغاً؛ ففي الجانب المقابل يملأ وجه ما كامل الرواق، والفنلندي أو شخص ما يبدو فنلندياً يقف هناك أمامه، وبمجرد أن صار الباب مواربا يصادف وجه شخص أشقر ضخم أطول منه بثلاثين سنتيمتر تقريباً.

يحييه الغريب بالألمانية وهو يتحرك، لكن ذلك – إذا تحدثنا بشكل جدلي – شيء سيئ جداً فلماذا لا يحييه بالفنلندية؟ بشكل واضح! فهو يعرف أن بريخت ألماني. ينظر إلى المخبر الغريب مباشرة في وجهه، وبريخت مندهش أن هناك مخبرًا يقف على بابه، لكنه يرد التحية بالألمانية قبل أن يسأله عما يريد؟ الرجل لا يريد أي شيء، فهو يخبر بريخت أنه لا ينبغي أن يترك بابه غير مغلق؛ لأن هناك لصوصا في الفندق خاصة في منتصف النهار.

"خاصة في منتصف اليوم تجدهم فجأة هناك عند بابك؛ ومن ثم تعرف ما يحدث."

تبدو روايته مقنعة كفاية؛ لأن المتحدث على بابه والساعة تشير إلى منتصف اليوم.

يخبر الصديق الجديد بريخت: "أستطيع إخبارك بما يفعله اللصوص".

يقول بريخت: "أخبرني على أي حال".

يشرح الرجل: "يفتحون الباب ويدخلون".

يوضح هذا بفعل مماثل، والرجل الآن داخل الحجرة "ثم ينظرون حولهم، وعادة يكون الساكن بالداخل، لكن عادة يكون أمريكيا أو أستونيا أو لاتفيا، قطع رحلة طويلة؛ وفي حاجة لغفوة قصيرة، حتى الضيف غير المدعو ينظر حوله، ويأخذ شيئاً ما يلتقطه حتى على سبيل المصادفة." يلتقط الضيف الأطلس الذي ما زال مفتوحاً على الصفحة، التي تعرض الصين، وبقية ما يقوله يحدث بالتزامن مع أفعاله: "ينظر الضيف غير المدعو إلى الصين كما لو كان مهتماً بتلك الدولة، ينظر أقل ثم يغلق الكتاب، ويأخذه بعيداً عنه هكذا.." يخطو الفنلندي والأطلس في يديه ويعبر العتبة إلى الرواق.

تنحني أصابع بريخت كما لو كان يريد التقاط الأطلس ثانية، لكن لا يصدر صوتًا من شفتيه، ويصغي إلى ثرثرة الفنلندي التي لا تنتهي كما لو كان مفتوناً.

"ثم يغادرون والأشياء المسروقة في أيديهم، ويمشون عبر الرواق كما لو أنه لم يحدث شيء، ويمشون بهدوء، هدوء فعلي من فضلك شاهد ما أفعله."

يمشي الرجل إلى نهاية الرواق.

"الآن ليس هناك شيء قد يوقفهم ثم يختفون عند الزاوية."

ويختفي....

يتغلب بريخت على دهشته، ويجري باتجاه السلالم وهو متأكد أنه يريد قتل الفنلندي.

السلالم مهجورة وصامتة، وبريخت يهز كتفيه ويعود إلى حجرته.. لقد تم خداعه والرجل الإسكندنافي قد استدرجه إلى فخ، وكل ذلك حدث بشكل جدلي، فقد كان نافراً من أفعاله الشخصية، لكن ليس جميعها. وعندما يصل بريخت إلى حجرته يجد الأطلس على الأرض بجانب الباب فالفيكينج قد أعاده لكن متى؟ بينما كان بريخت أسفل الرواق ينظر إلى بئر السلم؟

وأين هو الآن؟

يهز بريخت كتفيه، نظرياً لم تمر هذه الحادثة الصغيرة دون فوائد، فاللص كان لصاً لكنه ليس الآن، ربما كان يرمز إلى لص، ويحاول أن يمثل دوره، فعل ذلك بنسب ملحمية وبهدوء كما لو كان "اقتباساً".

لقد كان يلعب دور اللص، لكنه كان لصًا.

يكتب بريخت بضعة ملاحظات.

عائلة بريخت تعود إلى المنزل أخيراً بعد كل ذلك، عندما تعود الزوجة والأولاد أخيراً إلى المنزل من المناطق الخارجية

غير المعتادة في هلسنكي يبدون منتعشين ومنسجمين في نظر بريخت حتى في إفراطهم، وهيلين تكون دائماً صافية الذهن، لكن جريتي مليئة بالحياة أيضا، حتى أن هناك لآليء من العرق على جبينها.

لا يجرأ بريخت بالطبع على الحديث عن المصادفة الغريبة التي حدثت مع رجل الرواق، وعذره في عمله نصف المنتهي المرأة الصالحة من سيشوان، التي ترقد على الطاولة، لكن ليس هذا بالفعل خداعًا، فبريخت كان يفكر في أمور صينية، عن مودي على سبيل المثال، وهكذا بشكل غير مباشر عن سيشوان.

هيلين مع ذلك تصف مغامراتها. بشكل عجيب يتزامن مزاجها الجيد مع مزاج بريخت في ذلك الوقت.

تروي هيلين كيف اصطدمت برجل في مدخل مخزن، حيث انحنت إلى يمينها والرجل إلى يساره، هيلين إلى يسارها والرجل إلى يمينه، ثم هيلين مرة أخرى إلى يمينها والرجل إلى يساره، وعادة ما يحدث هذا الارتباك ثلاث مرات ثم يجد الناس اتجاهاتهم مرة أخرى، ويستمرون في طريقهم، لكن لا، هنا في فنلندا تعاد الأشياء بشكل مختلف كما تقول هيلين بشكل منتصر، فقد انحنينا إلى اليسار وإلى اليمين مرة أخرى، وبعد ذلك ذهبت بشكل مستقيم إلى المتجر، وحدق الرجل فيّ مع نظرة فضولية على وجهه.

يسأل بريخت: "أوه، فعلاً؟، كيف عرفت ذلك؟ هل نظرت خلفك؟"

تبدأ هيلين التفكير عبر وقفة طويلة إلى حد ما، وبريخت لا تعجبه فكرة أن هيلين نظرت للخلف، وتأتي جريتي لإنقاذ الموقف، الصغيرة جريتي، الحلوة جريتي، تمسح وجهها وتقول إنها من نظر خلفه وقد انتفخت أوداجها في زهو، وهذا محتمل، فجريتي تنظر دائماً في كل الاتجاهات حتى إلى الخلف، فهي صغيرة وحركاتها مندفعة وهيلين أكبر وأبطأ.. مثل فيل؟ لا ليس بالفعل، فالأفيال شيء آخر، إنها مقارنة بارعة، لكنها ليست مناسبة في حالة هيلين، فهيلين مثل جواد أو بقرة.

تقول هيلين أخيراً: "لقد كان دون شك فنلنديا طبيعيا تماماً".

يرد بريخت وهو يحاول التعميم بالرغم من أنه لم يكن خارجاً بالفعل بنفسه، والتجربة الغريبة الوحيدة التي لاقاها هي الرجل عند الباب، ومَن وراء الباب بلا شك فنلندي، لكن حتى العتبة بريخت وعائلته في مقاطعة خاصة مع حصانة دبلوماسية.

إذا كان على الإطلاق.

القصة في نهايتها، لكن ستيفان يشعر أنه يجب أن يعلق على رواية والدته.

"في الحقيقة لقد كانت أمي مندهشة إلى حد ما، وقد أصبح وجهها أبيض كالطباشير."

توهجت جريتي وبدأت في السعال، وكل شخص كان يمكنه سماع صوت الألم التي هي فيه، ضحكوا معها بالرغم من أنه حتى الآن جريتي لم تعد تبتسم لكنها تسعل ببساطة، وقد بدأ السعال من الضحك، والآن جريتي بدأت تضحك حتى تغطي سعالها؛ فقد كان للهواء الفنلندي تأثير سيئ بشكل واضح عليها، لكن هكذا فعل الطقس في السويد والدنمارك وربما حتى ألمانيا، وفي الحقيقة أي طقس يؤثر على جريتي بالسلب، فالهواء يحمل حبيبات السل، وإذا لم تتنفس جريتي قد يموتون، لكن جريتي تتنفس والجراثيم تبلى بلاء حسناً.

خططت هيلين لشراء بعض الطعام، وكانت المتاجر فارغة تقريباً، لكن على الأقل كان هناك خبز كافٍ.

الآن تظهر ووليجوكي أيضاً، تأتي هيلا ووليجوكي في وقت الغداء.

تبدو بدينة نسبياً، وهذا أول شيء يلاحظه بريخت، ويسجله حين يراها عند الباب.

إذا كانت جريتي مثل ذبابة وهيلين مثل جواد فهيلا تبدو مثل كون، كون صغير، لكنها مع ذلك كون. كرة على أي مستوى.

وكما كان بريخت يشك في أن تصبح هيلا ذكية، فأولا يمكنها أن تتحدث الألمانية بطلاقة، وثانياً تفكر في نفسها، وهذا شيء قد اختبره بريخت من البداية، وحيث إنه كاتب فهو يعرف الشخص حين يراه. وقد أقر بريخت نفسه أنه

رأى نفسه مرة الكاتب الوحيد في العالم، واعتقد أن البقية أغبياء، وليس هناك شك في وجود شيء من الحقيقة في ذلك، لكن السنوات مضت وتم إجبار بريخت على الاعتراف بأن بين رفقائه أشخاصًا أيضا، وقد اندهش بريخت من ذلك، لكنه ما زال يحول الموقف لصالحه، ويقول بينما يقف أمام المرآة وحده في الحجرة: "أنا قادر حتى على الاعتراف بالآخرين، والغريب أن التسامح قد تنامى فجأة بداخلي، فأنا أصل إلى مستوى أرفع من الإنسانية، أنا أصل إلى النضج الإنساني".

كان هذا ما فكر به حتى قبل الحرب، والآن هو يفكر في ذلك.

تجلس هيلا ووليجوكي التي لا تبدو فيها رائحة العرق، لكن رائحة طيبة، فهي مثل بونبون كبيرة. وعلى غير المتوقع يبدآن الحديث عن حرب الشتاء، وبريخت يعرف بالكاد شيئا عن حرب الشتاء، لكنه لا يريد إظهاره، وقد بقي بريخت دائماً جنباً إلى جنب مع السياسة، على الأقل هذا ما يعتقده العالم، وعلى الأقل هؤلاء الذين يقرءون كتبه وهم يمثلون ٠.٠٠٥٪ من السكان البالغين في العالم.

استمع بريخت إلى المذياع طوال حياته، وفي أثناء حرب الشتاء كان في السويد، وقد جعلها تفهم أن فنلندا هاجمت الاتحاد السوفيتي أولاً، حيث إن هيلا كانت – هذا ما كان يقال في السويد – عميلة روسية؛ ولذلك تخيل بريخت أن نسخته من الأحداث قد تلاقى موافقتها، وهو أيضا يفضل

تلك النسخة، وقد اعتادت فنلندا أن تكون جرثومة صغيرة خبيثة بالرغم من أنه ليس منطقياً تماماً أنها تريد ابتلاع روسيا، فقد يفترض أن العسكريين المحليين والبلوتوقراطيين قد حثوا بشكل مستقل على التجاوزات؛ حتى يمكنهم أن يشتتوا انتباه الناس عن البطالة والرواتب المنخفضة، من أجل أرضاء طلبات دعاة الحرب، وهنا لم يكن شك في بعض التواطؤ مع أيًا كان اسمه، وأيًا كان اسمه تعهد ربما ببعض الأمور، ثم تظاهر أنه لم يسمع أو يرَ أي شيء.

لكن ماذا إذا هاجمت فنلندا أولاً؟

يجب رؤية الأمور بشكل جدلي.

فروسيا لديها عجز شديد إذا رأيناها من زاوية واحدة، لكن من الزاوية الأخرى ليس مستحيلاً أن روسيا تريد بالفعل تحرير البوليتاريين الفنلنديين.

تسأل هيلا وهي تحدق في بريخت مع الجزء الأبيض في عينها الثابتة: "من ماذا؟ ممن؟ "

"من مالكي المصانع والمستغلين ومالكي الأرض، حسناً لا داعي أن أقول أكثر من ذلك في هذا الموضوع."

توضح هيلا: "أنا أيضا مالكة أرض."

يضيف بريخت: "واشتراكية، وهذا تناقض منتج؛ فهو يثبت أن...."

"أنا لست اشتراكية، لكني أتعاطف مع الشيوعيين!"

تحرك هيلا إصبعها لكن متأخرة جداً؛ فبريخت قد امتطى جواده.

"ما الفرق اشتركية أو شيوعية أو أيًا يكون، حسناً، شيء ما على أي حال... شيء ليس لمصلحة الطبقات العاملة.. الذي لا يتفق مع الصراع الطبقي!"

تصرخ هيلا: "على العكس تماماً! فأنا كثيراً مع النضال الطبقي، ومصالح العمال مقدسة بالنسبة لي!"

يضطر بريخت للتفكير، فهيلا بالطبع محقة، والأمور معكوسة، لكن هذا لا يغير الأمور، فقط يبررها أكثر.

"أنت محاربة في النضال الطبقي، ومدافعة عن العمال إلى حد ما، ومدافعة عن طبقة العمال الكادحين في الريف، ومالكة أرض في الوقت نفسه! هذا يدهشني! هذا شيء مثير للجدل!"

يقرر بريخت أن يصبح أكثر صراحة معها؛ لأن رائحة هيلا رائعة، بعد الستين وما زالت تشع عطراً!
مع بعض التجاعيد، كم شدت بشرة وجنتيها! لا فائدة من إخفاء أي شيء عنها!

"بالطبع – الروسيون بعيدون جداً، بعيدون جداً عن امتلاك السلطة ليكونوا محل جدل! فهم ليسوا جدليين حتى في شعاراتهم! الشعارات يجب أن تكون جدلية، هيلا.. حسناً أنا أتفهم كونهم ليسوا كذلك، فكل شيء سواء في الواقع، وربما لن يكون لدينا يوما ما أعرفه سوى أني ألماني – نعم ألماني لسوء الحظ، ففي النهاية لدينا جدليات في دمائنا، وبعد كل شيء نكتشف جدليات، ولا يمكننا فرضها على

بقية العالم بالقوة إذا لم يريدوا الاستماع – هذا لديه جدلياته الخاصة؛ ولذا هناك إمكانية الاتصال والانفصال بالجدليات الألمانية والروسية عندما تصل إلى الاصطدام الحتمي...

بدأت جريتي في القيام بإحدى عادتها وهي التدوين..

والآن ظهر طفل آخر على عتبة الباب، ولم يكن أحد أطفال بريخت، ولا يعرف من أين أتى، ولا بد أن طاقة بريخت الروحية قد أتت هنا فلا بد أنه طفل فنلندي.

"أنا لا أفهم عندما أقول إنه بالرغم من أن الروسيين – لسبب جدلي أو آخر – ليسوا جدليين الآن، فهم ربما لديهم على الأقل شعارات جدلية معروضة، وقد يساعد هذا بقدر كبير! فإطلاق النيران في ماينيلا، وبعبارة أخرى أعيرة البنادق – ليست مثالاً واضحًا على هذه الظاهرة.

في الأساس، يستنتج الروس الدعم من الحقائق، أو ما يسمونه حقائق، أو لإتاحة الفرصة في تسميتها حقائق، أو حتى المناخ الملائم لتسميتها حقائق، أو الأشياء التي تستنبط الحقائق ويمكن تسميتها حقائق، ولماذا لا يمكننا تسميتها حقائق، إذاً دعنا نسميها كذلك – كما يستنتج الروس – هيلا، هل تتابعيني؟ أنا آسف، لكن في هذه الأسئلة المهمة يجب أن يكون الشخص ذا هيبة، رجلا ذا حماسة، ولا ينبغي أن يغوي نفسه بأي فكر قومي قديم – على أي حال، دعنا ننتقل من كلمة "حقائق"، ودعنا نقول إن الروس

يستنتجون الدعم من جانب درامي بدائي للحقائق، وهذه إلى حد ما ظاهرة شرقية، وستانيسلافسكي كان كذلك، فقد أعجبته الكائنات العليا والأعيرة النارية، وربما الدم في ثلج المساء، وربما يربطه هذا ببولجاكوف، ومن بعيد بالأكورديون أيضاً.

بريخت مخطئ هنا فستانيسلافسكي لم يحب الأعيرة النارية لا في ضوء الفجر ولا الغسق، انظر على سبيل المثال عمل ميخائيل بولجاكوف رواية مسرح، عندما يقدم بولجاكوف مشهدًا للمايسترو، حيث هناك دم في الثلج والأعيرة النارية البعيدة، وموسيقى الأكورديون يمكن سماعها، والقمر ساطع، وستانيسلافسكي يصبح هستيريًا مع طلبات أن تستبدل السكاكين بالبنادق.

هذا عاطفي تماماً، فالمعاهدة مع حكومة تيريجوكي المذكورة سابقاً، التي تم القيام بها من قبل الحكومة الروسية - تفترض التنوع الذي وفقا له يجب أن يقوم العمال والفلاحون الفنلنديون بتبادل حريتهم القومية بحرية اجتماعية، وهذه حجة روسية، نعم أنا أتفق أنها حجة، فهي حجة، وهي أيضا تبدو مثل حجة جدلية ومن ثم مبررة، هيلا، ماذا أردتِ أن تسألي؟ فأي شيء جدلي يعني تلقائياً أنه مبرر؟ هذا ما يعنيه، لكن ليس ما يعنيه في الوقت نفسه، فالجدليات ذاتها في صحتها وخطئها يجب دائماً أنت تقولي: إنها هي، بالرغم من أنها ليست هي!

هيلا، على أي حال تنهض، وهيلين تقترب ببطء ودون أن يلاحظها أحد، فقط جريتي تدون بنشاط، وهي تضيف حتى تعليقات من نوع "يغلق عينيه ويفتحها ثانية"، و"يكور قبضته."

كل شيء يدخن بكثافة.

لكن بريخت يمكنه قراءة أفكار الآخرين كما هو دائماً، فهو يجلس ويعلق عما حدث فيما سبق.

"لقد خرجت بنفسي؛ لا لكي أوضح الشكوك المؤقتة واليأس من قبل مثقف عندما تنتقل مع ظاهرة جدلية عظيمة، لكن حتى أتجنب تقييد نفسي بالعاطفة المجردة، وقد انتهت أفكاري الشخصية إلى أني تركت بالفعل في العراء منذ فترة قصيرة مضت، وهو ما سيقدم الآن نقطة توقف بعد كل هذا التأني. لقد قلت إن الروس أرادوا أن يتحول الفنلنديون من حريتهم القومية إلى حريتهم الاجتماعية، فهذه الحجة ضعيفة، ولن أقول أكثر اليوم؛ فأنا بالفعل مسرور جداً من أني استطعت قيادة قطار أفكاري إلى استنتاجه المنطقي، مشكلاً إياه بطريقة لا أستطيع اتهامها بالنقص الكامل للكياسة، التي ربما تكون مفاجئة في رجل يقضي يومه الأول في دولة أجنبية."

يعطي بريخت انطباعا بأنه لا يريد بعد ذلك قول أي شيء، لكن الآن قام الموضوع بإثارة النساء..

يبدو بريخت ناعساً للحظة، ثم يفتح عينيه، ويبدو مندهشاً أنه في مكان ما في السويد ينظمون وحدة تطوعية

لدعم فنلندا من أجل مواجهة الخطر القادم من الشرق.

"الشرق، الشرق! لماذا لا ننظر إلى الجنوب من حيث يأتي الخطر الأعظم على الجميع؟"

تقول هيلا في دهشة: "الجنوب؟ ماذا هناك في الجنوب؟"
يسخر بريخت: "ماذا هناك؟ ماذا هناك؟ كل شخص يعرف ماذا هناك."
تسأل هيلا: "لكن ماذا هناك في الجنوب؟"

"ألمانيا في الجنوب."
ويحمل صوت بريخت إيحاءات اجنبية...
تسأل هيلا بخبث: "كم تبعد ألمانيا هذه؟"

ينظر بريخت إليها موبخاً.
يقول المهاجر بريخت مشتكياً: "لا تسألي لاجئًا عن هذه الأمور، فكيف أعرف بالضبط؟ عندما أذهب للخارج وأنظر تجاه الجنوب، أفترض أن ألمانيا هناك بالأسفل على بعد حوالي ثمانين مترًا أو ثمانين ألف كيلومتر، لكنك لا يمكنك أبداً أن تكوني متأكدة في أي لحظة بعدها، فهي تتمدد طوال الوقت، وتتعقبني كل الوقت.. ألمانيا مثل بقعة حبر على ورق نشاف أو ربما ترمومتر مكسور."
ما زال لديه أكثر ليقوله...
يمكن سماع الحزن في صوت بريخت عندما يقول إن حرب جديدة سوف تقوي الروابط بين البوليتاريين والبورجوازيين الفنلنديين، بينما قامت روسيا وألمانيا

بتقسيم بولندا في سبتمبر المقبل، ولم يكن بريخت سعيداً بتفاخر روسيا بأن مقاطعة الشيوعية الأوروبية الآن قد تزايدت على نفقة الرأسماليين، فقد رأى أن هذه الحجة انتهازية.

"كيف يمكنني أن أدعي أن تحرير بضعة ملايين من العمال البولنديين يقوي الكتلة الشيوعية عندما تأتي التقوية على حساب اتفاق مع الفاشيين."

تعتقد هيلين أن مثل هذه القرارات السياسية الصعبة أو حتى الأخطاء تعتمد على الموقف السياسي في روسيا، وبريخت يوافق ويعد وجهات النظر هذه جدلية.

"في الحقيقة كانت حرب الشتاء فضيلة عظيمة."

تقول هيلا بخشونة: "اعذرني، لكن أي نوع من الفضائل؟"

"لقد سمحت حرب الشتاء للعالم بالرؤية، أو ربما أنا فقط، لكن آخرين غيري أعطوا على الأقل بعض الأشخاص فرصة معرفة المادية بشكل أكثر قرباً في الواقع."

حرفياً – وهذه حجة بريخت الممتلئة بالرثاء:

"كل مكان في العالم، حيثما تنظر، هناك شيئان مغلق عليهما في صراع، ولأني في هذا الكوكب سوف أسميهما كالتالي، أصغ بانتباه سيدة ووليجوكي! في هذا العالم هناك فكرتان تتنافسان على السيادة، إحدى هذين الفكرتين: "الاتحاد السوفيتي شيوعي"، والأخرى هي العكس: "الاتحاد السوفيتي ليس شيوعياً".

ينسى بريخت نفسه وهو ينظر إلى فم جريتي المفتوح، وجريتي مأسورة باندفاع الكلمات من فم هذا العملاق الثقافي؛ لدرجة أنها نسيت الاستمرار في التدوين، ووضعت قلمها الجاف على فمها وهي تنظر إليه، ولم يعجب ذلك بريخت وقطرة أنيلين تخرج من جانب الفم الأزرق الممتقع، وبريخت رجل ديكتاتوري بالفطرة، لكنه ما زال يكره النظر إليه بانقياد.

يسأل بنفاذ صبر: "ما هذا؟"

تسأل جريتي: "ألم تبدأ في شكوكك حول الاتحاد السوفيتي يا عزيزي؟" ويرى بريخت أن حبيبته قد تكون على وشك الاندفاع في البكاء، وتفتح هيلين أيضا عينيها باتساع في شكل غريب، وفي عينيها يرى بريخت أن الشمس تغرب فقد أحاطت الشمس بالزاوية، وهي تشرق فيها عبر النافذة، ليس على بريخت لكن في الزاوية التي فيها عين هيلين، وهناك يَرى الانعكاس، فأيام أبريل هذه قصيرة جداً، ولم يعد بريخت يستفيض في الشرح لكنه يلخص بسرعة:

"الاتحاد السوفيتي والشيوعية ليسا الشيء ذاته، فيمكننا إيجاد بعض عناصر الشيوعية في الاتحاد السوفيتي، وربما أيضا.. التطابق.. البنية الفوقية."

تقول جريتي: "دعنا نذهب هناك فسوف نقوم فقط بالمرور عبر هذه الدولة، ولماذا فقط عبرها؟ دعنا نمكث هناك فهم يحبوننا جداً."

ينظر بريخت إلى عيني جريتي.

ويسألها بالصراحة التي تسأل بها مريض سل: "هل تعبتِ من الحياة؟"

لكن الآن دور هيلا قد أتى، في المساء التالي تكون هيلا موجودة مرة أخرى، وبريخت كان مرتبكاً قليلاً اليوم السابق، وقد كان بعد كل شيء يومه الأول في الضباب والشمال والليل، وقد تحدث كثيراً عن هذا؛ لدرجة أن مشاعره قد تبلدت.

لم يخطط العالم الخارجي للتصادم، وعالمه الداخلي في حالة اضطراب، وقد تحول إلى السياسة والفلسفة، والله وحده يعلم ماذا أيضاً.

يعترف بريخت: "هيلا يجب أن أعترف أني لم أخرج في نزهة حتى الآن حول المدينة، فقد انتظرت في حجرتي."

تقول هيلا بطريقة فيها الكثير من الأمومة: "على مهلك.."

ينظر بريخت إليها، ويفكر أن لديها وجهًا، نعم، وجهًا مثل البدر، لكن جسدها كبير جداً أيضا، ولسبب ما يبدو ذلك مثيراً لاضطراب بريخت.

يقول لها: "اجلسي من فضلك، أنا أعني: هلا تفضلت بالجلوس." وهو ينظر بعين عقله كيف تغوص قوائم سرير الهوسبيز تحت وزن هيلا، لكن ليس طول الوقت، فهيلا ضخمة، لكنها لا تزن كثيراً جداً، والزنبرك يصدر صريراً،

لكن قطعة الأثاث بعيدة عن الانهيار، وقد يفضل بريخت الآن أن يسأل هيلا عن وزنها، وهو أقل من علامة المائة كيلو على أي حال.

وهو لا يسأل عن ذلك بالطبع.

تمر وقفة طويلة، ويفكر بريخت، أعتقد أن جريتي في مكانها المعتاد لكن أين هيلين؟ إنها ليست في حجرتها، فهي في المطبخ المشترك تعد القهوة، وقد غادرت للحظة. أما بالنسبة للطقس فهو مثل البارحة، وبخلاف ذلك هناك القليل جداً يمكن رؤيته في السماء حول هذا المكان، والجزء الذي يمكن رؤيته لا لون له، أو بوصف آخر هو رمادي.

تستمر الوقفة طويلاً؛ لدرجة أن بريخت يميل إلى تسميتها وقفة عامة.

في مصطلحات المسرح يعني هذا توقفًا طويلاً، توقف طويل مستحيل، ومع هذه الوقفة يثبت ممثل عظيم لنفسه وللجمهور والنقاد مدى سخرية صمته لفترة طويلة، فلديه ألف حيلة صغيرة في جعبته، سواء تعبيرات الوجه أو الإيحاءات الطفيفة، التي معها يمكنه إدهاش الجمهور، فهو يسحبه بقدر ما يمكنه، ويشعر عندما يشعر الجمهور بالملل، ولا حاجة حتى إلى البدء في السعال؛ فالمايسترو يعرف عن طريق توارد الخواطر متى يجب عليه أن يقطع الصمت، ويعود إلى نص المؤلف، وهو يبدأ الحديث ثانية، ويستمر المشهد كما لو أنه لم يحدث شيء، وهذا ما تفعله هيلا الآن، فشخص ما ممن تحتوي مسرحياته على توقف في نقطة أو

أخرى شهير جداً في فنلندا.

تبدو هيلا وكأنها وضعت البيضة الذهبية.
تقول بالألمانية: "أنا أحب"، ثم تقول: "كفتاة شابة أنا أحب رجلا ألمانيّا."

يقول بريخت بحذر: "أوه، حقاً؟" فهو غير مستعد للدخول في علاقات حميمية مع هيلا، وأنا لا يمكنني فعل شيء هنا تحت الشمس، وهيلا مستديرة جداً بالنسبة لبريخت، ربما إذا كانت أقل سمنة...

تدخل زوجته هيلين، وربما تأتي جريتي قريباً، وتقوم ببعض التدوين كما يتطلب علاج بريخت الكنسي.

هيلا تتمتع بالصحة إلى حد ما، والطبيعية يمكنها رؤية أن المرأة التي تجلس هناك وتخربش على راحتها مريضة.

عندما كانت جريتي في السابعة عشرة من عمرها تنبأت امرأة غجرية أنها سوف تعيش حتى سن الثالثة والثلاثين، والغريب بما يكفي أن هذا حدث بالفعل:
١٩٠٨ +٣٣ = ١٩٤١.

لا تعرف هيلا أن جريتي مشغولة بالتدوين؛ فهي تعتقد أن المرأة المصابة بالسل تعبث، والعديد من الناس يفعلون ذلك عند الاستماع إلى محاضرة، أو يفكرون في أفكار الغير في مكان آخر.

تقول هيلا وقد أصبحت عصبية: "أنت لم تسأل لماذا قلت: أحبك بالألمانية؟"

يقول بريخت بالحماسة المطلوبة: "حسناً لماذا فعلتِ ذلك؟"

"مؤلفنا الرئيسي تامساري كتب رواية بهذا العنوان."

"أوه، هل فعل؟"

"نعم، لقد فعل."

يقول بريخت وهو يكتم التثاؤب: "أفهم.."

في الواقع لا يفكر بريخت في أي شيء أولاً، حسناً هذا التاميساري كتب رواية ما أو أخرى، ماذا إذاً؟ أنا أفترض أن هؤلاء الفنلنديين قرأوا كل شيء كُتب وكل شيء يكتب في كل مكان؛ وقد نتج هذا عن تزايد المعرفة بالقراءة والكتابة؛ فهي تحفز الجميع هنا، وفي النهاية جميعهم يبدأون في الكتابة، فبمجرد أن تجيد الأبجدية يمكنك البدء في الكتابة، ولماذا لا يبدأ التاميساري في الكتابة إذا كان يريد ذلك بالفعل؟ ربما يزيد ذلك ثقافته عامة أو هو نموذج عالمي أو آخر. إذا استدعى الأمر الإثراء، وإذا كان هذا العالم ضرورياً في المقام الأول.

إذا كان بريخت قد عرف هذه النظريات فقد اكتشف – بلا شك – عيباً بها، لكنه لا يعرفهم! لذلك لا يجد عيباً بها، وهو يفكر: حسناً "تاميساري" تقع في حب ألماني، والعديد من الناس وقعوا في الحب، حتى بعضهم وقع في حب ألمان. هكذا يفكر بريخت، إذاً، الحب بأي شكل؟

يطرح بريخت هذا السؤال.

"رواية تامساري عن شخص عصبي... وماسوشي، لكن ما يحدث لي هو رومانسي بشكل إيجابي."

يسأل على سبيل الاحتياط: "هل تتعارض النوراستينيا (النهك العصبي) مع الاتجاه الرومانسي؟"

تقول هيلا بشكل عابر: "لا أعرف."
تطلب هيلين: "أخبرينا."

تمرر هيلا يدها على فستانها في منطقة البطن وتبدأ: "على أي حال لقد كنت فتاة مدرسة، وقرأت كثيراً لدرجة أني أصبحت مصابة بفقر الدم."

تستمر هيلا في روايتها: "نعم لقد كنت فتاة مدرسة، وكنت أقرأ كثيراً؛ لدرجة أني عانيت من فقر الدم، فقد كنت أنام كل ليلة بضعة ساعات، دعنا نقول، من الحادية عشرة إلى الثانية عشرة، ثم من الرابعة إلى الخامسة، ولقد كان وزني قليلا جداً، وأنا أعني أني صرت أنحف بسرعة، ثم أتى الحفل التنكري، أنا وفريدا – نعم فريدا، هكذا كان اسمها – كنا نرتدي ملابس أطفال، وكنت أنا "الطفل الأزرق"، وفريدا "الطفل الوردي"، كنت نحيفة جداً في ذلك الوقت حوالي أربعين كيلو، وكان هناك تلميذ ألماني يرتدي كعازف البوق في ساكينجن، رفعني إلى حافة البيانو وحين كنت أجلس هناك على البيانو بدأ يغني *die Liebe liebt das Wandern... Gott hat sie so*

von einem zu dem Andern... Gott ،gemacht
. glauben...،nicht glauben... ja

وأعتقد أن هذا ما كان يغنيه، ثم غنيت خلفه وأنا أرقد هناك على جانبي فوق غطاء البيانو:

. nicht glauben..، ich kann es nicht fassen:

واصلنا الغناء ولم يصدق أحد أننا كنا نرتجل، فقد اعتقدوا جميعاً أننا رتبنا لذلك من قبل، كان الولد في الحقيقة ألمانيّا فولجا ولاهوتيّاً، أوه، ماذا فعلنا بعد انتهاء الغناء لقد مثلنا مسرحية صامتة...".

تخبر رواية تامساري (١٩٣٥) كيف أن طفلا أستونيا ريفيا مكبوحا - وهو الآن طالب - وقع في حب ابنة بارون سابق (يحدث الأمر في أثناء فترة الحرب الأهلية في أستونيا من أجل الاستقلال الأستوني)، لكن عقلة النقص لديه تمنعه من التعبير عن حبه لها.

يقول بريخت: "الفضل لمهاراته الجدلية، فالتمثيل الصامت يعني الكثير لي؛ لأنه هناك..."

لكن هيلا لن تسمح بمقاطعتها..

تقول باقتضاب نوعاً ما: "انتظر يا عزيزي، واستمع إلى ما أخبرك به. لقد كنا نقوم بالتمثيل الصامت، ثم كان هناك حفل في الشارع وكان هذا كله يحدث في الشتاء كما ستذكر يا عزيزي، وسوف أذكر في وقت ما أنه في الشتاء عندما تكون الحفلات التنكرية منعقدة، لكن هذا لم يكن في ذروة

الشتاء، بل في الربيع. ثم مشينا على ضوء القمر الأبيض، وقد أضاء عبر حجاب من السحب، آه، لقد كان ذلك يحدث في أبريل.. أي نوع من الشتاء هذا! لقد كان منتصف الربيع! مثل الآن، فنحن في أبريل الآن أيضا، لكن بعد ذلك قد يكون مارس أو ربما ليس مارس؛ لأنه ما زال هناك ثلج في الحقول بالرغم من عدم وجود الثلج في المدينة. وقد كنا نسير فجأة بين الحقول، وما فعلناه ببساطة كان ابتسام كل منا للآخر وعدم قول شيء، والآن المغزى من هذه الرواية...

تسأل جريتي: "الآن ماذا؟"

ترد هيلا: "المغزى "

يجب رواية القصة بشكل صحيح إلى النهاية..

"المغزى هو ذلك، أن كلبا أسود كان يتبعنا منذ البداية، وقد اختفى الآن، ثم عاود الظهور مرة أخرى مثل الضمير السيئ، وقد حاول الألماني أن يبعده، لكن الكلب استمر في الاقتراب من قدمي ولم يدعني أمر، وقلت للكلب: عزيزي ميفستو، اذهب للبيت؛ فأنا لست في الطريق الخطأ."

هذا المغزى من عمل جوته فاوست، *فالمثقف الأستوني لينار بريماجي أشار إلى أن الشيطان في هيئة كلب لا يظهر في الإصدارات القصصية الشعبية، فالكلب الشيطاني ينبع من أجريبا فون نيتيشايم (انظر: أكاديميا ٢/١٩٩٠)*

openkandil.com

"لكن الكلب لم يبتعد حتى وصلت إلى بابي، وهناك قبل شلونينج – كان هذا اسمه – يدي، نعم لقد سقطت رأساً على عقب في الحب، لكنك – يا بريخت – يجب أن تعرف أني في الواقع أكره الألمان الذين استعبدونا لسبعمائة سنة!"

سبعة آلاف سنة من العبودية هي صورة استعارية يستخدمها الأستونيون لوصف تاريخهم، معبرين عن قدر واضح من المأساوية والشفقة على النفس، حيث اجتاح الفرسان التوتونيون أستونيا في القرن الثالث عشر، وقد أحضروا معهم الرهبان الكاثوليكيين والإيمان المسيحي، وقد قام الأستونيون بقفزة واحدة من عصر الفايكنج إلى العصور الوسطى العليا، بينما أدار الفرسان التوتونيون الدولة لما يقارب ثلاثمائة عام، بعدها انتشر الاضطراب؛ حيث كانت الدنمارك وبولندا والسويد تتنافس جميعها على السيطرة على أستونيا، والأخيرة من بين هذه الثلاثة أدارت الموقف لفترة..

وفي بداية القرن الثامن عشر غزت روسيا المقاطعة الأستونية (في الوقت نفسه تم الحفاظ على طبقة من السلطة الألمانية البلطيقية)، ولم تنجح أستونيا في أن تصبح مستقلة تماماً حتى ١٩١٨، لكن بعدها يمكن القول إن الروس عادوا إلى أستونيا بحلول ١٩٤٠، وقد استمر هذا حتى ١٩٩١.

"دعنا نصوغ الأمر بهذه الطريقة، لقد أسرتنا أوروبا في صدرها الثقافي لسبعمائة سنة، ولسبب ما نعد أوروبا ألمانًا، كما لو كان هناك أي شيء نريده للهرب من أي شخص، ثم من هؤلاء الذين يقفون بالقرب منا تاريخياً."

"لقد أردت أن أقاتل من أجل الحرية، وإذا لم نستطع بالفعل الوصل مباشرة إلى الروس يمكننا على الأقل قتال أحبائنا الألمان، فسلاح الألمان كان الحب، كان أنيقاً وصالحاً، لكني لم أستطع أن أجعل نفسي تحبه، لا! لا يمكنني أن أحب ألمانيًا، هذا كل ما في الأمر، وما قلته لنفسي: لذلك لم أفعل؛ فبلدي وبلده كانا شابين، وبلدك يا بريخت كانت مسنة؛ ومن ثم – ومن ثم انتهيت إلى أن أتزوج فنلنديا، وأنا لم أحلم يوماً أني قد أنتهي في فنلندا، لكن هذا ما فعلته..."

تسأل هيلين حيث يبدو لها ذلك غير ذكي:
"الانتهاء هنا؟؟؟ لكن ألم تولدي في هلسنكي؟"
تهز هيلا رأسها بحدة قائلة: "لا، لقد وصلت فنلندا لأول مرة في خريف ١٩٠٤ عندما كنت في الثامنة عشرة، وكنت أرتدي قبعة زرقاء مربوطة بشريط رمادي، ولم أكن أعرف شيئاً عن هذه المدينة الغريبة، ووقفت هناك في الأمطار حتى لاحظني سائق شاب وأقلني إلى سكني، وكما أتذكر فقد كان في شارع ألكسندر، ولم أستطع قول شيء أكثر؛ لأني لم أكن أعرف الفنلندية في ذاك الحين."
يسأل بريخت: "ماذا تعنين؟"

"لقد أتيت من أستونيا."

"ماذا تعنين، أستونيا؟ لماذا؟"

يبدأ بريخت في فهم أن العالم أكثر إرباكا مما يستطيع يوماً أن يتخيل، لكنه لا يظهر ارتباكه وهو يسمع بأدب، بينما تكمل هيلا.

تشرح هيلا، أنا أستونية، والأستونيون يتحدثون اللغة الأستونية، ولقد ولدت ونشأت في أستونيا، وأتيت إلى هلسنكي للذهاب إلى الجامعة.
"أليس ما تسمينه أستونيا لديها جامعاتها؟"

"كان هناك واحدة، لكني أردت المجيء إلى هنا."

هيلا تواصل والهاتف يرن:

"لقد كنت أعيش في منزل بوجولا في الماتكو ستاجاكوتي، وهو فندق الشباب، وعندما ذهبت في الظلام إلى حجرة الطعام اعتقدت أني من أرعب الفتاة في المنزل الغريب."

يقول بريخت، الذي يبدو معتاداً على ذلك، بالرغم من كونه غير معتاد في الوقت نفسه: "نعم، نعم".
"المفاجأة الكبرى للجميع كانت عندما بدأ شيء ما في الرنين في الرواق، ثم بعد ذلك الرنين بدأ شخص ما مونولوج في الرواق."

يخمن بريخت بشكل صحيح وهيلا تومئ موافقة: "لقد كان الهاتف."

لم يكن بريخت يوماً خائفاً من الهاتف، لكن لم يكن هناك أي هواتف في أوجسبورج في شبابه.

قبل أن ينضج بريخت ويصبح شاباً ثم رجلاً كانت الهواتف موجودة، وكان مهتماً بها بقدر كبير.

يطور بريخت بعدها شكل مهاتفته الخاصة، فقد يقول: "هالو" على النحو الأمريكي في جزء النطق، بينما ينقل سيجاره من جانب فمه إلى الآخر، وأحياناً يفكر كيف نضج مع التكنولوجيا الحديثة؟ وكيف كان معاصراً للتطورات التقنية في القرن العشرين؟ لكن الهاتف هاتف – فما أشد أهمية أن هذه العجوز المستديرة مهاجرة، وهي لم تهرب بالطبع من ألمانيا ومن أيًا كان اسمه، لكنها هربت إلى الدولة الفنلندية نفسها من مكان ما لسبب ما.

يقرر بريخت أن يكون لئيماً: "نعم لكن مما كنت تهربين سيدة هيلا؟"

تشرح هيلا: "أنا لم أكن أهرب من شيء، لكن الجامعة في سانت بطرسبرج كان لديها الكثير من المتقدمين، وقد أردت أن أدرس الفولكلور؛ لذلك اخترت جامعة هلسنكي بدلاً عنها."

"إذاً لم يكن هناك العديد من الأشخاص الذين يحاولون الحصول على مكان هنا؟"

"لا أعتقد ذلك."

إجابة غريبة، لكن ربما السيدة العجوز لا تتذكر كل شيء الآن بالتفصيل..
تضيف: "في الحقيقة أنا تشوخنا.."

يسأل كل من بريخت وهيلين في تناغم: "ماذا؟"، وتسقط جريتي قلمها على الأرض.
"تشوخناااااااااااااااا!"

تستمتع هيلا لصوت تلك الكلمة الغريبة: "هذا ما يسمي به الروس الأستونيين والفنلنديين، ويمكنك إيجاد أصل الكلمة في كل مكان في كلمات مثل تشودي.. وهذا ما يسمي به اللابيون الكريليون. ودولتنا محاطة ببحيرة بيبوس أو بيبسي كما ندعوها، لكن الروس لديهم اسم خاص لها: تشودسكويي اوزير، ووتشود، وهي كلمة تعني المعجزة بالروسية، وبمعنى آخر أعجوبة أو عجيبة."
لسبب ما يكون لدى بريخت إحساس بالبشرى..
لكن هيلا تستمر بهدوء في رواية قصتها.

"لماذا يسمونا تشوخنا في روسيا أو هنا في فنلندا، لقد حاولت دائماً التفكير في بعض الإهانة الكوميدية لألقيها على الشخص الذي ينطق هذه الكلمة، وقد قلت: روسيكي بوروشونوك، خنزيرٍ روسيٍ هل تفهم؟ بريخت؟ هل تفهم؟ إنهم يقولون شيئاً معقداً، وشيء ما قد يتحول إلى إهانة، لكن شيئا على أي حال يجعلني أشعر بالجرح، بالرغم من أني أرد بعبارة صغيرة مرحة، لكني في الحقيقة أحب الروس."

فجأة تسمع طرقة على الباب..

شخص ما يسأل ووجهه خارج نطاق الرؤية: "هل يسكن هنا ألمان ؟"

لا يمكننا رؤية وجوههم؛ لأن بريخت يحجب كل الفتحة بين الباب والإطار..

يقول بريخت بالألمانية: "لا"، ويبدو أن الشخص الذي سأل السؤال مقتنع بالإجابة، ويبتعد بشكل واضح، ثم يغلق بريخت الباب، ويفكر للحظة ويهز كتفيه ثم يجلس، ويستدير إلى هيلا وعلى وجهه أكثر من سؤال أو أقل: "أسف أين كنت؟"

تروي هيلا مغامراتها الأخرى..

"في ١٩٠٥ ذهبت لزيارة صديقي فاني في سانت بطرسبرج، وقد كان لديهم حفلة هناك، ولم يكن لدي شيء لأرتديه سوى فستان مدرسي، لكن ماذا فعلنا أنا وفاني؟ قطعنا الأكمام، وبالنسبة للعنق كان هذا ما حدث: لقد بدأ كقطع صغير وعلى شكل قلب صغير، وانتهى كديكوليه (فتحة صدر) مستطيلا ضخما، وفي جوانب الديكوليه لصقنا صور زهور، سوداء على ما أذكر لكنها صناعية وليست حقيقية، وربما قدمتها عشيقة ما لفاني. على أي حال بمجرد أن وضعت زوجًا من القفازات السوداء الطويلة كنت أنيقة تماماً، وذكرت الناس حتى بإيفيت جيلبير الصغيرة، أو حتى بأحد الفرسان الثلاثة. كان هناك كونتات وأمراء وسياسيون في الحفلة أليس كذلك؟ لكن ماذا حدث

بعد ذلك! لقد كان وقت الثورة الروسية يقترب، والكثير من الناس احتشدوا حولي لسبب ما، وسألوني عما إذا كان حقيقياً أن فنلندا سوف تنفصل عن روسيا، أليس هذا شخص ما يطرق الباب مرة أخرى؟"

تذهب جريتي لترى، لكن هذه المرة لم يكن هناك أحد؛ لذلك لا بد أن لا أحد طرق الباب.

تتابع هيلا..

"سألني ضابط ما عما إذا... "

ثم تنهض هيلا فجأة، وتذهب إلى النافذة التي يمكن من خلالها رؤية حديقة والمسرح القومي ومحطة السكة الحديد، لا يظهر أي منها تماماً، فقط أسطحها التي تظهر، حيث إنه لم يكن هناك أحد مهتما بالنظر. تلتفت هيلا وتتابع:

"سألني ضابط كيف كان أوبلينسكي يفكر في فنلندا؟"

يسأل بريخت: "ومن أوبلينسكي اللعين هذا؟"

لا يستطيع بريخت الاستماع لروايات النساء لفترة طويلة..

"أوبلينسكي حل محل بوبريكوف."

جاء الدور على هيلين لتسأل: "ومن بوبريكوف؟"

تبقى هيلا هادئة: "أنت تعرفين، الشخص الذي ذهب إليه شاومان وقتله."

يأتي دور بريخت ليسأل: "ومن شاومان؟"

"الشخص الذي قتل نفسه فيما بعد."

"لماذا؟"
ترطب ووليجوكي شفتيها بالقهوة
"بوبريكوف كان مروسنا."
"وماذا يعني هذا؟"

تقول هيلا: "إنه يحاول جعل البلد روسية." وهي تتابع قطار أفكارها؛ لأنه لا يمكنها التراجع الآن: "على سبيل المثال طالب كل الموظفين بعدم الحديث سوى بالروسية في أثناء العمل."

هيلين لا تفهم شيئاً: "وما السيئ في هذا؟"
"حسناً، إنه لم يسمح بالحديث بأي لغة أخرى."

"إذاً، هل كان الناس يتحدثون لغات أخرى مدام هيلا – أنا أعني قبل ذلك عندما كان هذا السلوبريكوف يقوم بروسنة البلد؟"

"هنا يتحدث الناس الفنلندية، يا سيد بريخت!"
"لكن لماذا يا هيلا؟"

"لماذا؟ لماذا؟ أي لغة من المفترض على الفنلنديين أن يستخدموها؟ الفضل لبوبريكوف... وكل شيء أيضا.. فالقيصر قد وضع نهاية للحكم المستقل لفنلندا! ولذلك تم قتل بوبريكوف هذا بواسطة شاومان على درج مجلس الشيوخ، ثم قتل نفسه، وبعدها أتى أوبولينسكي، ثم في ١٩٠٥ كانت هذه الحفلة في مكان فاني في بيتيري كما نسمي المدينة، حيث ذكرت الناس بايفيت جيلبير. ثم ذهب

الضابط وسألني كيف يحكي الناس عن أوبولينسكي في فنلندا؟ فأجبت.."

تقطع هيلا كل حديثها وتنهض..
يصبح وجهها جدياً وتضيق عيناها...
ثم تقول هيلا مرة أخرى:

"لقد أجبت سؤاله، نهضت هناك وأجبت: ليس كما يروون عن بوبريكوف؛ لذلك قد يكون البرلمانيون الفنلنديون قادرين على تسميته؛ ومن ثم – بعد كل هذا قال الضابط بخشونة –"

ويتحشرج صوت هيلا..

"قال بخشونة: إن أوبولينسكي لم يكن الشخص المناسب لوضع مصطلح الشوخنا، ثم توقف طويلا بمثل هذا الطول."

وتضع هيلا يديها على سيف وهمي، وتتوقف لفترة جيدة.

ثم تنظر بشكل غير متوقع إلى بريخت نظرة مهلكة...

وتقول في الوقت نفسه: "لقد صفعته."

وتطير يد هيلا عبر الهواء لتصل إلى الوجنة الوهمية لمحاورها الوهمي.

والآن يصبح صوت راوية القصة أعلى...

"وقلت إني لست شوخنا! فضيحة مسكوت عنها. ثم انحنى الضابط، وأجاب إنه للأسف ليس صواباً أن يضرب

امرأة."

تعلق هيلين بتفكر: "كان الضباط السوفيت يميلون إلى السلوك الجيد، ويمكنهم أن يتصرفوا كرجال مهذبين حين الضرورة."

تقول هيلا فجأة وهي مثارة: "نحن لا نتحدث هنا عن الضباط السوفيت فقد ظهروا فقط في المشهد بعدها بعدة سنوات، وعندما يصل السوفيت إلى السلطة ينتهي الأمر، كان هذا ضابطاً روسياً ورجلا أنيقا جداً أيضا، وقد أصبحت ملكة الحفل، لكن هل تعرفون ما الوقت الآن؟"

إنها التاسعة، وفجأة يجب أن تغادر هيلا في عجالة.

تقييم بريخت

بعد ذلك بنصف ساعة تقريباً عندما يحل الظلام بالخارج يقول بريخت:

"يمكنني رؤية بعض الجدليات هنا: فمن جانب القومية الساذجة، ومن الجانب الآخر الاستخدام غير البارع للمسرح الملحمي، حيث بدأ مسرح هيلا الملحمي بطريقة غير أرسطية فقد وضحت – مبعدة نفسها – أنها فعلت ذلك دون وعي، وهذا حقيقي، وليس ضالعاً في الطريقة الجدلية الماركسية، فهو ببساطة يفعل شيئا طفوليا إلى حد ما مع عفوية شبه بوليتارية للفلاحين، وعلى الجانب الآخر لقد استخدمت أشياء قد جربتها بالفعل، وشعرت بالتعاطف، وتأثيرُ ستانيسلافسكي يمكن رؤيته في ذلك، وهو مفاجئ بالكاد؛ لأن هيلا بلا أدنى شك لعبت دوراً ما في نهاية حرب الشتاء والحصول على معاهدة السلام مع

الاتحاد السوفيتي، ولهذا السبب قد يشع النوع الذليل من الطريقة الجدلية فيها أحيانًا."

تدون جريتي كل هذه الأفكار.

يوم ميلاد أيا كان اسمه

يستيقظ بريخت مبكراً مع مذاق كريه في فمه..

لا شيء يمكن عمله بخلاف الاستيقاظ.

يخرج من تحت الغطاء، عندما يضع قدمه على الأرض تلامس شيئا ما باردا ومنزلقا..

يصرخ بريخت بعفوية، وبعدها ينظر ليرى ما تحت قدمه..

ضفدع كبير، لكنه مختلف عن تلك الضفادع التي صادفها فيما قبل؛ فهو ليس أخضر، لكنه بني ولزج وغير منتظم أيضا، بريخت يفرك عينيه، لكن الضفدع لا يرحل..

يفتح باب الحجرة المجاورة بحذر، ولا يدخل أحد..

يسأل بريخت لسبب ما: "روث؟"

تجيب هيلين بصوت خفيض: "لا فئران هنا، لذلك لا أعرف أين هي؟"

تقول جريتي بهدوء: "سوف تصل روث؛ فهي ملتزمة بالعودة."

يتحرك الضفدع تحت قدم بريخت.

يصرخ بريخت: "انظر! انظر! انظر! "

"هل تحلم بكوابيس؟"

oberkampf.com

"لا كوابيس، لكن فقط ذلك المخلوق، ولا أعرف ماذا أفعل به."

"ربما هي روث."

"ليس هناك أي روث، أنا فقط لا أستطيع التحديد."

تدخل المرأة الحجرة، وتنظر إلى الضفدع غير الطبيعي، ولا يمكنها دفعهم لقول أي شيء، وبريخت نفسه يلتقط طرف الحوار.

"الآن نجد أنفسنا في السهول البعيدة في الشمال، ولا يجب لذلك أن نصل لأي استنتاجات مسبقة، فكل أنواع الأمور قد تحدث هنا، ويجب أن أعترف أني حينما وصلت إلى ميناء آبو اعتقدت أني رأيت سمكة بعيون حمراء تحت سطح الماء، ربما لم تكن سمكة ذات عيون حمراء، لكن هذا ما بدا في ذلك الوقت، والآن هذا الضفدع! في دولة أجنبية من السهل القيام بأحكام خاطئة بسبب عدم الاعتياد، ولا يمكن التصديق عليها، لكن لأن السيدة ووليجوكي كانت طيبة جداً لدرجة الاعتناء بنا؛ فإنه يجب علينا أن نسألها، فهي تعرف الظروف المحلية أكثر منا حتى لو كانت أستونية، فرغم كل شيء لقد قضت هنا فترة جيدة."

تقول جريتي في تردد: "أنا واثقة أنها لا تعبر على الضفادع كل يوم."

"بهذه الطريقة يمكنني محاولة فهم أن الأستونيين قريبون من هنا، فمن المحتمل أن هذا بالضبط نفس نوع المخلوقات التي تعيش هناك، لا، لا بد أنها تعرف."

يصيح بريخت قاطعاً: "ضعي المخلوق في سلة، وخذيه إليها، حيث ستذهبين إلى مكانها على أي حال لإحضار الطعام."

تقول جريتي بشكل تحليلي وقاطع، وحاجبها ينثني: "لا يهم أي نوع من المخلوقات هو، لكن المهم كيف وصل هنا في الطابق السادس من فندق."

يقول بريخت، وهو يفتح خريطته لهلسنكي، ويبدأ في النظر إليها: "إما أنه هنا بالفعل، أو أن شخصاً ما أحضره، ولن يفاجئني إذا كان هناك شخص يحاول قيادتنا إلى الجنون."

ثم يصرخ: "مدهش!"

تنهض المرأة وتقترب.

"الأمر أبسط مما أعتقد! في الوقت الحالي نحن في فندق هوسبيز، وفي منتصف المدينة بجانب محطة السكة الحديد، انظر كم هو بسيط أن تأتي هيلا لزيارتنا."

يجب أن تمر عبر مركز المدينة؛ لتصل إلى الساحات، ثم تغادر إلى نيلاكاكوتا – ها أنت هنا – ونيلاكاكوتا تصبح ميريكاتو حيث تعيش ووليجوكي.

بالقرب تضع جريتي معطفها والضفدع في سلة.

يسأل بريخت: "ما تاريخ اليوم؟"

ترد هيلين: "العشرون."

يضرب بريخت جبينه بيديه:

"لهذا السبب أشعر بهبوط: إنه يوم ميلاد أيًا كان اسمه! ولهذا السبب كل شيء يشعرني بالغثيان، لا لا يمكن أن تكون هذه مصادفة، فالعملاء السريون القساة قد أُرسِلوا لاصطيادي، وسلالة التربة البدائية والرطوبة البدائية والكائنات الألمانية من العالم الآخر التي تزحف تحت سريري والأمراء التوتونيون يغيرون شكلهم إلى ضفادع زائفة."

تعود جريتي بعد ساعة، وبدلاً من الضفدع تكون السلة ممتلئة بترمس القهوة.

يسأل بريخت: "ماذا فعلت بمبعوث هتلر؟"

"تركته يتجول في المنتزه خلف الفندق؛ لأنه فقط ضفدع عادي من نوع كروتي."

"جريتي!؟"

"كروتي!"

"جريتي؟"

"إنه بالطبع كروتي."

يقترح بريخت: "ربما جوته."

قالت هيلا: "ماذا-ماذا-ماذا، يا له من مخلوق صغير مسكين مفيد أكثر منه ضار؛ لأنه يأكل الحشرات."

يبتسم بريخت ابتسامة ساخرة، ويشعل سيجارًا.

obeikandl.com

"نعم ربما أنا أيضا بالنسبة لرسام معروف أيا كان اسمه."

لا يسمي بريخت الفيهرر فقط بأيًا كان اسمه، لكن في بعض الأحيان يسميه الرسام مشيراً إلى رسومات هتلر ونشاطاته المعمارية في شبابه.

وربما أنا أيضا آكُل الحشرات لأجله! فكم مرة يحدث أن يصل الناموس إلى أعلى أنفي، وكم مرة لا آكل الماشية التي تدمر كل نمط البساتين؟!"

"أوه! آه! "

"لكن لماذا لن نحتسي بعدُ كوب القهوة الأول لليوم؟"

لا يعرف بريخت كثيراً عن الطبيعة المزعومة كما هو مذكور أعلاه؛ فهو لا يريد أن يعرف، يعامل كل شيء طبيعي بشك، وأيًا كان اسمه يحب التربة والأرض والدماء، وبريخت يضع نفسه أمام أيًا كان اسمه كرجل دولي، أيضا ككاتب أسفلي بلا جذور، والأسفلت متعادل، لكن التربة لها رائحة، وتصبح طينية وتتعدد وتربي الفاشية.

الدنمارك

عزيزتي روث أين أنت؟

وحدات القوات البريطانية تقوم بهبوط في النرويج بالقرب من ترونديهيم، ثم تتحرك في اتجاه الجنوب الشرقي، حتى تساعد القوات النرويجية في صد التقدم الألماني نحو الجنوب، وتحدث المعركة الأولى بالقرب من ليليهامر، وتغرق

سفينة بريطانية، وكل القوات الآن لديها بنادق وبنادق آلية، إنها معركة غير متساوية فلييهامر تسقط في أيدي الألمان، والقوات البريطانية تبدأ التراجع والألمان مازالوا يتعقبونهم!

كانت الدنمارك في موقف متشابك منذ البداية، فالغزو جعلهم غير مدركين، والجنرال كيرت هيمر الذي كان يقود العمليات وصل بشكل سري إلى الدنمارك في ٧ أبريل بواسطة القطار، ثم في فجر ٩ أبريل وصلت البحرية الألمانية، وتجاوزت مدفعيات الساحل ولم تطلق طلقة واحدة، بينما اقترح الوزراء أن يستسلم الملك، فقط رئيس أركان الجيش أراد أن يقاوم، حتى لو أجبر على التمسك بالمقاومة لن يحافظ على ذلك لفترة طويلة، فقد كان أزيز القاذفات الألمانية فوق القصر الملكي، وقد قرر الدنماركيون أن يستسلموا، وكان صعباً إبلاغ تلك الحقيقة لبعض قطاعات السكان؛ لأن محطات الراديو لم تكن مستعلة، وتعمل في ذاك الوقت المبكر جداً من الصباح، وقد قام مراسل راديو ألماني متعاون بإرسالها عن طريق شاحنة إلى القصر الملكي للمساعلة، هكذا تم خفض الخسائر إلى الحد الأدنى. وفقاً لشيرر فقد خسر الدنماركيون ثلاثة عشر رجلاً، بالإضافة إلى ثلاثة وعشرين جريحا، وفقد الألمان ما يقارب العشرين. وفي الثانية قام الجنرال الألماني بزيارة الملك كريستيان العاشر البالغ من العمر سبعين عاما، والذي كان أخا ملك النرويج هاوكون السابع، وعندما سمع الملك الدنماركي أن هتلر قد يسمح له بالاحتفاظ بحرسه أصبح أكثر مرحاً بشكل

ملحوظ، وأخيراً قال للجنرال الألماني: "هل يمكنني قول شيء لك كجندي عجوز؟ أنتم الألمان بدأتم شيئا لا يصلق، ويجب أن أعترف أنه تم القيام به بطريقة فخمة!"

لم يلاق الألمان أي مشاكل رئيسية مع الدنماركيين، فالسكان الأَصليون سُمح لهم بالاحتفاظ بقدر كبير نسبياً من الحرية، وأعلنت الدنمارك أنها حماية نموذجية.

هذا أيضا يؤثر على روث ومصيرها.

فروث رغم كل شيء دنماركية.

بينما بريخت في السويد زارته روث مرة، لكن بعدها عادت إلى الدنمارك في الربيع لتمثل في مسرحيات بريخت. كل من بريخت والحزب الاشتراكي التي كانت روث عضوة فيه (بوصفها معارضة لبريخت وهو ما لم يكن يوماً.) طلبا من روث مغادرة الدنمارك قبل أن تصبح الأمور أسوأ.

قبل أن يهرب بريخت إلى فنلندا أرسل خطابًا إلى روث في الدنمارك.

"من الآن فصاعداً سوف أتوقع منك أن تأتي عندما يحدث ذلك، وسوف أضعك دائماً في الاعتبار." وقد اقترح على روث أن تتصرف بهدوء وبمرح وبشكل عملي وحذر، وقد أعطاها رقم هاتف هيلا في هلسنكي، لكنه اقترح أن تحفظه، وتدمر المذكرة.

obeikandl.com

الفصل الثاني

obeikandl.com

obeikandl.com

أوائل ربيع ١٩٤٠

ـ ضيف ثنائي اللغة ـ

في هذا المساء وصل صحفي من الصحيفة الرئيسية المتحدثة باللغة السويدية.

وهو يشرح لبريخت أن فنلندا دولة ثنائية اللغة.

وبريخت يعرف ذلك بالفعل، لكنه لا يدعه يستمر.

يوضح الصحفي قليلاً أن بريخت غير مختلف تماماً بخصوص ثنائية اللغة، فهو بالطبع يسأل لماذا أتى إلى فنلندا، وبالطبع بريخت يريد الهروب إلى....

يقترح الصحفي: "الاتحاد السوفيتي؟"

ينكر بريخت هذا، ويقول إن هدفه في الواقع هو الولايات المتحدة، لكن التأشيرات تأخذ وقتاً، وسوف يضطر إلى انتظار إجابة هنا في فنلندا، ويتمنى ألا تأخذ أطول من شهر للحصول على التأشيرات.

obeikandl.com

المساء التالي

يأتي صحفي في المساء التالي من جريدة باللغة الفنلندية.

والآن يصبح بريخت أكثر حديثاً.

فهو معجب بفكرة أن الناس تعرفه قليلاً هنا، فلا يتوقع لاجئ أن يكون مشهوراً بين أجانب في دولة انتهى إليها بسبب الرسام، فقط السمكة حمراء العين والضفادع تعرفك هنا، وسائق التاكسي لا يتحدث معك عن أعمالك؛ حتى شك بريخت أنه تتم مقابلته بتحريض هيلا وأصدقائها، مع ذلك هو سعيد، وقد أصبح يتحدث إلى حد ما، ويخبره أنه لا يستطيع الحياة دون عمله، كما يقول إنه يبحث في سقوط الإمبراطورية الرومانية في الوقت الحالي؛ حتى يكتب رواية عن يوليوس قيصر.

يمكنك أن تأخذ انطباعا عن هذا العمل من كتاب هانز داهلكي، فقد ظلت الرواية سلسلة من الأقسام، وما أنهاه بريخت كان قصة قصيرة اسمها "مآثر السيد يوليوس قيصر"، كانت إحدى "قصصه الميلادية"، وقد اعتقد بعض الناس أن روما وألمانيا هتلر يمكن المقارنة بينهما، وأن بريخت قد تأثر بفيوختفانجر، والأخيرة نيرو الزائف كانت استعارة رائعة، لكنها لم تكن رواية تاريخية.

في الواقع، يعد بريخت قيصر رمزًا وطرازًا بدائيًا لكل أنواع الديكتاتور، وهو يتذكر فعلاً القول المأثور لهيجل عن

مديري عمل روح العالم، فبريخت يأخذه بشكل حرفي وجدلي، والبشر كلهم شواذ اقتصادياً، والفردية مجرد صفة في رجل الأعمال لكن روح العالم؟ ماذا إذا لم يذكرها هيجل؟ قد يكون ذلك أيضا لغزاً، وبعض الأشخاص عظماء جداً، والأعظم من العظيم قد يكون مان على سبيل المثال:-

يقول بريخت في مكان ما عن موضوع ابن توماس مان العصبي والشاذ جنسياً كلاوس مان: "العالم كله يعرف كلاوس مان ابن توماس مان، لكن من يعرف توماس مان هذا؟" (كلاوس مان نفسه كاتب قتل نفسه في المنفى عام ١٩٤٩).

"مان الكبير كان رجلاً عظيماً، فقد كان يعرف الكتاب المقدس كاملاً وأكثر، خاصة حياة يوسف... فهو عظيم جداً.. هل سمعت عن توماس مان؟"

يهز الصحفي الخائف قليلاً من بريخت رأسه، لكنه يغير حركات رأسه إلى شيء بين الهز والإيماء.

بريخت ليس أحمق.

يقول بريخت وهو يمدح ما رآه لتوه: "الحركة التي قمت بها برأسك جدلية، وعلى أي حال يقال إن توماس مان قد ادعى أن الأساطير قد تم وضعها بشكل أكثر بشرية، وتم دفعها بعيداً عن يد الفاشية، وإنها قد تكون ملكنا، أسطورة إنسانية.. خطأ! فالأساطير يجب أن يتم تدميرها! ويجب أن

obeikandl.com

يحل محلها علم الاجتماع، وقيصر ليس رجل أعمال العالم، لكن مجرمًا متأثرًا بالممولين! والديموقراطية البورجوازية والفاشية مجرد أثواب مختلفة للرأسمالية! نعم يا سيدي."

يطفأ بريخت رماد سيجارته، ويحرق إبهامه، ويخرج مسرعاً من الحجرة.

لا يجرؤ الصحفي على القيام بحركة، ثم يعود بريخت هادئًا الآن إلى حد ما.

يجلس ويشعل سيجارًا ثانية.... يصير الجو أكثر ظلاماً بالخارج.

يشتكي بريخت بهدوء ملحوظ من أنه قد جمع العديد من المواد بمرور الوقت، وقد وفرت له المرأة كل الوقت، وجبل المواد هذا يشكل خطراً يسبب انهيار القصة كلها، وهناك دائمًا يقدم الفكرة المجنونة لكتابة "السيرة الذاتية لقيصر"! فماذا يمكن أن يتضرر أكثر وأقل جدلاً! دع ذلك "الاسم العظيم" لمان الذي يكتب سير يوسف وزوجة بوتيفار.

مان الذي كرهه بريخت يندم فيما بعد على أنه لم يختَرْ في الحقيقة شخصا غير معروف على الإطلاق للكتابة عنه بدلاً من يوسف، حتى فرعون نفسه غير معروف.

يقول بريخت وهو ينهي خطابه: "لقد بذلت قدراً كبيراً من الجهد لتبسيط التاريخ الضروري لمشروعي، لقد أصبحت أكبر بوضوح."

يلقي الصحفي تحية الوداع، ويغادر بعدها بأشياء ملخصة كالآتي بمجرد أن يصل إلى المنزل:

"ما عدد العقول الأفضل في أوروبا المحبوسة الآن في حجرات فندق! حجرة فندق في فرنسا: ليون فيوختفانجر، غرفة فندق في نيويورك: توماس مان، حجرة فندق في هوليوود.. وبينهم طلائع وعقول تمتد في البحر وشعوب تقتاد من أوطانها، ولا يمكنني فعل شيء عن ذلك. إن صورة قديمة قد أخذتني بعيداً: والظلام كان على وجه العمق، وروح الله تتحرك على وجه المياه."

لكن شيئا ما كان يجب أن يحدث في الجنوب أيضاً.

تأتي هيلا في وقت الغداء وتقول:

"هناك شيء ما يحدث في كل مكان، حتى جنوب خليج فنلندا، أو هكذا يبدو."

لا تقول شيئا آخر.

لكن ماذا يحدث هناك في السواحل الجنوبية لخليج فنلندا؟ إنه يبعد فقط ثمانين كيلومتر، وهناك ولدت هيلا!

طلبت روسيا من أستونيا أن تقبل قوات إضافية قدرها ١١٥٠، سوف تتمركز في ميناء بالديسكي.

كم عدد القوات الروسية المتمركزة بالفعل في أستونيا؟
إنهم ٣١٦٤٧ بالنسبة للعدد، لكنهم ليسوا مرئيين تماماً؛ لأنهم يبقون داخل القواعد العسكرية السوفيتية، التي تم

بناؤها في ١٩٣٩، وفي ذلك العام تم توقيع معاهدة يستطيع بموجبها ٢٥٠٠٠ جندي دخول أستونيا، والآن هناك طلب آخر، وهذا هو وقت مد القواعد، بينما يشير الاتحاد السوفيتي إلى وجود آلاف القوات على الأراضي الأستونية لا يشكل بأي شكل سفينة الدولة، وتجنب إعطاء هذا الانطباع، وقد تم منع الجنود من الاختلاط مع الأستونيين، فلم يكن مسموحاً لهم الحديث معهم.

وفي السابع من نوفمبر حين أراد اليساريون الأستونيون الاحتفال بثورة أكتوبر العظيمة رفض مولوتوف ذلك، مرسلاً كلمة عبر السفير السوفيتي نيكيتين، كما لم يرغبوا أن يلقي وزير الخارجية الأستوني بيب خطاباً مؤيداً للسوفيت.

في كل هذه الأثناء، تستمر القوات في التدفق.

وفي هذا الوقت تماماً يكون المتخصص في الأدب الأستوني إدوارد بال في لينينجراد ليضع اللمسات الأخيرة على ترجمته للبرنامج القصير للحزب الاشتراكي الجمهوري الدولي، وهذا العمل – وفقا للشائعات – تمت كتابته بواسطة ستالين نفسه! وبحلول الخريف كان الإصدار باللغة الأستونية قد تمت طباعته.

ثم تندفع هيلين إلى الحجرة قائلة إنها أخيراً وجدت شقة.

"في منطقة العمال"

هيلا لا تعرف هذا الجزء من هلسنكي..
لكن عندما تدخل هيلين في تفاصيل أكثر تكتشف هيلا أن ذلك في تولو، التي هي منطقة لطيفة وهادئة إلى حد ما بجوار المركز.

يقول بريخت: "وماذا بعد، إنه حيث يكون، وفي النهاية لا يصنع الأمر أي فارق، ولأني دَعَّمت دائماً حقوق العمال فليس هناك شيء يوقفني عن دعوة الجزء، الذي أعيش فيه من المدينة بمنطقة عمال."

هذه القصة عن منطقة العمال تمت إعادتها في العديد من السير الذاتية، وخاصة في شوملخر، وأيضا في هايمان، وقد كان عنوان الشقة لينانكو سكينكاتو ٢٠أ في مبنى متميز وذي موقع مركزي، ووفقاً لبعض التقارير فقد استلم بريخت الأثاث من الشيوعيين الفنلنديين، وكتب فيما بعد قصيدة عن هذه المساعدة، مسمياً إياها إيثار من قبل العمال الفنلنديين.

العمال يقدمون مساعدة أكثر.

في الشقة أربع حجرات، والمطبخ به كل الرفاهيات الحديثة، حتى الثلاجة الممتلئة بالطعام.

كل أشياء بريخت لا تزال في السويد.
لكنه الآن وجد ثانية ضروريات الحياة.

أسوأ شيء بالنسبة لكاتب - كما يرى بريخت - لا أن يضطر إلى إغلاق فمه، فالأسوأ عندما لا يكون شيء لتقوله عبر ذلك الفم.

يتم تعيين تيربوفان مفوضا عاما للنرويج، حتى الآن اعتقد فيدكان كويسلينج نفسه قائداً للشعب، هناك فمن ١٩٢٢-٢٦ كان مساعد نانسين في الاتحاد السوفيتي وآسيا الصغرى، وفي ١٩٣٣ أصبح وزير الداخلية، وبعض الناس سموه حزب الوحلة القومية لكويسلينج المنظمة المؤيدة للفاشية، لكن الآن تم غزو النرويج من قبل الألمان الذين لم يعودوا يسمحون له بإدارة الدولة، وقد كان له أيضا سلطة صغيرة بين الناس العاديين، وهي أقصى وظيفة تقدم لتيربوفين، وهو نازي شاب مبتدئ.

في هذا المساء يلتقي جوبلز نجمة الفيلم جيني جوجو في برلين، وهي في الخامسة والثلاثين من عمرها، وقد ظهرت في بداية حياتها في الأفلام الصامتة، وبمجرد أن أصبحت نجمة تم إرسالها إلى بلغاريا؛ لتمثيل الرايخ الألماني هناك. ويعتقد جوبيلز أن جيني حادة وماكرة، وقد دربها الوزير بالفعل قبل ذلك، وقرأ عليها قانون مكافحة الشغب، بينما يضعه أساساً بخصوص السلوكيات، وهذه الصفة الأخيرة لم تظهر لجوبلز، فثلاثتهم كانوا عادة يشاهدون الأفلام معاً (كون هتلر الطرف الثالث الموجود)، التي قد تعلم جوجو شيئاً ما، ومن وجهة نظر جوبلز فهي تعاني من جنون العظمة، لكن الآن يعتقد جوبلز أنها قد تستطيع فعل شيء

للقضية الألمانية في البلقان؛ فطلب جاجو رفع راتبها يترك الوزير باردا نسبياً، وبدلاً من ذلك يعلمها كيف تتصرف في دولة أجنبية، يشرح جوبلز: "يجب أن يتم استخدام الحقيقة قدر الإمكان، وبخلاف ذلك يفقد المصدر مصداقيته، فالأكاذيب مفيدة فقط حين يكون مستحيلا تجنبها، وتحت ظروف معينة قد تبدو الحقيقة كذباً، ومن ثم تكون مضطراً للتخلي عنها، والا بتسام أيًا كان ما تفعله."

عندما تغادر جوجو يتذكر جوبلز الكوميدي هاينز رحمان، وقد أصبح متغطرساً جداً، ويجب أن يتم إعطاؤه تحذيرًا آخر كما يرى جوبلز.

وهكذا: معجزة! عندما يدخل بريخت يكون الأثاث في مكانه بالفعل، والشقة بالطبع صغيرة جداً: فقط ثمانون متراً مربعاً من إجمالي مساحة الأرض، لكن تحت ظروف الحرب يعيش العديد من الناس بشكل أسوأ من ذلك.

لا يعرف بريخت أيا من الحجرتين تواجه الشمس؛ ليشغلها ويستخدمها حجرة مكتبه، وهو يفكر كثيراً.

الليلة الأولى في الشقة الجديدة، وبريخت يشعر أن هناك قمرين.

هذه الفكرة تضايق بريخت؛ فبها شيء غير عقلاني، لكن ليس بسبب أن الناس لا يكونون قادرين على التفكير في الظروف والأهداف، التي لا يمكن تبديلها عن طريق التفكير، فالأشخاص الذين لا يعتمدون على عمليات

التفكير هل ينبغي أن يفكروا في هذه الأشياء؟ فمعدات تفكيرك تنهار وتنشأ الأفكار الشاذة والأنانية حتى السببية، ينبغي فقط افتراض أنه يمكن إظهاره، واذا كانت قطعة مجنونة من الدليل المادي يجب أن تأتي، فمن ثم يجب أن تنتهي، أو يتم تجاهلها، وإذا كان شيء ما بلا تناقضات يجب ألا تعيره أي اهتمام.

لكن مازال هناك قمران في السماء: المنخفض والآخر فوقه.

نعم، قد يكون جدلياً بالرغم من أنه ما زال غريباً جداً. لكن بعدها في الظلام يمر فنلنديان وهما يتحدثان بأصوات منخفضة.

يقول أحدهما وهو يبتسم: "الما."
يرد الآخر، ويبتسم الابتسامة الدافئة العصبية نفسها كالأول: "المازيلما."

بريخت متأكد أنهما عاملان؛ فالطبقات المتوسطة والرأسماليون لن يكونوا بالخارج في الليل، وهم لا يضحكون بهذه الطريقة العامية، فقط ضحكة رفاق عاديين تكون دافئة.

يضحك العمال الفنلنديون في ليلة ربيعية، وهناك اثنان منهم، وهو علامة على أن اثنين فقط قد يقومان بحوار، لكن عندما تكون وحدك تتجول في كآبة وصمت.

بريخت مرتاح الآن، وينظر إلى السماء فقط ليتأكد، وهناك بالطبع قمر واحد فقط، وبعدها يذهب للنوم.

تالجو

في يوم الجمعة، يجلس بريخت في مطعم محطة السكة الحديد مع الشاعر الفنلندي السويدي المر ديكتونيوس.

ديكتونيوس مؤلف بوليتاري، على الأقل هذا ما اعتقده بريخت منذ اكتشف أنه كان مدرس الموسيقى لرئيس حكومة تيريجوكي أوتوفيلي كووزينين، وما لم يعرفه بريخت وديكتونيوس بالطبع هو أن زوجة كووزينين تخوض الآن عبر نهر أوسا المتجمد باتجاه مخيم العمل في فاركوتا في أعماق روسيا، وقد وصلت ثلاثون سجينة من كوشميس، بعضهن يمشين عاريات الأقدام عبر المياه المتجمدة، وليس هذان الرجلان فقط من لا يعرف ذلك، وقد اختفت زوجة كووزينين دون أثر، حتى كووزينين لا يعرف أين زوجته، ومن المفترض أنه لا يريد أن يعرف؛ لأنه من الأفضل ألا يكون له أي علاقة بعدو الناس، وبريخت يعد كووزينين القائد الحقيقي للطبقة العاملة الفنلندية.

بينما يستمران في حوارهما يتضح أن ديكتونيوس حارب في حرب الشتاء في جانب الحكومة الفنلندية البورجوازية.

هذا مثير للفضول، بالرغم من أنه قد يخفي فعلا جدليا أو آخر.

يسأل بريخت: "حسناً، الحرب هي الحرب، لكن ماذا الآن؟"

يشرح ديكتونيوس أن تطلعات فنلندا قد تطورت، والآن هناك أمل في أنها سوف تنجح في الحفاظ على الحرب الكبيرة.

يفهم بريخت وجهة نظر ديكتونيوس إلى حد ما، فلا شيء يمكن القيام به إذا كانت التكتيكات غير الجدلية للحكومة السوفيتية المؤقتة قد نتج عنها عقول أكثر تنويراً، لتتحرك باتجاه اليمين.

ثم يؤكد ديكتونيوس حقيقة أن الفنلنديين لديهم مخاوف كبيرة، فعملياً كل واردات فنلندا قد جفت، ولاجئو الحرب يصلون من كاريليا، وهم أشخاص يمكن تسكينهم في أي مكان.

تقريباً أكثر من نصف كاريليا (٢٤٧٤٨ كم) تم تسليمها إلى الاتحاد السوفيتي، فجزؤها الجنوبي ينتمي الآن إلى روسيا حتى مقاطعة لينينجراد (الآن: سانت بطرسبرج)، بينما الجزء الشمالي ينتمي إلى ما يسمي الجمهورية الكاريليتية السوفيتية المستقلة، كل هذا وفقاً لمعاهدة موقعة في ١٣ مارس ١٩٤٠. هكذا انتهت حرب الشتاء (في هذه الحرب مات تقريباً ٢٣٠٠٠ فنلندي وما بين ٢٠٠ و٢٧٠ ألف روسي)، وفي اليوم التالي مباشرة كانت كل مركبة تقريباً في فنلندا مطالبة بإخلاء الفنلنديين الكارليتيين الذين ما زالوا في روسيا، وهم حوالي ٤٠٠ ألف شخص هارب.

على فكرة، أتى اللاجئون الكارليتيون إلى مزرعة هيلا أيضا، وقد بدأوا العمل في الأرض، بينما تحاول هيلا إيجاد مسكن لهم.

"ثيوسيديدز: الأقوى يفعل ما يشاء والضعيف يوافق على ما يستطيع." (اقتباس بواسطة الدبلوماسي ي. كفيتسينسكي في جريدة ليتراتورنايا جازيتا ١٢-٨-١٩٩٢).

يعتقد بريخت أن البيرة الفنلندية ليست بيرة حقيقية، فهي توازى حقيقة أن السيجار المحلي هنا ليس سيجارا حقيقيا.

شخص ما يعزف تانجو هادئا على الكمان والبيانو.

وصل التانجو إلى مسامع بريخت في بعض المناسبات في هذه الدولة.

بريخت يسأل ديكتونيوس لماذا يسمع موسيقى التانجو كثيراً جداً في فنلندا، بينما هي في الحقيقة نابعة أساساً من دولة جنوبية، وهي الأرجنتين.

يعتقد أن التانجو قد أتى من أفريقيا إلى الأرجنتين، وليس من أسبانيا مثل الرقصة المشابهة الفاندانجو، كما هو الاعتقاد العام، وفي لغة البانتو تعني كلمة "تانجو" "أن ترقص"، وهناك نظرية أخرى ترى أن التانجو متعلقة بالسانجو، وهي إلهة الرعد لأوروبا.

obeikandl.com

يقول ديكتونيوس إنك إذا قمت بعزف موسيقى التانجو ببطء تصبح حزينة جداً، وبالنسبة للتانجو الأرجنتيني السريع يعد ببساطة موضوعا شعوريًا، لكن إذا كنت تبطئ في تسجيل التانجو الأرجنتيني بيديك سوف تسمع على الفور موسيقى حداد، وقد أصبح التانجو البطيء رقصة فنلندية قومية، وهذا يعكس الكآبة اللامحدودة للأشخاص القطبيين الشماليين البدائيين، وهو ما تم إيقاظه في الليل القطبي. ويعد الناس وهج غروب الشمس في الأفق في تونترا انعكاسا للجوع والعيون الصفراء الباهتة للذئاب.

الفنلنديون في المرتبة الثانية عندما نتحدث عن الإحصائيات العالمية للانتحار....

صديق حميم لمؤلف هذه الرواية الباحث في عمليات الانتحار أو عالم الانتحار، إيري فارنيك، بقى لعلة شهور من سنة ١٩٨٩ في فندق هوسبيز في الحجرة نفسها التي عاش فيها بريخت قبل انتقاله إلى لينانكو سكينكاتو.

في هذا القرن أثرت التانجو بالتأكيد على حالات الانتحار في فنلندا؛ حيث إنها تولد العاطفة في الشعوب الفينواوجرية. والمجريون في المركز الأول عندما نتحدث عن الانتحار، أليس كذلك؟ فالمزاج القومي قد تأثر بقدر كبير هناك بواسطة إصدار التانجو "الأحد الحزين"، وبعد الاستماع إليها ذهب العديد من المجريين إلى الانتحار.

ديكوتونيوس غير اللامع تقريبا والبوليتاري – في تقدير بريخت – يستعد للذهاب الآن.

"إيقاعات التانجو تدخل مباشرة إلى مسار الدم في أي فنلندي، وهي تندفع عبر أوردته مثل موجة غليان، خاصة إذا كان مخموراً، ثم يندفع الدم إلى رأسه، وتقبضٍ يداه بشكل تلقائي على السكين، الذي يكون لديه دائماً، وهو يعتقد أن كل العالم بشكل فردي ومجتمع، وكل عناصره بشكل فردي مثل الصخور والماشية أو الثلج – تتمايل على إيقاع واحد، بما في ذلك هو نفسه، وغدده الليمفاوية حتى أصابع قدمه. ثم يسمع صوت الذئب الداخلي داخل نفسه، وهو صوت يحثه على ارتكاب جريمة اغتيال عربيدية، ثم يندفع بطيش عبر الأشجار السميكة، ويطعن السكين في ظهر خصمه، الذين كان يتبول ببراءة في الخلاء."

بريخت يهز رأسه غير مصدق.

يخطئ جانب التحذير، نعم فقد قرأ أن الدول الشمالية والناس يتم أسرهم بقوة نتيجة الهستيريا القطبية الشمالية، ولا يمكنك تعيين وقت سقوط القيود.

لا يمكنك أن تثق تماماً في ديكتونيوس هذا، لكنه الآن يبدأ قراءة قصيدة، وفيها يصف نفسه ككتلة كبيرة من الجرانيت، الذي دائماً بالطبع يكون صلبا وباردا، لكن داخله غليان وغضب.

وعند امتلاء الأنبوبة بجذر ديكتونيوس شعرياً:

/ bli grön ، "... jag har lust att rusa fram
/ ، / Jag ville flamma som norrsken،skog
vridas I blixtparoxysmer";

("..... لدي دافع الاندفاع للأمام / وأصبح غابة خضراء، أنا أريد الاندفاع في اللهب كالأضواء الشمالية، / وأتلوى في نوبة!")

في آذان بريخت يبدو ذلك مروعاً، فهو لا يريد أن يقوم أي شخص بالالتواء في النوبة، فهذا ليس لائقاً، ولندع الرسام وحده يقوم بهذا. وديكتونيوس بالتأكيد روح بوليتارية، لكن بريخت ليس خائفاً منه، فيد ديكتونيوس رقيقة وموسيقية، وبريخت يعرف أن الكلب الذي ينبح لا يعض، وقد رأى قبل ذلك كيف يعبث الكتاب البوليتاريون مع الانحلال.

تختفي الجدليات في ذلك، ويستمر بريخت زخرفة موضوعه الحبيب.

"آه، نعم النوبة، هم أيضا... لكن ليست هناك أفكار محددة، فالأفكار عابرة، ولا قيمة لها دون أي مسئولية، فهي مثل السكارى الفنلنديين: يلعن كل منهم الآخر ويطعنه بينما يرقصون التانجو...."

يقول ديكتونيوس، وهو يدعو بريخت للعودة إلى عالم الواقع: "الفنلنديون لا يطعنون الناس في أثناء رقص

التانجو، لكنهم يرقصون أولاً ثم يطعنون."
لكنك تحاول فقط إبطاء بريخت!

يوافق على الفور: "هذا جدلي، فهم يرقصون ويطعنون بعد الرقص، والرقص والسكين ينتميان لبعض، ويؤثران على بعض، وهذه المفاهيم تكون في علاقة جنسية، وشجاراتهم العائلية عاصفة، ولا يمكن التنبؤ بها، خاصة عندما لا يمكنك أن تمسك بالأحداث، وكلما ترتفع أكثر ترى أكثر، فمن أعلى يمكنك ملاحظة زوج واحد يشكل نمطًا من الأزواج مع الآخر، وهكذا ما يبدو من النظرة الأولى ثرثرة عشوائية وصخب يعود حتمياً للاندماج معاً في اتحاد للمتناقضات، وعندما تكون وحدها ومنفصلة لا يحدث شيء، ويجب أن يكون هناك شيء بالخارج مع نفسك، على سبيل المثال مثل دولة غريبة بالنسبة لك، وتصادم مهاجر مع بيئته حاد جداً، ولهذا السبب يكون المنفى أفضل مدرسة للجدليات، ويمكنك أن تطلب رقصة في دولة أجنبية، ولا يمكن أن تتأكد أنك لن يتم طعنك فجأة بشكل غير متوقع إلى حد ما... وأنت...."

يفكر بريخت للحظة، ويشعل سيجارا آخر:

"لكن لأنك مركب لا يستلزم تغييرات إضافية! فاللاجئون لاجئون فيما يتعلق بالتغيير! وهم لا يعرفون شيئا سوى التغيير، فهم يفحصون السماء والأرض وسلوك الطبقات المضطهدة، وهم يفحصون تعبيرات كل وجوه المضطهدين في قلاعهم، وأقل إشارة توحي بأعظم مرور للأحداث، ومن هم مثلنا لديهم عين جيدة على

المتناقضات."

يرفع بريخت كأسه.
ويقول بنعومة: "إلى التغيير."
يكرر ديكتونيوس: "إلى التغيير."

ويضربان كأسيهما معاً.....
في خطوات المسرح البورجوازي

عندما ذهبا في طرقهما المختلفة يسير بريخت بتلقائية إلى الهوسبيز.

المدينة في شبه ظلام كالمعتاد، وهذا فيما يتعلق بالحرب والربيع، فقد انتهت الحرب وكذلك الربيع.
سحب كبيرة داكنة تتحرك عبر السماء الصفراء، وبرج بناية محطة السكة الحديد السوداء يقف ملطخاً بالشك الرومانسي، والرياح تحرك الغبار، ومحارب قديم يتمتم بكلمات تسول في لغة أجنبية.

يصعد بريخت إلى الستار عن طريق مدخل المسرح، وينظر إلى الإعلانات دون أن يفهم اللغة، ويعرف ببساطة أنه المسرح القومي.

تم بناء المسرح القومي لأول مرة في مبادرة كارلوبيرجبوم سنة ١٨٧٢، والمبنى الحالي له واسمه من ١٩٠٢، وبعد بريجبوم تم إدارة المسرح على أساس أكثر جدية بواسطة إينوكاليما (١٩١٧ – ٥٠)، آرفي كيفيما (١٩٥٠ – ٧٤) وكاي سافولا

(١٩٧٣ – ١٩٩٢).

حسناً، إن المسرح القومي الفنلندي هو مسرح يعرض مسرحيات كيرستي بيرجوزة آنوميكو! وبعض مسرحيات غرفة الرسم الهزلية بلا شك! وبريخت ينظر إلى برنامج المسرح لفترة، ويبدو لطيفاً للغاية، كما يعتقد بريخت، ولأن المسرح مؤسسة ثقافية فقد نهض ثانية بسرعة جداً بعد أن انتهت الحرب، لكن على الجانب الآخر هو مقتنع تماماً هنا (كما في السويد من حيث أتى) بما يمكن تسميته مسرحا واقعيا يسود المشهد، وخلف الواجهة الثابتة يتم تمثيل المشهد بتعاطف داخلي، وهنا يدفع الجمهور لأن يصدق أنهم يمكنهم اكتشاف عطر بستان الكرز الواقع خلف المبنى...

في المنزل

بريخت يذهب إلى البيت لرؤية ماذا يجري في حجراته، ويفتح بابا أو اثنين بحذر، ويجد الأطفال نائمين، وهيلين أيضا نائمة.

هناك ضوء في المطبخ.

تجلس هناك جريتي تقطع أهم العناصر الإخبارية من الصحيفة؛ حتى تُعلم بريخت بها في الصباح. وتحت السقف يشتعل مصباح غير مظلل ونص المسرحية الصينية مفرود أيضا على الطاولة، وتتعامل جريتي دائماً مع هذا في الصباح، وفي بعض الأوقات تعيد نسخ الأجزاء المشوشة،

أو تصحح العيوب الصارخة في المنطق، وجريتي تتبع تطور المؤامرة عن قرب حيث يصبح العمل أطول وأطول، وبريخت يبدأ في فقدان المسار من حيث بدأ أو يذهب، وبمصطلحات أوسع هو يعرف بالطبع أين يقود، لكن هناك تكرارات حتمية وأماكن تخرج فيها المؤامرة عن الحدود.

لا تعجب بريخت حقيقة أن مرض السل في حالة جريتي يدخل مرحلته الأخيرة.

"الثورية الصغيرة" في طريقها للمغادرة، كل شيء يشير إلى ذلك، فقطرات العرق الصغيرة تتلألأ على جبينها، ووجنتاها متوردتان، لكن مقصها يقطع برشاقة، وتكدس المواد في حياتها، وأعمال الرسام على قدم وساق، وجريتي ترتدي فستانا قطنيا على جسدها النحيل.

رغبة ملحة تجتاح بريخت؛ فيشعل سيجارا..

يقوم بحركة مناسبة، تنهض جريتي، فيدير ظهرها عليه، ويضغط بريخت جريتي على الطاولة، ويرفع الفستان القطني، وينزل سروالها التحتي، ويضاجعها من الخلف.

لا ووليجوكي ولا فيجل خائفان من مارجريتي، فهي صغيرة، وفي رأي هيلا ضعيفة وممتقعة بشكل مميت، وهي تعرف العديد من اللغات (بالرغم من أنها لم تتعلم الفنلندية أبداً؛ لأنها اعتقدت أنها لغة معقدة جداً، وهيلا بعد كل شيء تتحدث الألمانية بطلاقة.)

وبالرغم من ذلك كانت مجنونة ببريخت، وبالرغم من أنها لم تكن غيورة من فيجل، التي كانت ذكورية ونحيفة، فقد رأت جريتي تهديداً في عودة روث النبيلة المتألقة الطويلة إلى الظهور.

قام بريخت في السونيتة الثامنة الخاصة به بكتابة أنه ومارجريتي مارسا الجنس خلف الشجيرات في ليلة ما على سرير خشبي وفي مكتب بين خزانة والنافذة وفي منحدر تل وفي فندق وفي وطن البوليتاريين وفي الرايخ الرابع وفي كل فصول السنة، وبالنسبة لبريخت كانت ستيفين خبيرة في لغة السكان المحليين وهي قد تصحح استخدام بريخت الثقافي للغة.

لقد قيل إن عيون مارجريتي الزرقاء مان بها "نار غضب" منها.

بضعة صفحات من المسرحية الصينية قد تجعدت، وجريتي تسويها.

يضرب بريخت رأس الثورية الصغيرة، وينفخ في جبينها المغرق بالعرق، ويذهب إلى حجرته.

إنها مظلمة هناك..

فجأة تلمس يد بريخت شيئا باردا وهو يصرخ، ويضيء النور بسرعة، وهو بالتأكيد ليس ضفدعا، لكنه إناء القهوة النحاسي البارد الآن.

يكتب بريخت قصيدة:

بجوار الحائط الأبيض ترقد حقيبة جندي سوداء ممتلئة بالمخطوطات، وبها مواد تدخين ومنفضة سجائر نحاسية ومنسوجة صينية بها تصوير مريب معلقة على الحائط فوقها، وهناك أيضا أقنعة، وبجانب الرف جهاز لاسلكي سداسي الصمام صغير، وفي الصباح الباكر أدير مقبض الباب، وأستمع إلى الإذاعات المنتصرة لعدوي.

لقد تمت الإشارة إلى أنه عند وصف الحجرة كان بريخت انتقائيا في أي أغراض يذكرها، وهذا يعطي انطباع أن الحجرة فارغة، وأن كل ما هناك هو حقيبة والمنسوجة والرف وجهاز اللاسلكي، في الواقع كان هناك العديد من الأشياء في الحجرة المفروشة.

أبعد بثمانين كيلومتر تجاه الجنوب في سينما جلوريا بالاس، يتم عرض الفيلم امرأة من نيسكافوري، *المبني على مسرحية لهيلا ووليجوكي، وهذه أكثر مسرحيات هيلا شهرة، وقد كتبت سلسلة كاملة من المسرحيات عن العيش في المزرعة تسمى نيسكافوري قصة عائلة بالكامل عبر أجيال عديدة، بالرغم أن المرأة القوية والبراجماتية وحساسيتها تسيطر على المشهد، والرجال يتم تحديهم وتجاهلهم.*

أوه، هذه الدولة الصين

لقد استطاع بالكاد رؤية هذا المشهد!

هل يجب أن نشرح ما هذا؟ هل سنكون قادرين على شرح المشكلة، حتى لهؤلاء الذين لا يريدون معرفة أقرب ببريخت كشخص، حتى لهؤلاء الذين لا يصدقون أن بريخت موجود؟

على أي حال إذا قمنا بكل هذا المجهود لاختراع بريخت، يمكننا أيضا اختراع مسرحياته عن الصين وسلسلة الأمور المرتبطة بها.

لدى بريخت هذه الفكرة الثابتة لبعض الوقت، وهي أن التعارض الجدلي البورجوازي الذي يتضمن "الأخلاق ضد السعادة" ببساطة لا يوجد.

فالأخلاق والسعادة هما الشيء نفسه وذاته.

فكلاهما عكس واقع أن الأخلاقي سعيد، لكن الحياة تتطلب الحزن والشر؛ لذا يجب أن تجهد نفسك، فعدم الأخلاقية تحتاج جهداً.

ليس من السهل أن تكون سيئاً.

كان بريخت يريد تصوير هذه الفكرة لفترة، والآن يبدأ في العمل.

بطلة روايته هي لي جونج التي تظهر أنها من جانب الخير.

لماذا لي جونج؟

لماذا لا تكون لي جونج حينما تكون المسرحية في الصين؟ هذا يحقق عامل الاغتراب.

obeikandl.com

أنت دائماً تعرض شخصا من الصين بشكل مختلف عما تفعل مع ألماني، وبعض الأشياء تصدمك بقوة فإذا انزلق ألماني على قشرة موز لا يسبب هذا أي مفاجأة لأي شخص، لكن إذا حدث هذا في الصين فإننا الألمان سوف يرون هذا المشهد كما لو أنه يحدث للمرة الأولى، ويبدأون في التفكير في ما هو الموز؟ وما الإنسان؟ وماذا يقع؟.

عمل مسرحية في الصين يسمح لك باستخدام عديد من التأثيرات المسرحية الصينية.

لكن بريخت ما زال لديه مشاكل مع مسرحيته؛ لأنه لا يحب الموضة الصينية السائدة بين الطبقات الحاكمة، فالعبث مع الصين شيء يقوم به الأغنياء بأعداد كبيرة، لكن مع هدف مختلف إلى حد ما بالنسبة لعقل بريخت.
فالحرير والعربات والمعابد والمظلات.

يرى بريخت بعيني عقله مدينة صناعية أوروبية كبيرة ونصف منتهية (وفاشلة)، حيث الأشجار رمادية مع الغبار والدخان، الذي يغطي الروح والمدينة؛ لذلك يصبح تقريباً من المستحيل العيش هناك.
هذا حيث تعيش لي جونج، وتكسب عيشها بوصفها عاهرة.
في رأي بريخت العاهرة مليئة بالأنوثة وعفوية وقريبة للطبيعة، وفي الوقت نفسه هي منتج للعلاقات الرأسمالية، وهنا تظهر الجدلية.

تتفاعل لي جونج بشكل لا معنى له، وفي ذلك هي تمثل روث بالنسبة لبريخت.

تقوم روث أحياناً بأشياء متوحشة، فهي تصرخ: الكل أو لا شيء! وروث جميلة وطويلة ومرعبة، ولديها هجمات غضب وعاطفة، وكلاهما قد يؤثر على لي جونج أيضاً.

الآن تولد شخصية أكبر من الحياة: قاسية ومحبة وطيبة ومعطاءة وحرة وعطوفة.

لي جونج تحب طيارًا.

لقد أحب بريخت دائمًا الطيارين، وأفكاره تدور حولهم. كتب مرة مسرحية عنهم، حيث كانت الطائرات والطيارون تجسيدًا لكل أنواع الأقسام الفلسفية، ثم كتب مسرحية أخرى عن موضوع الطيران، وكلا العرضين سببا فضيحة رئيسية في ١٩٢٩، الأولى كانت رحلة ليندبرج، وقد تنافس أمل الطيار مع نفسه وتكنولوجيا الضرر مع مساعلة الله، وحيث إن ليندبرج تحول بعد ذلك إلى نازي، فقد شعر بريخت بالإهانة، وغيّر اسم المسرحية إلى رحلة المحيط. والمسرحية الثانية كانت درس بادن بادن في الموافقة، التي صورت طيارين يحتضرون، وقد أرادوا أن يغيروا العالم بأي تكلفة، في الاتجاه الإيجابي بالطبع!

تقع لي جونج في حب طيار، وهذا الطيار غير موظف في الوقت الحالي، ولأنهم غالباً في مجتمع رأسمالي فلي جونج تلتقي بالطيار في الحديقة، حيث يريد أن يشنق نفسه؛

وقد أصيب بنوبة إحباط، لكن خلاف ذلك هو من النوع الرجولي. وبريخت يقرر تصوير الطيار نفسه، فالطيار صن يقرر استغلال لي جونج، حيث يبتز الفتاة لإعطائه المال الذي تقترضه، وينوي الطيار شراء مالك الجراج أو حظيرة الطائرات في بكين، وبفعل ذلك يطير مرة أخرى.. يطيح المدير الفاسد بطيار شريف، ويعطي الوظيفة لصن، والأفعال اللاأخلاقية للطيار لا تقلق العاهرة لي جونج، فقط كرست نفسها للطيار، وأعطته المال، وصن وعدها بالزواج، وقد قررا الذهاب إلى بكين معاً، واعتقد بريخت أن صن كان قادراً فقط على شراء تذكرة طائرة واحدة (بعد سلسلة من المغامرات يمكن أن تتحول التذكرة إلى اثنتين على أي حال).

يصف بريخت لي جونج وهي تنظر إلى السماء على طيارة تطير هناك، وهذه تجربة إيجابية، فلي جونج تنظر إلى السماء وتصيح:

طيار أشجع من الآخرين بين السحب، يطير في عواصف شديدة، وهو يتحرك عبر السماء؛ ليحضر أصدقاء من دول بعيدة ببريد الود.

لي جونج طيبة، والطيار طيب، ويحضر البريد السعيد. لكن بعدها تدخل الجدليات المشهد، فثلاثة آلهة تصل المدينة، وهم ليسوا آلهة صينية ولا مسيحية، لكنهم ببساطة آلهة، والرجال الثلاث الذين وصلوا معضلة أخلاقية، فهم يعتنون بالشخص الطيب، الشخص الوحيد الذي يعطي

انطباع أنه طيب هو لي جونج، وهم يعطونها مالا لإنشاء محل لبيع التبغ.

لكن لي جونج طيبة!

تعطي تقريباً كل المال لكل من الأشخاص الطيبين والمحتاجين والأوغاد أيضاً.

وكذلك الطيار الرجولي صن في بنطاله الجلدي شخص ما ليس طيبا ولا شيء، ولكنه ببساطة هو نفسه يخيف لي جونج، ومع ذلك لا يرغب في القيام بأي ضرر.

لذلك ليس هناك شيء بقى للي جونج تقوم به سوى القسمة بالنصف.

هذه جدليات، فهي تقسمه بالنصف.

وتستمر لي جونج في تمثيل الخير والسعادة، لكن وجهها الآخر ابن أخيها لاوجو سيئ جداً.

لي جونج هي لاوجو ولاوجو هو لي جونج، فهما متناقضان، لكنهما معاً يشكلان مركباً، والأكثر أن من يمثلهما ممثل واحد.

ابن الأخ لاوجو بعيد جداً عن الخير والسعادة، فهو عقلاني وحسابي وقاس، ويقوم بالعمل دون إحساس، فهو واقع في طبقة المجتمع، ويجعل صناعة التبغ مربحة، وقريباً يكون لديه مصنع كبير، فهو يستغل الناس بلا رحمة؛ وهذا يجعله يربح الكثير من المال.

وهكذا يستغل لاوجو الناس، ويعيش في نفس جسد لي جونج الطيبة، وعن طريق هذا المال يمكنها مساعدة الفقراء بفعالية أكبر.

هذا صحيح بشكل جدلي، لكن في الوقت نفسه يعتقد بريخت أنه يبدأ في فقدان مسار المؤامرة.

ينظر من النافذة والسماء تضيء.. الصباح! وسوف أبقى متيقظاً! يدخل بريخت في حالة ذعر معتدلة، فكم هي الساعات التي قضاها بلا إنتاج على بضعة صينيين، يا لها من مضيعة للوقت! ينهض بريخت، ويمشي إلى جريتي.

الجندية الثورية الصغيرة نائمة، وعلى الضوء الشاحب للفجر يمكنه رؤية خيط اللعاب يسيل على وسادتها من جانب فمها.

يتحرك بريخت ويلمس كتفها النحيف.

تفتح جريتي عينيها على الفور، فيهمس بريخت: "نامي، نامي، سوف أحضر لك تلك الوسادة الصينية؛ فلا يمكنني أن أتحمل المنظر أكثر من ذلك، سوف نرى غداً ما يمكننا عمله، أليس هناك فوضى في الوقت اليوم؟!"

تدون جريتي هذه الجمل، فمن الجيد أن يكون معها مقال يوري لوتمان "تحقيق العدل في السير الذاتية"، وهنا يمكنك أن تجد أفكارًا شيقة عن هذه المشكلة المعقدة، حيث يمكنك استخدام شخص جامد بطلا أدبيا، وليس هذا بالسهولة التي تبدو، فما يثير هو أني لا أرغب من أي أحد آخر أن

يكتب قصة عن حياتي – باستخدام اسم زوجتي، وعلى الجانب الآخر ليس لديّ شكوى بخصوص أي شخص يكتب مسرحية عن ريتشار الثالث.. هذان الحدان لهما مجموعة معقلة من المراحل المتوسطة.

توافق جريتي: "بالطبع، هل تريد أن تنزل تحت الغطاء معي؟"

يقول بريخت وهو يضرب وجنة جريتي، ويعود إلى حجرته: "لا أريد، انظري أي وقت هذا."

لديه إحساس أن ثعبانا كبيرا قد تسلل إلى أسفل السرير بمجرد دخوله الحجرة.

هذا مستحيل!

يبدو إلى حد ما أن ذلك نتيجة لليلة بلا نوم وعيون متعبة.

لكن بريخت لا يريد بعد ذلك أن يعود إلى السرير، ولا النظر إليه.

يجلس على مقعده، ويغلق عينيه.

ها هو محاط بالصمت الفنلندي.

وينام بضعة ساعات.

يتم الإعلان عن ترومسو عاصمة مؤقتة للنرويج.

لكن بالنسبة للمكسيك في الوقت نفسه يستطيع تروتسكي سماع الصيحات عبر النافذة: "فليسقط

obeikandi.com

تروتسكي! ارحل يا تروتسكي!" وهؤلاء ليسوا عمالا مكسيكيين، فالعمال يحتفلون بأجازة يوم مايو كالمعتاد، وشعاراتهم هي الشعارات الشيوعية المعتادة، وتروتسكي يعرف جيداً من يغني الشعارات ضده، وهم ليسوا كثيرين، لكن هناك ما يكفي منهم؛ فقد تعقبوا تروتسكي طوال الطريق إلى المكسيك.

في دولة مختلفة تماماً أقرب إلى حيث بريخت الآن، وتبعد فقط ثمانين كيلومتر عن هلسنكي في موطن هيلا الأصلي - تقوم هيلا بمهاجمة بريخت من وراء ظهره في عاصمة بلدها الأصلية، والرئيس باتز يلقي خطاباً، ويرفع كأسه ويشرب بنخب ستالين القائد العظيم.

في الليل

في الليل يتخيل بريخت أن شخصا ما يمشي تحت نافذته، يمشي ويلقي التراب على نافذته! تراب؟ نعم هناك شيء يخشخش ويتكوم! الشمال؟ المتسكعون؟ الساحرات؟ عملاء هتلر؟ الأطفال الصغار؟

لا يسأل بريخت أي أحد.
والصمت يعود مرة أخرى.

في موضوع الشعراء الثلاثة

إنه وقت الغداء يوم السبت، وهناك ثلاثة أشخاص يترددون على النصب التذكاري لإليكسيس كيفي، وهذا النصب أمام المسرح القومي.

الطقس اليوم معتدل، وهو يوم مشرق إلى حد ما، وهذا غالباً يجبر الناس على المزاح والدردشة قليلاً.

الأشخاص الثلاثة هم فنلندي وهيلا وبريخت.

التقت هيلا الفنلندي قبل ذلك، لكن لا يمكنها تذكر اسمه، وعلى أي حال يعطي هذا الرجل انطباعًا بأنه فنلندي حقًا، فالفنلنديون عادة منطويون جداً، لكن هذا الرجل خائف من لا شيء، ويتبنى موضوع السيرة الشخصية لمن قد يكون أعظم كتاب فنلندا أليكسيس كيفي.

وقد اعتقد دائماً أن اليكسيس كيفي كان طائشاً ومشتغلاً قليلاً بالطبيعة، وهو أيضا شرب كثيراً، لكن فيما بعد (١٨٧٠) أخذ يصبح غريباً قليلاً؛ فقد حدثت له هلاوس، وخوفه من فقد عقله أصبح كبيراً جداً من أن يتم تقييد هذا الشاعر الكلاسيكي عارياً عبر القرية كأسد. وبالرغم من أنه كان معروفاً (في دوائر الأدب) بوصفه شاعرا عظيما فقد حدث أن تم رفض دخوله إلى مسرح بسبب مظهره وملابسه عندما كانت إحدى مسرحياته تعرض، ثم ذهب للعلاج في مصحة نفسية (١٨٧١)، وبعد ذلك عاش في الدولة داخل حظيرة أخيه، وهناك عذبه القلق. وقد كان يصيح بصوت مرتفع في الليل، وعندما تحسنت حالته العقلية كان يصرخ على أطفال القرية باللاتينية، وبعدها مات (١٨٧٢).

تلمع الشمس على وجنات المستمعين؛ لتجعلهم عارفين بالوجود المستمر للربيع، ومقبلين على الحوار والحديث والروايات.

توجه هيلا وجهها بلطف نحو الشمس من جانب واحد، وعيناها مغلقة، بينما تستمع إلى قصة الفنلندي بقيتا مغلقتين كما لو أنها تلتقط خيط الموضوع.

"لدى الأستونيين كاتب كهذا أيضا، وهو يوهان ليف، وقد التقيته في شبابي، وكان لدينا صاحبة الأرض نفسها، كتب لي العديد من الخطابات، لكني لم أشغل نفسي بقراءتها جميعاً، ولا عرفت في ذلك الوقت أنه كان كاتبا كلاسيكيا. الآن هم تائهون، وقد بدأ التدهور (تقريباً ١٨٩٣) عندما بدأ في سماع أصوات، والشك في أن شخصاً ما يتبعه – من الشركة وبعض الأنواع الغامضة. يشك في الأشخاص، ثم اختفى من المدينة، ولسبع سنوات (١٨٩٥ – ١٩٠٢) لم يكن أحد في أستونيا يعرف إذا ما كان حياً أو ميتاً، ثم اكتشف أنه يعيش في منزل أبويه بالغابة، حيث كان يختفي كل هذه الفترة، والشخص الذي اكتشفه كان الطبيب النفسي المتجول المثقف، ومن هذا الوقت فصاعداً تم جذب الانتباه إلى الرجل المجنون، وأصبح كلاسيكياً. وقد اعتاد أيضا على الجري شبه عارٍ في الغابات مثل الفنلندي كيفي."

يسأل الفنلندي الحسود: "لكن ما طول المدة التي قضاها مجنونك هذا مجنوناً بالفعل؟"

تقول هيلا بهدوئها الكلاسيكي: "أوه، بضعة عقود."

يعمم بريخت: "السلوك الارتدادي واسع الانتشار بين الشعوب الفينواوجرية، وبقدر ما أرى أنتم تحاولون التجرد من ملابسكم في أثناء أوقات الإفراط، وفي مناطقٍ المناخ الشمالي مع طقسها البارد يمكن أن يكون هذا فعلاً جاداً، يجب أن يكونوا قساة، ويفكروا بجدلية فماذا قد تكون وجهة النظر في التجرد في مناخ استوائي؟"

تضيف هيلا: "اعتقد مؤلفنا الكلاسيكي أنه كان ملك بولندا، وقام ببضعة محاولات لزيارة أهله هناك، لكن تمت الإطاحة به من القطار بوصفه متسكعا طبيعيا مثاليا."

والآن، ينفد صبر الفنلندي، وقد كان لديه الكثير ليقوله عن كيفي، لكن بريخت يسعل بشكل واضح، والآن يعقد كل الفينوجريين السلام.

يقول بريخت وهو يلتقط موضوع العباقرة المنحرفين: "طبيعي أني لن أغفل ذكر هولدرين في هذا السياق، فقد كان كاتبا كلاسيكيا عاش في ظلِ الجنون طوال أربعين عاما! (١٨٠٣ – ١٨٤٣) وقد مات عقلياً عندما كان في الثلاثينيات، وكتب قبل هذا الوقت عمل حياته، وبعدها عاش في حياة حيوانية مظلمة في حجرة صغيرة يرن على مفاتيح البيانو، ويتمتم بروايات غير مفهومة، وإذا سمع اسمه يذكر قد يصبح غاضباً جداً؛ لأنه تخيل أنه كان شخصا يسمى سكاردانيلي، وحقيقي أنه حتى في الفترة التي كتب فيها بعض الشعر كانت سلال الغسيل مليئة بها في الواقع، لكن لا أحد

استطاع أن يشعل نفسه بحل شفرتها – كما قلت – لأن عمل حياته ككلاسيكي كان بالفعل منجزاً.

يومئ الفنلندي، ويقول مفكراً كما لو كان هناك في هذا الوقت: "نعم هكذا كان الأمر، فأنا أيضا أذكر إحدى قصائده تلك التي كانت موجودة حين كنت طفلاً..." يقطعه بريخت فهو الآن يصيح فيه بصوت عال وصاخب:

عندما كنت طفلاً حفظني الله كثيراً من صيحات الناس وضرباتهم، وقد لعبت هناك آمناً وبحال جيدة مع أزهار الروضة، وزفير السماء يلعب معي... أوه كل الآلهة الودودة الموثوق بها...

يشعل بريخت سيجارا.

"نعم بالفعل يتكلم هولديرلين بالطريقة البابوية إلى حد ما، ويستخدم أيضا مصطلحات تشير إلى الآلهة، بالرغم من أنه لم يفهم فعلياً الكثير عن العالم حوله."

ينظر بريخت بانتصار إلى الفنلندي في عينيه، والأخير ليس لديه خيار آخر سوى أن يعلق تعليقاته على الشماعة الموجودة.

"مات هولدرلين في (١٨٤٣)، بينما ولد كيفي (١٨٣٤)... وكان كيفي أكثر ريبة، ليس فقط في حياته على الأرض، لكن فيما يتعلق بالسماء أيضا... فقط كتب كاتبنا الكلاسيكي الفنلندي هذا عن طفولته:

obeikandl.com

تندفع لأسفل بشكل حماسي طفولي من صخرة إلى ذراعي أمها، وتصرخ بعيون لامعة: لقد رأيت الجنة... رمزاً للدولة التالية، بينما يمسح خريطة السماوات، وفي النهاية رأيت الروضة المزرقة، ورأيت شجر التنوب، ورأيت مع ألم في صدري وجنتي مليئة بالدموع، حتى أني لم أفهم أني كنت أبكي، لقد رأيت الجنة!

ومع ذلك تخبر الأم طفلها أنه لم يرَ أي جنة، فالجنة دائماً فوقك، والأفق يتكون من قطعة عادية من الأرض، وقد أدى هذا إلى ارتباكنا الكلاسيكي في كون الرب فوقنا أو في مكان ما بين ذلك.

الآن وبشكل طبيعي أخذت هيلا الثور من قرنيه:

"إذا كنا سنستمر في هذه التأملات التي طرحها صديقنا الفنلندي هنا، فدعنا نضيف اسم مؤلفنا الكلاسيكي لييف، الذي ولد أيضا تقريباً في الوقت نفسه (١٨٦٤)، بينما توفى كيفي في (١٨٧٢)، ولم يعد ينظر لأعلى، ولا حتى عبر السماء."

يسأل الفنلندي: "لماذا؟ هل الاضطهاد الاجتماعي قد تزايد إلى هذه الدرجة؟"

تتنهد هيلا: "ربما لذلك علاقة به، لكن ربما الأستونيون عامة يميلون إلى أنهم ماديون ووحدويون، وروحياً أكثر تواضعاً، وأحد الشخصيات التي أراد مؤلفنا الكلاسيكي بالفعل أن يرى بحيرة عظيمة ومتلألأة، لكنه ببساطة لا

يستطيع رؤيتها؛ لأن الغابات تنمو أمامها، إذًا فقط لم يكن امتداد الغابات ذلك يحجب الرؤية! هو ما فكر فيه مؤلفنا الكلاسيكي، لكنه لم يقم بأي محاولة لعبور الغابة، وقد بقى حيث كان، وحيث تم اقتطاعه من الأفق، وقد أصبحت نظرته هادئة التنهد والرعشة، والزخرفة المملة التي أصبحت عليها الغابات، وهذا ما وصفه في قصيدة:

همهمت الغابات في ظلمة وصلق...
لقد سمعتها بخوف.
هذه الهمهمة المظلمة ظلت في صدري،
وما زالت هناك الآن...
إنها كما لو كنت أشتاق لها...

لن تكون سعيداً ثانية...."

يسود الصمت للحظات قصيرة، وأجراس الكنيسة تبدأ في الرنين في الفضاء، ويبدأ بريخت في تعقب شيء بطرف حذائه في الحصى، ومن تلك النقطة يسحب ثلاثة خطوط منحنية جميعاً كقوس.

ويقول: "خط (أ) هو هولدرلين – النسائم من السماء تلعب معي! *هذا خط أفقي يشير إلى السماء بأعلى، و(ب) هو فنلندي يشير إلى خمسة وأربعين درجة* تتذبذب بين السماء والأرض، في مصطلحات جدلية تشكل مركبًا، والخط (جـ) هو الأستوني المجنون، خاصتك يا هيلا – خط أفقي يشير إلى سطح الأرض، يصبح متورطاً في غابة

obeikandl.com

الطبيعة في العالم السفلي."

يريد بريخت الاستمرار في الحديث، لكن يحدث الآن أن فنلنديًا مخمورًا يمسك بكتفه، وبريخت يدور كالبرق، قد لا تكون مفاجأة أن رجال الرسام قبضوا عليه معه!

لكن الرجل الذي يزعجه الآن مخمور تماماً، وقد رأى بريخت العديد من هذه الأنماط في ألمانيا ما قبل الحرب في شبابه.

يسأله الرجل عن شيء ما، وبريخت لا يفهم.

يترجم الكاتب الفنلندي لبريخت قائلاً إن الرجل يريد أن يخبره بحلم ما حلم به.

بريخت غير مهتم بالأحلام، خاصة أحلام هذا الرجل، لكن في أرض أجنبية لا يجرأ أن يبدأ في النقاش.

ينظر إليه باهتمام معتدل..

يدعي الرجل أنه رأى نفسه في حلم مع بريخت (هو لم يعرف بالطبع اسمه، لكنه دعاه ببساطة "أنت")، وهو يجلس على حافة سحابة في السماء، لكن من هناك سقط كلاهما إلى الجحيم مباشرة إلى البراميل، كل منهما في برميله! في أحدهما كانت القذارة، وفي الآخر دبس السكر.

يرى بريخت أن هذه حكاية شعبية، وهذا يسعده فلماذا لا يتحدث مع عامل فنلندي؟ كما يمكنه التوقع يطرح على الرجل سؤالا توضيحيًا:

"وأي برميل تعتقد أني سقطت فيه؟"

ينقل بريخت ذلك عبر المترجم بالطبيعة، ويعرف منه أن الرجل أزعجه أنه سقط في برميل القذارة.

يستمر الرجل في رواية قصته، هناك بوضوح شيء ما يريد القيام به، وها هو! يظهر الشيطان أمامهما، ينظر إلى ما حدث، ويمسك كليهما – هو وبريخت – من مؤخرة العنق، ويسحبهما خارج برميليهما، ويصيح: أيها الفتيان، الآن فليلحس كل منكما الآخر؛ لينظفه!

الحكاية في نهايتها، وقد تم توضيح الهدف، ويرفع البوليتاري قبعته، ويترنح مبتعداً.

الحكاية ملحمية، وتقدم كمشهد شارع، وبريخت قد يكون متحمساً، لكن كل ما يفعله هو التثاؤب..

لا يمكنني أن أكون متحمساً لكل شيء طوال الوقت.

المريب

يطلع بريخت هيلا على حمار صلصالي صغير يقف بجانب الآلة الكاتبة، وحول عنق الحمار علامة: "أنا أيضا أريد أن أفهم!"

يشرح بريخت: "لقد كتبت جملة، ثم نظرت له، إذا كان الحمار يهز رأسه أشطب على الجملة، وأكتبها ثانية؛ حتى يفهم."

يلمس الحمار فيومئ.

يقول بريخت بلهجة منتصرة: "أترين، العمال البسطاء يحبونني أكثر من المثقفين."

يوم مايو

في فنلندا أول يوم في مايو هو أجازة مهمة بشكل خاص، ففي الحقيقة هو تقريبًا يوم ما وليلة، فالبورجيس ويوم العمال يتم الاحتفال بهما في دول أخرى أيضا، لكن ليس في أي مكان بالعاصمة الموجودة في فنلندا.

يجلس بريخت مع الآخرين في منحدر تل، وهو يشرب الشمبانيا.

تجلس هيلين في جانب، وجريتي في الآخر، وأمامهم يجلس بعض الديمقراطيين الاجتماعيين الفنلنديين.

يسأل بريخت فجأة: "أين أطفالي؟"، لا يستطيع الديمقراطيون إجابته، فكيف يعرفون أين ذهب أطفال بريخت؟ ينقلون في صمت السؤال إلى هيلين، التي هي بعد كل شيء أم أطفال بريخت.

تقول هيلين الطويلة النحيلة: "ماذا؟" وتنهض وهي تترنح في شمس الربيع الدافئة.

يصرخ بريخت بصوت حاد: "أين أطفالي؟"

تقول هيلين محاولة تهدئته: "لا بد أنهم في مكان ما."

"هل أنت متأكدة؟" بريخت غير متأكد.

"نعم، متأكدة."

يدير بريخت ظهره وهو مجروح، وينظر الآن إلى الأعلام الحمراء التي ترفرف في أيدي العمال المحمرة، وفي كل مكان تنتشر الأقمشة، وفي الأقمشة هناك شمبانيا أو على الأقل ليمونادة وسندوتشات. يشير الديمقراطيون الاجتماعيون إلى رجل يقف في المقابل يمسك بالونة صفراء.

يهمس أحدهم إلى الآخر: "مخبر."

يسأل بريخت: "من؟" ففي حراسته يخطط فجأة لفهم اللغة الفنلندية بطريقة غامضة، وبالفعل لم يكن الديمقراطيون الفنلنديون يتحدثون اللغة الفنلندية؛ فهم يستخدمون اللغة السويدية، التي تشبه الألمانية إلى حد ما، وهكذا يستطيع بريخت أن يفهم.

الديمقراطيون الاجتماعيون – هناك اثنان منهم رجل وامرأة – يهزون أكتافهم، وليس لديهم فكرة عمن قد يتجسس عليه هذا المخبر، لكنهم يفترضون أنه هو، فهذا الرجل قد جذب الانتباه إليه سابقاً في النوادي ودوائر الدراسة..

لكنه الآن يقف على المنحدر المقابل وهو يمسك بالونًا أصفر.

قد يكون جسوسا لمصلحة الرسام أو رجل الصلب.

لكنه أيضا قد يعمل لمصلحة السويد أو بلغاريا أو النرويج أو بريطانيا أو ألبانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية.

تعود هيلين في صوت به نبرة اتهام: "انظر، لقد أتى الأطفال، وأنت لم تصدق أنهم قد يعودون."

يصل الأطفال وهم يحملون البالون، ويهب نسيم عليل، حتى هنا في الشمال وصل الصيف، قصيراً وبائساً وبارداً، لكنه في النهاية صيف، ومن جميع الجوانب هناك نوع من الصيف، لا يوجد مكان يغيب عنه الصيف تماماً.
لكن ليس فقط الصيف... يصل الأطفال..

وشخص آخر أيضاً.
إنها تحب ألمانيّا
يشعر بريخت أن هناك شيئا خلفه أو شخصًا ما...

يلتفت بسرعة ليجد هيلا وهي تمد يدها لتلمسه، عليها اللعنة كما يفكر بريخت، تتسلل إليَّ بسرعة هكذا.
"لقد كنت أفكر في وضع يدي على عينيك." هيلا ليست خجولة على الإطلاق: "ألم تعرف يا بريخت أنها عادة أن أضع يدي على عيني شخص ما من الخلف، وأسأله: خمن من؟؟ مفاجأة، ألا تعرف هذه الخدعة؟"
يقول بريخت رغماً عن نفسه: "نعم أعرف.."
تقول هيلا السياسية والمؤلفة: "لقد أحببت مرة ألمانيّاً."
يقول بريخت اللاجئ والكاتب والسياسي: "لقد قلت ذلك مرتين على الأقل فيما سبق."
تحمر رقبة هيلا ومعصماها.

يتجمع الدم أسفل بشرتها البيضاء، والتورد لم يخفت حتى لدقيقة واحدة.

يمكن رؤية هذا بوضوح في شمس الربيع (أو حقيقةً في شمس الصيف.)

يقوم العديد من العمال – بريخت يحب تسميتهم العمال – بعزف الأكورديون..

مشكلة البذيئة

تستمر احتفالات يوم مايو، وهيلا تذهب للتنزه مع هيلين، وتسأل هيلا بطريقتها الباردة: "ما مشكلة جريتي هذه بالفعل؟"

جريتي هي ابنة نحات، وهي بالفعل مصابة بالسل قبل أن تلتقي بريخت في ١٩٣٢، فلا هي ظلت في روسيا، ولا ساعدها القرم، وبعد إزالة ملحقها تزايدت الأخطار علة مرات أكثر.

توضح هيلين أن جريتي مريضة جداً، في الواقع تحتضر، وكانت هيلين قلقة على الأطفال أن تصيبهم العدوى، لكنها لم تعد قلقة.

تعترف هيلين: "افعلي ما يحلو لك معها، لكن لا يمكننا ألا نبالي بها، فسوف تظل دائماً معنا."

تجذبان الانتباه إليهما؛ لأن هيلا مستديرة وهيلين شاحبة.

كل شخص في اليسار السياسي يعرف هيلا، لكن حيقية هيلين تبقى لغزاً لكثيرين.

تـقبـل هـيـلا زجاجـة شمبانيا مقدمة إليها من عامل ودود – هكذا تفكر هيلين في الناس. إنهم يمشون، وهذا يوم الربيع المعتدل، وهيلا تنظر إلى الزجاجة نصف الفارغة وهي تمسكها أمام ضوء الربيع، ثم تشرب منها الكثير.

تقول: "هكذا يجب أن تتصرفين في فابو." وتقلب الزجاجة الفارغة.

تفكر هيلين في أنه بالرغم من أفكار هيلا الشيوعية فإن هذه الإيماءة الحديثة أكثر عطراً من سيدة المزرعة، الشخص الذي يعبث فقط بحب الطبقات العاملة.

سيدة المزرعة تتابع جمهور يومها الأول من مايو: "إذاً فجريتي هذه مثل طفلة ثالثة لك؟"

توضح هيلين: "بالنسبة لي هي كذلك، نعم بالتأكيد طفلة ثالثة، لكنها أكثر من ذلك بالنسبة لبريخت، فبريخت في الحقيقة يحبها، ولا يدعوها قط جريتي لكن البذيئة، وهو يحبها حين تصرخ."

"ومتى تصرخ إذاً؟"

هيلين تلك الممثلة في المنفى تتمشى معها، هيلا تنظر فجأة إلى هيلا في عينيها.

ووجهها قريب جداً من وجه هيلا.

وبالرغم من أن هيلين تبدو أكبر من عمرها مرتين فهيلا تفكر: في أستونيا يمكننا القول إن عينيها عميقة كبئر المنجم.

تقول وهي تبتسم مشجعة: "يمكنك إخباري بكل شيء."

تتنهد هيلين...

"الأمر هكذا على سبيل المثال، فهم دائماً يعملون معاً، جريتي تقرأ كل شيء كتبه بريخت، وهو ليس لديه بعد الوقت لقراءة كل أعماله، ولأنه يريد أن يعرف كل شيء، لكنه لا يمكنه معرفة كل شيء، فجريتي تعرف أن ليس هذا التقسيم الصحيح للقوى العاملة عندما تتعاملين مع عبقري؟ لقد شقت جريتي طريقها عبر هيجل وفيلاند وأوبتون سينكلير، والآن وصلنا إلى البذيئة الصغيرة أو الصارخة، وعندما تكتب جريتي ما يمليه بريخت فهي تكتب وتكتب، وبريخت يتحدث ويتحدث، لكن في الوقت نفسه تنزلق يديه أسفل الطاولة إلى ما بين قدمي جريتي."

هيلا تجد هذا مثيراً: "حسناً وبعدها؟"

ثم جريتي أو البذيئة تبدأ في الصرخ.

لا تستطيع جريتي إيقاف نفسها من السؤال؛ بسبب فضولها المجرد: "ألم ترَ هذا بعينيك؟"

ترفع هيلين حاجبها، وتفكر للحظة، وتعيد التجميع، ثم تقول في النهاية: "لا، لا أعتقد هذا، لكن بريخت قد كتب عن ذلك في سونتية له. وبالمناسبة لقد كان لديه عادة كتابة السونتيات إلى جريتي وبعدها، عزيزتي هيلا، اضطررت إلى جذب انتباهه إلى صيغة السونتية وهذه الأمور، وبينما كنت أنا من أجبر بريخت أن يقف بجانب البوليتاريا والمعالجة المثالية للنضال الطبقي، فقد كانت جريتي أساساً مَن أقنعته

باستخدام صيغة السونتية، وبريخت أعطاها بالفعل عقداً جديداً في الحياة بصيغته اللبقة ذات الاثني عشر سطراً والمولودة من انهيار الإقطاعية وصعود الرأسمالية، وإذا كان ذلك بفضل أي شخص فالفضل لجريتي، ولا أحد جذب انتباهه إلى الكمال الكلاسيكي للصيغة بخلاف جريتي، فهي مستعـدة لتحليل كل كلمة وكل خطاب، وأنا أخبرك يا هيلا – وليس هناك سكرتيرة أفضل من جريتي؛ حتى أني أردت أن أكون سكرتية بريخت ذات مرة."

حاولت هيلين تعلم الطباعة؛ لأنها لم يعجبها كل هؤلاء السكرتيرات والمساعدات اللاتي يحيط بريخت نفسه بهن، لكن فعل التضحية ذلك انتهى بوتر ملتهب جدًا في المعصم.

تهز هيلين كتفيها.. وتقترح هيلا: "دعنا نعود الآن."

توافق هيلين بسعادة: "دعنا نفعل ذلك."
تشقان طرقهما بين العمال إلى نقطتهما على منحدر التل، حيث غادرا بريخت والأطفال وزوج الديمقراطيين الاجتماعيين..

في هذه الأثناء تظهر بالونة بيضاء كبيرة في يدي هيلا.
لقد أعطاها إياها معجب ما بلا شك.

تتركها الآن تبحر في الجو...

الإمبراطور الروماني والهراء

في المساء الممتلئ بهمسات الطبيعة يأتي منتج المسرح الفنلندي أينو ساليلاينين لزيارة بريخت.

مخرج المسرح الفنلندي الأساسي ساليلاينين (المهم لنا هنا كونه منتجًا لعمل بريخت أوبرا البنسات الثلاث*) يظهر في أفكار بريخت في بداية الرواية عندما يكون بريخت على ظهر العبّارة ينظر إلى ميناء توركو...*

يعبر منتزه سبيليوس، حيث الأطفال متعبون من شتاء الحرب، لكنهم يستيقظون مرة أخرى الآن، ويلعبون بحماس ويدخل شقة المهاجر الشهير.

لم يرَ بريخت أبداً في الحياة الطبيعية، لكنه أتى في أعماله..

أول شيء يقوله لبريخت هو :

"أنا أشعر أنك إمبراطور روماني."

بريخت مندهش في سعادة.

"من أين جئت بذلك؟"

"سيد بريخت يمكنني بالكاد أن أخطئ في رأيي؛ لأني حينما أنظر إلى بشرتك وأنفك الروماني وشعرك الممشط للأمام على جبينك والأسود تماماً، بالرغم من سنوات المنفى الصعبة..."

يسأل بريخت في لا مبالاة مصطنعة: "حقاً؟"

"نعم هكذا تخيلت دائماً يوليوس قيصر."

obeikandl.com

هذه حقاً لقمة سائغة بالنسبة لبريخت؛ فهو يقدم بشغف كل نظرياته في موضوع قيصر لساليلاينين، متضمنة تلك التي يظهر فيها قيصر طرازًا بدائيًا لديكتاتور.

يقول الدرامي: "لكن يجب ألا يفخم الشخص حرية الإرادة والاختيار للديكتاتور."

يقول ساليلاينين: "الاقتصاد هو الأساس، والأيديولوجية هي البناء الفوقي..." يرد بريخت وهو ينظر إلى عين ساليلاينين بحماس: "إلى حد ما، ألم تكن تقرأ بالصدفة المقدمة الروسية الشائعة للاقتصاد السياسي؟"

يسأل ساليلاينين مندهشاً؛ حيث اعتقد أن بريخت يحب الماركسية بشدة: "ألا يجب أن أقرأها؟"

تضيع من بريخت الكلمات..
تصبح الحجرة مظلمة...
يهبط ليل الربيع القطبي على كلا الرجلين.

فجأة ينهض بريخت ويفتح الستارة.

هبةً من هيلا تنعقد هذه فقط بواسطة شباب الصحافة، ويمكن إنزالها بسهولة.

يقول بريخت في تفسير لفعله المفاجئ: "أنا لا أريد ستائر على نافذتي، فليس لدي شيء لأخفيه من العمال الفنلنديين الذين يعيشون أمامي في المباني المقابلة."

يلف بريخت نفسه بالستارة في حركة فخورة ويصيح: "أولي!"

ثم يرقص الفانداجو.

وعندما يصف خطوات الرقص العديدة يبدأ أيضا في الغناء..

يغني بصوت نافذ رنان يرسل رعشات إلى جسد ساليلاينين.

تشتعل عينا بريخت في الحجرة المظلمة مثل عيني قطة.

يغني لجزيرة تاهيتي البعيدة، وللقمر الذي يبدأ في الغوص خلف البحر، وعن العاهرات المتعبات اللاتي تمددن على الشاطئ الرملي في ضوء القمر..

يعيد الأداء نفسه عدة مرات وهو يدير الستارة في قوس واسع؛ لدرجة أنه يصدم تقريباً وجه ساليلاينين.

لم تتم مناقشة موضوع المسرح بعد ذلك في تلك الليلة، بل تم تمثيلها في صيغة ملحمية روائية، وقريباً تصل هيلا وجريتي والأطفال.

يبدأون هم أيضا في الرقص، ويرقصون لوقت قصير ربما لدقيقة؟.

يتوقف بريخت عن الرقص أولاً.

وبعدها يغادر ساليلاينين المترنح إلى منزله، والسماء تمطر مطرًا خفيفًا...

يتمتم ساليلاينين لنفسه: "أولي.."

يتحول المطر الخفيف إلى أمطار
شيء أسود كبير
في يوم ما يخطو بريخت إلى الرواق.

يثب شيء أسود كبير أمامه.. ربما يكون له أربع أرجل، لكنه قد يكون له اثنان..

المخلوقات ذات القدمين تقف على قوائمها الخلفية، وتسمى الأرجل الأمامية لذلك بالذراع.

الحيوانات ذات الأرجل الثلاث لا تظهر أبداً، غالباً إما اثنان أو أربعة..

أزواج الأطراف مهمة للكائنات الحية..

المخلوقات ذات الطرف أو الثلاثة تسمى عاجزة، وهي في بعض الحالات وحوش لكن اثنين! كم هو متناقض! كيف ثنائي! اثنان تأتي دائماً بعد واحد، وهذا مهم جدًا!

لماذا لم ألاحظ هذا المخلوق الأسود الكبير بانتباه أكثر بينما مر أمامي... هكذا يفكر بريخت نادماً...

شيلر

في المساء تكون الأشجار في كامل أوراقها، وهيلا تتذكر أنه حين يحدث ذلك يمكن للمرأة البدء في ارتداء أحذية مفتوحة، ولكن أكثر دقة: عندما تصبح الأوراق كبيرة؛ لدرجة أن يكون لها ظل يمكن كشف مقدمة قدمك، وهذا

obeikandl.com

هو ما قالته ناظرتها ذات مرة، وهناك شيء من الحقيقة في هذا القول المأثور.. فبينما ما زلنا في أبريل، والشوارع مليئة بالغبار، وليس هناك أوراق – لا يوجد أي سبب لكشف مقدمة قدمك.

هكذا كانت قدم هيلا عارية، والأوراق تلقي بظلالها وبريخت – لا نحن– اختار شيلر موضوعه.

"في هذا المؤلَف نجد علاقة جدلية بين الدراما والشعر الملحمي."
بريخت حزين؛ لأنهم لا يستطيعون تذكر المكان.

تسأل هيلا ووجهها قريب جداً من وجه بريخت: "لا تتذمر أين؟" – جريتي وهيلين بعيدتان في مكان ما على بعد بضعة أمتار، والأطفال يلعبون بالخارج.

بريخت لا يسمح لنفسه بأن تهدده امرأة أستونية..

لقد التقى من قبل نساء، يرغب في منح نفسه لهن بأي ثمن، وقد رفضهن دائمًا .

لكن هيلا بها رائحة اللبن..
هيلا البقرة كما يعتقد، لكن دون سببٍ واضح.
مفكراً بهذه الطريقة يحرر نفسه تلقائياً من المسئولية..
"قال شيلر إنك يجب أن تضيف العناصر الملحمية إلى العمل الدرامي."

"نعم لكن يبدو أني أتذكر كيف تعامل مدرس الأدب مع شيلر، كان اسم ذلك المدرس هينريك باوير، ونشأ الخلاف بيننا بسبب مسرحية ماريا ستيوارت؛ فقد بحثت في التاريخ أيضاً! فلندع الحقائق التاريخية كما قد تكون، لكن الشيء المهم هو أني نجحت عن طريقها في قول ما أعتقده بالفعل، ففي مقال مدرستي مدحت إليزابيث التي كانت مرت بالكامل، وأشرت إلى أنها كانت أول من يقاتل عن حقوق المرأة، داعية للمساواة مستخدمة مصطلحًا عفا عليه الزمن، وبينما كانت ماريا ستيوارت ببساطة فليبرتيجيبت لم تفعل شيئاً سوى الرقص وممارسة الحب، وهل تعرف يا بريخت أني أيضا كتبت عن كيف أن شيلر الغبي لم يفهم كم كانت إليزابيث عظيمة بالفعل، فقط حصل على بنات مدارس ليبكين جميعاً، في الوقت نفسه، مع المدرسين الآخرين."

لا يعد بريخت هذه القصة شيقة بشكل خاص.

الأستونيون بالطبيعة لديهم أفكار، وفي بعض المناسبات تكون أفكارًا تستحق أخذها على محمل الجد، لكن بريخت يذكر بوضوح جداً ما حدث بين شيلر وبينه في هذه الأرض الأساسية المشتركة بينهما.

يبدأ بريخت بطريقة ملحمية إلى حد ما: "أنا أيضا طولبت بكتابة مقال في المدرسة، الأكثر أهمية أنه كان عن شيلر أيضا، ولكن الأكثر دقة هو موضوع المقال "مخيم فالنشتاين"، وقد شعرت شخصياً أن هذه المسرحية كانت

تقريباً غير ضارة كوجبة في صالة شراب، وخاصة بمجرد أن بدأت تقارنين حرب شيلر مع الحروب التي تجري اليوم، وخاصة هذه التي يتم التحريض عليها بواسطة الرسام أو آخرين، وقد حصلت على درجة سيئة على هذا المقال، وهي أربعة من عشرة، لكني لم أتركها هناك، فقد ذهبت إلى المدير وطالبته بالعدل، وطلبت أنه يجب ألا يحكم عليّ وفقا لأفكاري، لكن على استخدامي للغة الألمانية، كما أنك لا تستطيع تقييم الأول؛ لأنه لا يعرف شيئا عنهم، بل ينبغي على الأقل أن يعرف شيئاً عن الأخير أنه عالم لغوي، وفي مقال اللغة ينبغي أن تكون اللغة هي الأهم وليس الأفكار! ولم أستسلم، لكني حصلت في النهاية على ثلاثة."

يستمتع بريخت بحقيقة أن هذه القصة كان لها تأثير كبير على هيلا.

يستمر، وهو يتذكر أنه مرة كتب تحريف لشيلر باسم معركة بائعات السمك.

اعتقد بريخت أن المسرحيات الكلاسيكية كانت تعرض، حتى تهيأ "رفع العاطفة" بالنسبة للناس، ففي هذه المسرحيات هناك دائماً قطعة أو مشاهد مشهورة من المفترض أن يتم تمثيلها مع صيحات ومشاعر، وعادة ما تصبح سوداء أمام عينيك حتى تبعد المثلون عن مثل هذه المشاعر غير المعتدلة والتافهة. كتب بريخت مشهدًا يصور إليزابيث وماري ستيوارت كبائعتي سمك مع النساء واثنين من الناس العاديين والبوليتاريا، وفي تقدير بريخت كانتا

تتقاتلان على بضعة سنتات أو جرامات من شيء ما، كان المقصود من هذا المشهد إنزال الملكات إلى الأرض، فليسوا "ملكات" بعد الآن، كذلك كان الناس نادراً ما يصادفونهم في الحياة الحقيقية، لكن الآن أصبح ذلك شجارًا بين امرأتين معروضا بشكل جدلي، كما يحدث لقاء لا يمكن تجنبه بين شخصين.

عندما يأتى هذا المشهد أمام عينيه مع كل غربته ينهض على قدميه، ويبدأ في التمثيل.

يمثل كلا البائعتين ويصورهما، لا يمثل بل يصور..
يتحدث بشكل جدلي وصوت مرتفع حاد.
وفجأة يصرخ على جريتي لتأتي..

يصرخ: "جريتي!!!" ويمزق ياقته...

تظهر جريتي عند الباب، ويصر بريخت على إملاء ذلك لها، وجريتي تأخذ فقط بضعة دقائق؛ حتى يكون النص جاهزًا.

تقول جريتي: "عليَّ أن أقتلع عينيك!"

يصرخ بريخت كبائعة سمك: "عليَّ أن أقتلع عينيك!"

يغطي بريخت صندوق السمك الوهمي بجسده.

هذا هو قمة الاغتراب؛ لأن بريخت ليس بائعة سمك، وصندوق السمك ليس موجودًا، فكل شيء وهمي، وليس كذلك في الوقت نفسه، لكن هيلا أيضا تتذكر تعليق

obeikandl.com

بريخت الخاص:

nur zitieren! Wir ،Zitieren! Wir zitieren sind keine Fischfrauen! Wir sind Brecht der Erste und Brecht der Zweite"

كل ذلك يعجب هيلا فعلاً؛ فهي تفهم أن هذا الرجل الصغير ذا الرائحة الكريهة يمكن تسميته عبقريًا، ففي الفضاء الثقافي الألماني العباقرة شخصيات مهمة، فجوته عبقري، وكذلك كليست و.... آخرون أيضا، ولا يجب أن تذكر عائلة مان، خاصة توماس الذي يكرهه بريخت أكثر من أي أحد آخر، حتى الروس لديهم العديد من العباقرة، وأول من يأتي على البال هما دوستويفسكي وتولستوي.

بريخت يذهل بالفعل في جانبه.. وهو يتعاطف، لكنه أيضا غير قادر على التوقف فجأة..

في منتصف الكلمة ينسى فجأة مشهده، ويبدأ فجأة في الاهتمام بالناس الآخرين حوله.

فهمت هيلا بالفعل أن بريخت يحب نفسه فقط.

هيلا أيضا تحب نفسها أكثر من أي شيء آخر في العالم؛ لذلك فهي تتحرك بغرابة حين يقول بريخت باهتمام حقيقي:

"لكن أين انتهت رواية شيلر خاصة يا هيلا؟"

شرحت هيلا بسعادة: "تركني باوير بعدها بساعة، وسأل – ويده أمام عينيه – عما قد يفعل معي، وأردت أن أرد كامرأة، واضطررت أن أرتفع إلى مستوى جديد غير متوقع. قم وقلت كذلك الشخص الجديد المتحول البديل: إذا كنت

معجبًا بماريا فلن أرقص معك بعد ذلك.

سأل باوير ببراءة نسبية: "أين ومتى لن ترقصي؟" أجبت: "لن أرقص معك في حفلة رقص المدرسة." ورفع باوير كلتا يديه في رعب مشيراً بكليهما أنني يجب أن أختفي بسرعة، فانحنيت احتراماً وشكرته ورحلت."

الليلة التالية

كانت الليلة التالية أكثر برودة.

القوات البريطانية والفرنسية انسحبت من جنوب النرويج، والمعارك استمرت فقط حول نارفيك.

الليالي بيضاء ووحشية، مرة وأخرى الظبي البعيد يصطدم بالأشجار المتشابكة – إذا لم يكن ظبياً فهي ذئاب أو أُسُود؟

ترسل الحكومة الروسية للحكومة الليتوانية مذكرة دبلوماسية، تدعي فيها أن جنودًا روسيين يعيشون في ليتوانيا قد تم اختطافهم.

بالفعل كان بابابيف يقفز حولهم، وقام بعد ذلك بقتل نفسه...

قامت بلجيكا فعلاً بتشكيل حكومتها في المنفى.

يسأل بريخت هيلا: "من المانيين؟"
لا تفهم هيلا: "الماراينين؟"
"حسناً، شيء ما مثل هذا الما... "

تضحك هيلا..
"الما تعني دون... لكن المارينين خلق السماء، فقد كان أحد الآلهة."

بريخت مقتنع بالتفسير، ويتمنى لها ليلة سعيدة.
النافذة مفتوحة، وبريخت يستيقظ مبكراً، والرياح تهب في وجهه من النافذة المفتوحة مع تحركات تشنجية، بريخت يتلوى تحت الغطاء، وهو يعرف أنه آجلاً أو عاجلاً سوف يجب إغلاق النافذة.

يفكر بريخت: أعتقد أني قريباً سأغلق النافذة، وأعتقد أن هذه الفكرة هي التفكير السليم، وهناك هدف من الاستغراق في هذه الأفكار فقط؛ مما يجعلك تقوم بشيء ما بالفعل، وتحضر نشاطاً. دعنا نقول – وفعل.
الفكرة قد تنجح فقط في التطبيق عندما يكون مرتبطاً عن قرب ضمن مجال بديهي محدد.

خلف هذا المجال لا تكون للحجج البديهية أي أهمية.
لا تنشأ الحجج في فراغ..
هذه ليست ذات هدف في التفكير، إنه ليس هناك هدف في الاقتراب من النافذة.

هذه ليست فكرة، لكن شيء آخر شيء غامض..

بريخت يردد لنفسه دائماً أن السببية تدفع إذا كانت المعرفة المتعلقة ضرورية ومنتجة، وليس هناك نقطة في التفكير في أشياء لا تعتمد علينا، فلا يمكننا تغيير هذا

الطقس الشمالي؛ حتى يصبح أكثر دفئاً، ولا يمكننا الالتفاف وتحويل محاور الأرض، ولذلك السبب لا يمكنني التعاطف كثيراً بخصوص الليالي الفنلندية، فالتفكير كثيراً في الليالي الفنلندية والشعور بالتعاطف معها منحط ومضاد للإنتاجية، فالشذوذ العقلي ينشأ والاضطرابات في جهاز التفكير، وسوف أصبح أنانياً، فكل شيء أقوم به بعد ذلك لن يكون شيئاً سوى انعكاس مخزٍ لحقيقتها، وهذه هي الغنائية!

يصبح رودولف هوس قائد الأوشفيتز، والفنلنديون يذهبون للسفارة الأستونية، ويتوقعون أن ينتقدوا موطنهم الأصلي، أي الطريقة التي يتفاعل، ويتصرف بها الأستونيون، لكن هذا لا يحدث؛ فمن جانبهم يعتقدون أن الفنلنديين يحظون جداً بالمدح، ويجب أن تكون هناك وقفة صغيرة مع كل هذا المدح لفنلندا. وبالنسبة لأسرى الحرب الروسيين في فنلندا فحصتهم اليومية هي: ٣٠٠ جم خبز و٣٠٠ جم لبن و٢٠ جم سمن و١١٥ جرام دقيق أو بطاطس و١٠٠ جرام لحم و١٢٥ جم سكر و٠.٥ جرام شاي و١٥ جم ملح.

من المؤثر معرفة أنه في أثناء هذه الأوقات هناك إعلان في نافذة مخزن معدات القهوة "كونتوريتو" في ٢٥ ب اسبلاناديت، هلسنكي عن آلة كاتبة باسم "بيكوكونتينتال" – كونتينينتال الصغيرة.. نعم، وبهذه الآلة الكاتبة بالذات (التي ما زالت موجودة بالرغم من أنها

تحتاج لبعض الإصلاح، وهي موضوعة على مكتبي) كتبت المسودة الأولى لهذه الرواية.

بريخت يضيء النور وهو مصدوم عندما يرى وجهه في المرآة السوداء لزجاج النافذة.

يأخذ ورقة، ويبدأ في الكتابة.

"التفكير الليبرالي يصطدم مع قيود طبقته الخاصة؛ ولهذا السبب تكون الاستنتاجات المتسقة خارج السؤال."

يحدق بريخت لفترة طويلة في الجملة التي كتبها لتوه، لكن في اللحظة نفسها يدخل ضباب آخِر الربيع من النافذة، ويبدأ قريباً في الاصطدام بوجه بريخت.

ثم يبتسم بريخت ابتسامة ساخرة مقنعة نسبياً، ويضيف: "التفكير الرجعي ينبغي أن يتم تجنبه بواسطة البوليتاريين الرجعيين."

نعم، يجب أن يبعد ذلك ويبدو مقنعاً جداً، يغلق بريخت النافذة، ويلف نفسه في غطاء السرير – بطانية جندي رقيقة لكنها دافئة – ويدفن وجهه في الفراش الذي أحضرته له هيلا.

حوله دولة غريبة ومدينة غريبة، والتيماثول غريبة...

الفصل الثالث

obeikandl.com

obeikandl.com

أواخر ربيع ١٩٤٠

ـ فكرة نفق ـ

تقرر حكومة أستونيا البدء في بناء نفق بقاع تومبيا.

وتومبيا تل بالقرب من البحر في العاصمة الأستونية تالين.

كان من المفترض أن يربط ذلك النفق بين لوهيكا يالج ومحطة سكة حديد البلطيق.

ولوهيكا يالج (القدم القصيرة) شارع ضيق من القرون الوسطى، كان يصل إلى أعلى تومبيا.

عندما تصل إلى أعلى التل يمكنك رؤية محطة سكة حديد البلطيق بالأسفل.

من هناك تأتي القطارات من الشرق (روسيا)، ومن الجنوب (لاتفيا وليتوانيا وبولندا وألمانيا)

obeikandl.com

وسوف يكلف بناء هذا النفق الحكومة الأستونية حوالي ١٠٠.٠٠٠ كرون أستوني.

إذا حدث مكروه سوف يتم تزويد النفق بمأوى من الغارات الجوية، وقد تم إظهار هذه الفكرة في السادس من مايو ١٩٤٠، لكن لم يأخذها أحد على محمل الجد.

في التاسع من مايو قامت القوات الألمانية بغزو هولندا وبلجيكا، وقد وجد المراقبون صعوبة في تحديد ما إذا كان ذلك في التاسع أو العاشر من مايو.

لكن على أي حال فقد تم الغزو في العاشر من مايو.

تعتقد هيلا أنها استنفدت كل علاقاتها الجيدة في فنلندا لصالح بريخيت، وتخطط لشيء ماكر في تقديرها، إنها أستونية، فهي تعرف أن مهنة الأستوني أن يكون ماكراً؛ لذلك سوف تدعو الجميع بما فيهم بريخت وزوجته المخلصة هيلين وحبيبته جريتي وابنه ستيفان أي الجميع إلى حفلة الإنتو.

لكن يا عزيزي ماذا يحدث بالفعل!

فقد فكرت هيلا وآخرون دون شك في ذلك جيداً. كلاوس سالين وأورفوكي سيبونين سوف يقومون برقصة أوبرا البنسات الثلاث، وسوف يقوم عندئذ بتطبيق تصميم الرقص الخاص بساليلينين.

لكن ما لا يعرفه بريخت أن فاينوتانر سوف يأتي أيضا إلى الحفل، وهيلا تريد تقديم كل منهما للآخر.

يعد تانر بلا شك أحد أكثر السياسيين الفنلنديين أهمية في القرن العشرين، فقد كان ديمقراطيا اجتماعيا، وبدأ مشواره السياسي في أثناء العقد الأول من هذا القرن، وقد شارك في المفاوضات في موسكو قبل حرب الشتاء، وفي أثناء تلك الحرب كان عضوًا في مجلس الوزراء.

وبالرغم من معرفة بريخت الضئيلة بتانر فإن اسمه كان لا يفارق عقله.

بريخت لا يعرف بعد أي شيء عن خطة هيلا المدبرة بشكل جيد؛ لذلك يذهب إلى الحفل دون شك في أي شيء.

تقول هيلا لبريخت: "أليس الحفل لطيفاً؟"

وكما يمكن تخيله، فالناس يرقصون التانجو، والفودكا تتدفق ليس في جداول بل في أنهار.

تحدق ستيلا في الفضاء؛ ربما لأنها متعبة أو متوترة، كما يعتقد بريخت وهيلا كذلك أيضاً...

لكن بريخت ليس عنده وقت للتفكير فيما يأخذ هيلا هكذا.. تأتي إليه هيلا، وتنظر إليه من رأسه حتى قدميه نظرة ليست متعبة أبداً، فمن يعلم كيف تخطط للابتهاج في هذه الأثناء، فأنت يمكنك دائماً الابتهاج إذا أردت ذلك.. إنه سؤال يطرح نفسه تلقائياً، ولا شيء مستحيل خاصة

عندما يتعلق الأمر بهيلا.

تقول هيلا: "دعنا نرقص."

وتمسك بيد بريخت في راحة يدها المتعرقة.

يمكن الآن سماع الفالس، تمسك يد هيلا اليمنى بيد بريخت اليسرى، وفي الحال يصير بريخت في حضن هيلا مضطراً للدوران؛ ففي الفالس يجب أن تدور في البداية باتجاه عقارب الساعة، ثم عكس اتجاه عقارب الساعة، وتضغط هيلا على بريخت؛ فلديها بطن بارزة ومستديرة تضغط بها على بطن بريخت المقعرة؛ فهو في النهاية مهاجر يعاني من الجوع، وليس لورداً في المزرعة، فهو يعيش في شح.. ويد بريخت على ظهر هيلا الدافئ الرطب تحت فستانها الحريري.. يشعر بريخت بيديه تنزلق دون وعي تحت الملابس التي تغطي الجزء السفلي من جسد هيلا، وبالرغم من أن هيلا تجاوزت الستين فإن بريخت يستثار دون أن يدري لماذا، هذا ما يحدث، لكن تتدخل الآن فكرة سياسية.

تهمس هيلا في أذن بريخت: "سوف أقدمك الآن إلى سيد مميز".

يفكر بريخيت وقد صار عصبياً بالفعل: لماذا تقول ذلك؟ أجسادنا متلاصقة.. ألا تشعر بإثارتي؟ وإذا كانت تشعر فلماذا تتحدث عن تقديمي إلى رجل ما، كما لو كنت شاذاً وهو ما لم يحدث لسنوات طويلة!

هناك ادعاء من البعض أن بريخت كانت له تجارب مماثلة في صباه، لكنه مثل أي شيء شخص منحط قد يكون أوسكار فيلدي وأرثر ريمبود نموذجي الرومانسية بالنسبة له إلى حد ما، حتى في مسرحياته تحدث مثل هذه الأفكار، فالصداقة المنتشية بين كاسبر نيهر وأرنولت برونين قد أجبرت المؤرخين على إحضار الموضوع وإعطاء تلميحات غير صريحة عنه.

على أي حال في تلك اللحظة لم يكن بريخت شاذًا جنسياً؛ ولذلك يسأل هيلا في غضب:
"أي سيد تريدين تقديمي إليه؟ ولماذا؟"

تقول هيلا بخبث: "مجرد سيد"

وبينما يزداد الفالس من فوقهم ومن حولهم يصبح بريخت أكثر غضباً وهو يقول: "ولماذا لا يمكنني أن أعرف أي رجل سوف تجمعيني به؟"

تجيب هيلا بكل براءة: "فاينوتانر"

يصير وجه بريخت شاحباً ويبدأ في الصياح:
"لا! لا! لا! إنه مسئول عن حرب الشتاء اللعينة! وهو ضد الاتحاد السوفيتي... إنه فاشي! سوف أغادر الآن! سوف أخرج من هنا! سوف..."

ويجري نحو الباب لكنه يبدأ في الخوف؛ فيعود ويسأل (بصوت هامس الآن) عن مكان الباب الخلفي؛ الذي

يرشدونه إليه فيخرج مسرعًا.

هذا اليوم هو عيد ميلاد هيلين الأربعين، وقد تزوجها بريخت في ١٩٢٩ مباشرة بعد طلاقها من ماريان زوف، وقد ولد الطفل الأول لبريخت وهيلين قبل ذلك في ١٩٢٤، وهو ستيفان الذي يشاركهم الآن في ملجأهم أوديسي.

تعود جيني جوجو من رحلتها في البلقان، وتخبر جوبيلز عما كان هناك، وما فعلت وجوبيلز سعيد مع جوجو.

يشكل رئيس الوزراء الفرنسي الجديد باول رينو حكومة جديدة، يعطي وزير داخليتها جورج ماندیل أمراً باعتقال كل الألمان المقيمين في فرنسا تحت سن الخامسة والستين، ويؤثر ذلك على صديق بريخت والكاتب الرفيق ليون فيوختفانجر، الذي يعيش في سافاري جنوب فرنسا.. تصل الأخبار بعد الغروب، ويستمع فيوختفانجر إلى الصمت، وقد أعطى ثماني وأربعين ساعة للرحيل مع متاع لا يتجاوز الثلاثين كيلوجرام معه.

في فنلندا تم الاستيلاء على كل حصص الغلال ومطاحن الدقيق.

والغزو الألماني للدول الضعيفة؟ في اليوم نفسه بالتحديد أثنى مولوتوف على العدوان، فقد قال مولوتوف إنه "يتفهم أن ألمانيا يجب أن تدافع عن نفسها أمام الهجمات البريطانية الفرنسية"، وإنه "ليس لديه أدنى شك في أن ألمانيا ستحقق النصر." من الممكن أن يتخيل

أن الكرملين كان يريد حربا قاسية طويلة، لكن المثير للدهشة – حتى بالنسبة إلى الألمان أنفسهم – أن كل شيء مر بسهولة ملحوظة.

هذا ما أخبر به شولنبرج مولوتوف في بداية العملية، ومن يدري ربما حتى قبل أن تبدأ.

عيد الأم

اليوم التالي هو عيد الأم، لكني لا أسجل هذا هنا لأسباب عاطفية (فالأطفال يقومون بالغزو وأمهاتهم من ولدنهم"، لكن حتى أسجل مسار الأحداث.

دعنا نتحرك بضعة أيام للأمام.

بعد ذلك ببضعة أيام يرسل السفير الأستوني في موسكو أ. راي هذا الخطاب إلى وزير الخارجية أ. بيب:

"موسكو (...) بالرغم من أن نغمة المفاوضات كانت صحيحة وودية حتى الآن، فنحن ندافع عن وجهة نظرنا حتى النهاية، ولا يمكننا أن ندفع الأمور أكثر من ذلك، فلفترة ما (بين الأول والعاشر من مايو) لم يبدُ أن الروسيين متعجلون لإنهاء المحادثات معنا، لكن تمت دعوتنا بعد ذلك للقاء مولوتوف في الكرملين، حيث تم التعامل خلال ساعتين مع جميع الأمور البارزة (..) قال مولوتوف (...) إن كل هذه الأسئلة غير مهمة نسبياً، ويمكن التعامل معها في وقت ما، لكن في الغرب الآن أحداث عظيمة ومهمة تحدث، ولا يمكنهم تأخيرها أكثر من ذلك. (...) وقد طلب

أن يكون الاتفاق جاهزًا للتوقيع بحلول الثالث عشر من مايو، وليس عندنا شك في حقيقة أن الأحداث في هولندا وبلجيكا قد أثرت على المحادثات، وأن الكرملين يريد الآن إنهاء التأخير. كما اتفقنا أيضا على أن مشروع القرار سوف يمر في الليلة نفسها على ديكانوزوف، وبعد مناقشة التكتيكات والنقاط الرئيسية في المنزل ذهبنا إلى المفوض بالشئون الخارجية في الحادية عشرة مساءً، واستمرت المفاوضات لثلاث ساعات [حتى الثالثة]، وكانت صعبة جداً، وقد خططنا لمناقشة تحسينات بخصوص عدد من الأمور الصغيرة، لكن عندما وصلنا إلى النقاط القليلة المهمة كان الروس ثابتين جداً على موقفهم، ولا يتزحزون عنه بوصة واحدة. (....) وقد كان معارضونا رجالا ذوي معرفة ومهارة شديدتين، وكان من الصعب مجادلتهم؛ حيث لا نملك أرضاً ثابتة تحت أقدامنا. (...) وأنت تعرف جيداً أننا لا يمكننا النهوض من على مائدة المفاوضات بسهولة قائلين: إننا لا يمكننا التوقيع على مثل هذا الاتفاق، فنحن لا نريد إيقاف المفاوضات وترك موسكو كما فعل تانر وباسيكيفي، حيث يجب أن نوقع هذا الاتفاق، والشيء الوحيد الذي يمكننا فعله في هذه الظروف هو "القيام بالأفضل في مهمة سيئة." فما لا يمكن الحفاظ عليه يجب بشكل حتمي الاتفاق عليه. (...)وأنا لست في الموقع الذي يسمح لي بالكتابة أكثر من ذلك في هذه المرحلة."

عبارة تشرشل الشهيرة وما حدث بعد ذلك

يقول تشرشل: "ليس لدي شيء لأقدمه غير الدم والتعب والدموع والعرق." وقد اخترق الألمان مقدمة الحلفاء في سيدان، وفي الرابع عشر من مايو كانت هناك هدنة مع هولندا، وقد كان ذلك كرهاً في منتصف النهار، حيث تمت مهاجمة روتردام في الثالثة بعد الظهر، وكان الهجوم جوياً، واستسلمت.

يقول تشرشل فيما بعدُ إن [الاتحاد السوفيتي] "يجب أن يحتل بلاد البلطيق وجزءًا كبيرًا من بولندا بقوة السلاح أو التسلل قبل أن تتم مهاجمتهم، أيضا برغم أن سياستهم كانت قاسية فإنها كانت الأكثر واقعية في هذا الوقت."

هولندا تستسلم وخط الماجينو تم اختراقه.

يتم توقيع اتفاقية تذكر أن روسيا سوف تمد قواعدها في أستونيا.

يلحق بالاتفاقية قائمة بالأماكن الاثنين والأربعين في أستونيا التي سوف تتمركز بها القوات الروسية.

هنا في قصتنا ما يفيد فقط ذكر الأماكن القريبة من مكان إقامة صديقنا الطيب بريخت.

دعنا نذكر البعض.. إلى أين ستذهب القوات الروسية؟ على سبيل المثال شبه جزيرة باكري (٤٢٠٠ هكتار) وجزيرة باكري الصغرى (١٠٧٠ هكتار) وباكري الكبرى (١٢٠٠

هكتار) وأوسموسار (٤٣٦ هكتار) ومحطة سكة حديد كلوجا وبحيرة كلوجا (٥٠٠ هكتار)...

يكتب اللواء أ. تراكسما التالي إلى وزير الخارجية الأستوني أ. بيب:

"(....) حتى الآن بقى كل شيء مربكًا وغير واضح. (...) والموقف غير الواضح سمح لنا برسم عدد من الآمال لناتج جيد، وبينما تفسر أفكارنا بناء على مصالحنا المرسومة في الاتفاقية هناك حجرة أخرى ذات تفسيرات مختلفة.. فعلى سبيل المثال لدينا آمال في أن وضع القوات المذكور في البروتوكول السري سوف يطبق فقط حالة الحرب، وسوف ينتهي بعد ذلك... (...) وقد انتهت هذه الآمال في أثناء المحادثات مع مولوتوف في الحادي عشر من مايو(...). يجب أن نصل إلى بنود تؤكد أن وجود القوات والدعم الجوي دائم (...)... وهذه هي المبادئ التي لم نقم على أساسها بأي تقدم مهما كان في أثناء المحادثات مع مولوتوف. 'فهي ضرورة عسكرية، وكل منا سوف يقوم بتضحيات، وبالنسبة لدولتنا فنحن نطلب تحت هذه الظروف أن تكون هناك مناطق أكبر خارج الحدود، وتحت شروط أكثر صرامة.' كان هذا رأي مولوتوف. (...) وأنا أتخيل أن السبب الحقيقي هو أن روسيا السوفيتية لها مطلق الحرية."

أزفستيا يقولها بصراحة

تكتب الصحيفة الروسية القومية الرئيسية كالتالي:

"أثبتت الأحداث الأخيرة، مثل احتلال بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج مرة أخرى – أن حيادية الدول الصغيرة محض خيال؛ لأنها ليست في موقع يسمح بالدفاع عن حيادها الشخصي، فالأمم الصغيرة لديها فرص قليلة للحفاظ على هيمنتها، وكل المفاوضات التي تدخل فيها بعدد كبير والمتعلقة بالحقوق والأخطاء هي مفاوضات ساذجة تماماً؛ لأن الأخيرة تقوم بقرارات في الحرب تقرر ما إذا كانت الدول الصغيرة ستبقى أم لا."

تشرشل يرسل إلى باريس؛ ليكتشف ما يحدث هناك.

لقد أدرك شيئاً بلا شك، لكن الكثير بقى غير مفهوم بالنسبة إليه.

الألمان البلطيق يغادرون أستونيا

كما نعرف فقد دعا هتلر الألمان للعودة إلى وطن الرايخ قبل بدء الحرب الكبرى، حتى من أماكن مثل أستونيا.

باقي المواطنين الآن على الحدود الألمانية (هناك تقريباً أربعمائة شخص في الطريق).

الرئيس الأستوني يقدم جوائز أدبية

يقدم الرئيس قنسطنطين باتز جوائز أدبية للكُتّاب.

obeikandl.com

يحصل أوجست جاكوبسون الواقعي، وربما حتى الطبيعي – على جائزة على مسرحيته الأشباح (يمكنك أن ترى من العنوان أن المسرحية تغطي تقريباً مادة مسرحية إبسن الأشباح نفسها). وبين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٨ كان هذا الكاتب تقريباً في منصب رئيس الجمهورية الأستونية نفسه الذي يقدم له الجائزة الآن، فخلال هذه السنوات كان الأمين الأول للجمهورية الأستونية الاشتراكية السوفتية، ورئيسها اسمياً كذلك.

ذهبت الجائزة الثانية إلى شخص يعد أحد أعظم الكتّاب الأستونيين، وهو تماساري الذي كانت هيلا حين تقول إنها أحببت ألمانيّا تُلمح إلى روايته الشهيرة بعنوان "لقد أحببت ألمانيّاً"، لكن هذه المرة كانت الجائزة مقدمة على رواية أخرى لتماساري تصف وصول الشيطان إلى الأرض، حيث يريد أن يخبر بيتر أنه حتى الشيطان قد يجد النعمة والخلاص، ففي أستونيا يكون وصف الشيطان (المعروف أيضا باسم فاناباجون أو الوثن العجوز) مختلفاً تماماً عن العرف المسيحي، وهو ما لا فائدة من البدء في الحديث عنه هنا.

وقبل أن يتلقى تماساري الجائزة كان ميتاً بالفعل منذ شهرين، وهكذا بقى غير حاضر على الأقل في المظهر الإنساني في كل الأشياء، التي تحدث في أستونيا وبقية العالم.

فائز آخر بالجائزة هو ميت متسنورك، الذي لم يمت حتى ١٩٥٧، ولم يقم بأي شيء ملحوظ أو سيئ خلال بقية حياته،

لكنه فقط يعيد الكتابة ببساطة وتهذيب أعماله السابقة، ويبتعد عن السياسة.

لكن لا يمكن قول ذلك عن الرجلين التاليين.

يوهانس سيمبر الذي تحصل روايته النفسية الذكية على جائزة ويصبح بعدها ببضعة أشهر وزير التعليم تحت قيادة الاشتراكيين، وهو خبير في أندريه جايد ورئيس مركز بن، لكن صلاحياته تنتهي بعد الحرب، وبعد ذوبان الثلج يخطط لبدء النشر مرة أخرى، لكنه يفقد لمسته، وينشر أعمالاً قليلة القيمة قبل موته (١٩٧٠). إنه يجلس هناك في صمت بوجهه المميز، وربما يقول شيئاً سراً بين الأصدقاء، لكن لا يمكننا سماعه.

كما تلقى يوهانس فاريس- بارباروس أيضا جائزة وهو يعد حالة خاصة، وسوف نقول هنا فقط إنه في وقت تقديم الجائزة لم يعرف الرئيس باتز أن هذا الطبيب الإقليمي والشاعر الفوضوي المستقبلي قد تم بالفعل اختياره عن طريق الروس؛ ليكون رئيس الوزراء القادم في الحكومة القادمة، وهناك اختلاف حتى ما إذا كان هو يعرف ذلك، وربما اعتقد أن الناس قد تعطي اهتماماً له؛ لأنه كان شاعراً جيداً.

والآخرون؟

كل قدر مثير بلا شك في ذاته، لكننا لن نذكرهم جميعاً هنا.

من الفائزين بالجوائز هذا العام أوجست مالك وبدروكريشتن اللذين خططا للهرب من البلاد في ١٩٤٤، الأول إلى السويد، والثاني إلى الولايات المتحدة، وقد أنقذا بذلك روحيهما وشرفهما.

بعد الحرب وصل الحال بالشاعر جان كارنر أحد الحاصلين على جائزة (الذي كان أحد المتعاونين مع النظام الجديد) أن يصبح مجنوناً، ولا يمكن أخذ كلامه على محمل الجد.

وهناك شاعر آخر حصل على جائزة، وهو يوهانس سوتيستي، الذي انهارت صحته تحت الأسر الألماني، لكنه لم يلقَ قبولاً من الروس عندما عاد، وقد توفى في ١٩٤٥.

لقد كان هؤلاء هم الأشخاص الذين تلقوا الجوائز.

لم يكن بريخت يعرف أبداً كل ذلك؛ لأنه كان مستغرقاً في الأمة الألمانية وفي نفسه.

طوابير الدبابات الألمانية تصل إلى القنال الإنجليزي.

يتصفح بريخت نسخة قديمة من ١٩٠٧ لموسوعة ماير، التي تضعها هيلا على الرف، حيث كان يريد أن يعرف من هم الأستونيون وهذا ما تعلمه:

الأستونيون أمة تعيش في الجزء الأوروبي من روسيا، وهم من الجنس المغولي والعائلة الفنلندية، يعيشون بشكل لائق في أستونيا في جزيرة ساريما [أوزيل] والجزر المجاورة

هيوما [داجو] وموهو [مون] الخ.. وفي الجزء الشمالي من ليفونيا في جوبرنياس بيكفا [بسكوف] وفيتيبسك وسانت بطرسبرج، وفي أثناء العصور الوسطى امتدت الأماكن التي يسكنها الأستونيون أكثر في الجنوب، وأيضا كان يسكنها المعروفون الآن بالكورلانديين والليفونيين، لكن تم إبعادهم عنها تدريجيًا عن طريق الليتوانيين..

مساحة المنطقة ٣٨.٥ كم مربع، وعدد السكان تقريباً ٧٥٠٠٠٠، وقد سماهم الروس "تشوخنا" أو "تشوخونتسي" التي تعني "الأجانب"، كما سماهم الليتوانيين "إيجاوني" التي تعني "الدخول في السياج"، وسماهم الفنلنديون "فيرولايسيت" ("سكان المناطق الحدودية")، وقد سموا أنفسهم "تالوبويج" ("المزارعين").

والأستونيون ليسوا مهندمين ولا أقوياء، واستثناء هذه القاعدة هم السكان الساحليون، لكن داخل البلاد تجد الناس قصار القامة ذوي الرؤوس الصغيرة والوجوه العريضة والمضغوطة في وقت واحد، حيث تظهر صفات الجنس المغولي، كما أن عظام وجنتهم عريضة وأفواههم صغيرة، وكذلك تغطي حواجبهم السميكة عيونهم العميقة ذات القزحية الرمادية، ولديهم شعر ناعم أو بنى يتدلى بحرية، وأكتافهم غير متناسقة مع طولهم، وأذرعهم طويلة، ومع ذلك أيديهم عريضة، وأصابعهم قصيرة، كما تستوي دعامة سيقانهم العريضة مع سيقانهم القصيرة، التي تدعمها أقدام قصيرة، ولهذا السبب تكون وقفة الأستونيين

مفتوحة الأطراف، ومشيتهم بطيئة.

يلبس الأستونيون بشكل رسمي، فالرجال يرتدون عباءات سوداء طويلة ليس لها ياقة أو طية صدر، تسمى خامتها "فاتمان". وتحتها يرتدون صديريات مصنوعة من الجوخ، كما يرتدون سراويل قصيرة مصنوعة من الكتان أو الجلد وجوارب صوفية، وفي القدم يرتدون أحذية من الجلد غير المعالج تسمى "البستيلات"، وعلى رؤسهم قبعات مستديرة، وفي الشتاء يرتدون عباءاتهم المصنوعة من جلد الغنم والقبعات المصنوعات من فرو الثعالب.

كما ترتدي الإناث تنانير مطوية ذات ألوان زاهية وتنانير تحتية سوداء ضيقة جداً، وترتدي المتزوجات قبعة سوداء مناسبة تماماً (تانو)، وفي المنطقة حول ريفال وفي الجزر على الجانب الآخر يرتدين عقالا عريضا (بارج).

والمنازل المسكونة بالأستونيين متينة، وليس بها مداخن، ويتم تدفئة غرفة النوم بموقد الحنطة، الذي يندفع منه الدخان الناتج عن الحبوب الجافة بحرياً، ويخرج عن طريق الباب.

ومعظم السكان أستونيون، وهم أشخاص لا يفهمون كلمة من اللغة الألمانية، وبمجرد أن يتلقى أستوني تعليما يصبح عضواً من الشعب الألماني ونادراً الروسي.

لدى الأستونيين ميل ملحوظ لإنتاج الشعر، فعند تجمعهم يتخاطبون دائماً بشعر معروف أو أبيات مرتجلة

مغناة في شكل بسيط، والنساء خاصة يغنين عند القيام بمعظم الأعمال (في الحقول وعند البيدر وعند الغزل.. الخ..).

وعندما أصبحت الملحمة الفنلندية القومية الـ"كاليفيلا" معروفة في أوروبا كلها بدأ الأستونيون في جمع مادة الفولكلور القومي خاصة التي نشرها كرويتزفالد في ١٨٥٨ بعنوان كاليفيبويج.

وفي الأساس كان الأستونيون شعبا محاربا، وأيضا قراصنة، وقد كانت لهم هيبة كبيرة في بحر البلطيق، وطبيعتهم الفنلندية الأوغرية منطوية ومرتابة.

وقد اختلط الأستونيون في العصور الحديثة مع عناصر روسية؛ ولهذا السبب أصبحوا أكثر قدرة على الاتصال والجدية في العمل، وأكثر مهارة من الروس فيما يتعلق بالعديد من النشاطات المنزلية.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

obeikandl.com

obeikandl.com

بداية صيف ١٩٤٠

ـ ٢٠ مـايـو ـ

اليوم، في ١٩٤٠، وصلت لاي تو أخيراً، وها هي تتحدث تليفونياً مع آل هلسينكي، وتسألهم ما إذا كان من الممكن أن تأتي إلى مسكنهم.

ترحب هيلا بلاي تو في مرح، لكنها تكذب حين تقول إنها مضطرة للخروج، وتعطيها عنوان بريخت.

لاي تو تقرع جرس الباب ومعها وردة حمراء في يدها، وتضع حلي بالمن.

لماذا لاي تو؟

أحب بريخت فكرة إخفاء أفكاره في مظهر شرقي، فقد قام بتأليف كتاب كامل يعيد صياغة فلسفة مودي، ويقدمه روث تحت اسم لاي تو، لكن يقدمه آخرون أيضا تحت أسماء متعددة.

وهنا مفتاح مختصر لـ "عمله الصيني".

obeikandl.com

إنجيلز – ايه فو، لينين – مي – أن – ليه، ماركس – كا- ميه، هيجل – هو – جيه أو هي-ليه، روزا لوكسمبورج – سا، ستالين – ني – آن، تروتسكي – تو- تسي، بريخت نفسه – كين – جيه أو كين – ليه. بينما روسيا هي تسن، والاتحاد السوفيتي سو، وألمانيا جا أوجي – ال أوجير، وهتلر هي – جيه أو هوي – جيه، وبليخانوف لي –بيه وأناتول، فرنسا فان – تسي، وفيوختفانجر فيهو –وانج، وإميل لودفيج _ لو، والاسم المستعار لبيرلو قد ذكر بالفعل.

عاش مودي خلال الفترة التي سبقت ميلاد المسيح (من ٤٧٩ إلى ٤٠٠ قبل الميلاد)، وقد أخذ بريخت كل أفكاره منه بما فيها مشاكله الشخصية مع المنطق وهيجل.

وعلى مستوى السياسة اليومية هناك بالتأكيد صدام بين مي – أن – ليه (الذي يحبه بريخت) وني –أن الذي يحبه أقل. لكنه لا يجرؤ على نقله جهراً، ليس فقط لخوفه من ني – أن؛ فبريخت يحب هي – جيه أقل.

الفكرة الخفية في الكتاب هي بالطبع والمنطق حب بريخت الأعظم.

يسأل بريخت: "من أين أتيت؟"

تجيب روث: "لقد دعوتني بعد كل شيء." ولم تخرج النساء الأخريات إلى الرواق.

هذا صحيح، فبريخت قد قام بدعوة روث، فقبل ذلك قامت روث بترك زوجها وأطفالها الثلاثة من أجله، والأكثر من ذلك أنها أصبحت يسارية (عندما كانوا يعملون لها الفيزا حاولوا تقليل ذلك إلى كونها "اشتركية"). وقد كان بريخت بالفعل يتوقع روث، فقد كان طلب منها أن تشاركه حياته في المنفى حيث كتب لها التالي:

"عزيزتي روث، تعالي بسرعة؛ فلا شيء تغير، وكل شيء آمن ج.ا.د [وهذا اختصار ل جيج السكر ديج وهي تعني أحبك بالدنماركية]. والموقف سوف يبقى كما هو مهما طال فراقنا، ولو حتى لعشر سنوات أو عشرين سنة (...) انتبهي لنفسك، وتأكدي من تجنب الخطر؛ لأن وقتنا سوف يأتي قريباً، ويجب أن تكوني مستعدة له، عزيزتي روث ابيب بيرلوت." [ابيب هو اختصار آخر لبريخت نقشه على خاتم أهداه لروث، وهو تعبير لاتيني ات بروب ات بروكول (قريب للغاية ومع ذلك بعيد للغاية).]

هيلين وجريتي مصدومتان وبريخت مندهش، إلا أنه يعتقد أن هذا الحدث هو بداية شيء غير متوقع.

جريتي لا تنطق كلمة، وفي الحقيقة هي لا تتكلم لأيام عديدة.

تقول هيلين: "إنها لن تبقى هنا، خذها إلى فندق."

ينفتح الباب مرة أخرى، وتعلن روث بعينين متألقتين: "فندق، بالطبع، أي مكان أفضل من ذلك؟ دعنا

نذهب!"

يختار بريخت بنسيون فيدلهال المجاور.

يسيران في الظلام الذي يسود بالفعل، وقد صارت الأوراق أكبر، ويضع بريخت يده حول وسط روث، وهي تخبره أنها هربت بالكاد من الدنمارك؛ حفاظاً على حياتها. وقد كانت تؤدي دورًا عندما اقتحم النازيون شقتها، حيث كانت تمثل رواية بريخت "خوف وتعاسة الرايخ الثالث"، وعندما وصلت المنزل هذا المساء وجدت أن النازيين قاموا بإلقاء الحجارة عبر نوافذ شقتها، وكسروا الباب، ودمروا كل شيء بالداخل.

يشير بريخت إلى صفات السماء عبر نافذة البنسيون.

"هل ترين مجموعة النجوم تلك التي تشبه حرف دبليو؟ إنها كاسيوبيا، إنها مجموعة النجوم خاصتنا، فأينما نكون في هذا العالم سوف تلتقي نظراتنا في هذه المجموعة."

أجابت روث من السرير: "لقد أَحضرت السماء إلى الأرض، وليس فقط هذه النجوم الخمسة، لكن كل السماء."

يسأل بريخت وهو يحدق في السماء: "هل كل شيء على ما يرام؟" (يقصد: هل كنت مخلصة لي؟)

ترد روث: "نعم."

وهي دائماً تجيب هكذا بضمير نقي، إذا تركت جانباً ما حدث لها في الحرب الأسبانية الأهلية، وقد كان بريخت غيوراً عليها جداً. ثم بمساعدة أمين البرلمان ذي النفوذ جورج برانتينج خططا فيما بعد للحصول على تأشيرة إلى السويد، وقد كان ذلك خطأ بريخت؛ حيث كان يخشى الذهاب إلى أسبانيا بنفسه، وتمنى أن تخبره روث عنها.

وهكذا قاما بعلاقة مرة أخرى وبريخت يتلو: "أوقات مظلمة... في مدينة غريبة.. لكن الطريق مضيء كما كان... ناعم الجبين..."

ذهبت بيرلو فيما بعد للعيش مرة أخرى في ألمانيا، لكن بريخت لم يعبأ بها أكثر من ذلك، سوى بعمل مكالمات تليفونية لا تعد، وكذلك رسومات وكتابة خطابات وعروض للقاء معًا في وقت ما. وقد قالت في خطاب في ١٩٥١ إن بريخت الآن يصطاد "لحمًا طازجًا." أما من جانبه فقد اتهمها بريخت بأنها جعلته أكبر خمس سنوات، ومع ذلك قامت بمحاولات للقائه قبل وفاته، لكن لم يكن مسموحًا لها بالدخول إلى المسرح، بعد ذلك وعندما انفصل بريخت عن فيجل في١٩٥٣ (حتى لو كانا يعيشان متقاربين؟) كانت هذه فرصتها الأخيرة، لكنها لم تجن منها شيئًا، وفي الستينيات بدأت المشي متكأة على عصاه، وَفي ١٩٧٤ تلقت مكانًا في منزل لكبار السن بوصفها ضحية للنظام النازي ومدمنة الكحول، كانت تشرب العديد من كؤوس الخمر في إحدى الليالي، ومعها القليل من السجائر وفجأة

سقطت نائمة وهي تشعل إحداها، فاختنقت بفعل الدخان الناتج، وكان الخامس عشر من يناير عام ١٩٧٤ هو تاريخ وفاتها، وقد أرادت بيرلو أن يتم رمي رفاتها على البحر، لكن ذلك لم يحدث، فقد وضعت جرة الرفات في مقبرة دوروثي في برلين (مقبرة دوروثيا استاتيشي)، وهناك أيضا دفن بريخت.

في يوم ما، وبريخت في مكان فوليجوكي، كانت هيلا متوهجة كالعادة، تتحدث بحدة شديدة عن نفسها وعن أستونيا وعن الأعمال الكوميدية وعن فنلندا وعن الخيل والطيور والرأسمالية وعن سندريلا.

يرن جرس التليفون.. روث بيرلو على الجانب الآخر، تسأل ما إذا كان يمكنها المجيء.. هيلا مرتابة وتقول لها: لا؛ إنها مشغولة. يحدث هذا في الحادي والعشرين من مايو، وهيلا تتمنى ألا تأتي بيرلو.

تستمر هيلا في تألقها، وتتحدث أكثر عن نفسها وأستونيا والأعمال الكوميدية وفنلندا والخيل والطيور والرأسمالية وسندريلا.

هيلا تأكل كل ذلك بينما هي في المطبخ. وبريخت لم يكن له أبداً أي علاقة بالمطبخ.. زجاجة البيرة أمامه، ويطبل بأصابعه على حافة الطاولة، وها هو ينظر إلى عيني هيلا، ويتساءل ما إذا كانت قد تخونه لو اقتضت الحاجة، ليس مع شخص ما، لكن ربما لصالح روسيا، معتقداً أنه سوف يشعر

بأمن أكبر في أمريكا، لكنه لا يمكنه الوصول إلى هناك دون المرور بروسيا.

في أقصى الشمال في بتسانو ما زال هناك طريق للخروج، لكن سيغلق قريباً.. إذاً الطريق الوحيد هو عبر موسكو وبأسرع ما يمكن دون التوقف في أي مكان خلال الرحلة.

ثم يرن جرس الباب، وبالرغم من رفضها فإنها وصلت على أي حال. (ولم تخبر هيلا بريخت عمن كان يتصل.) ترى هيلا امرأة طويلة جميلة تنحني أمام الباب الأمامي، وكيف يتعامل معها بريخت القصير.. يتبادلان القبلات لوقت طويل..

هيلا جاهزة بالفعل للاعتقاد أنهما سوف يمارسان الجنس هنا في الصالة.

ابنة هيلا، فابو توميوجو التي أنا ممتن لها بقدر كبير بسبب تطوير هذه الرواية، وكانت تتم دعوتي إلى منزلها في شارع ميريكاتو - تتذكر أن روث كانت جمالاً حقيقياً، وكان لها جسد رائع، وحبها لبريخت كان أكثر من واضح..

كانت بيرلو أنثوية بلا شك، ورائدة في عصرها، كانت أيضا شيوعية، وقد أصبحت في النهاية مشهورة؛ لأنها قادت الدراجة إلى موسكو في الثلاثينيات للقيام بتحقيق صحفي.

يسميها بعض الناس "روث الحمراء"، لكن هذا لا يعد عجيباً حين تضع في الاعتبار كيف كان انتشار الشيوعية فيما بين الحربين بين النخبة الشابة المثقفة في الغرب.

اعتقدت سيلفي كيليكي كيلبي أن روث كانت مليئة بالحيوية، ومن النوع المرح من البشر، لكن في الأمور الجنسية والأخلاقية، فقد جسدت ذلك النوع من النساء الذي تخشاه كيلبي، حيث عاشت حياتها وفقاً لقواعدها الخاصة.

يقدم البنسيون (الذي يبعد ١٠ دقائق مشياً عن شقة بريخت) القهوة إلى ضيوفه، والقهوة كانت نادرة في وقت الحرب.

تقول بيرلوا عبر جملة فضولية في مذكراتها إن هيلا تناولت القهوة، ومع ذلك فقد حصلت عليها من الجار العظيم.

لكن روث أرادت إحضار القهوة لبريخت بنفسها، وفي الساعة السابعة صباحاً تخرج مسرعة مع إبريق نحاسي به قهوة ملفوف في جريدة، وتقف خارج نافذة بريخت، وتطرق على زجاج النافذة، ويديها مرتفعة بالقهوة.

٢٥ مايـــو

مع اقتراب نهاية أبريل عام ١٩٣٨، تم القبض على ٨٤٢ ألمانيًا في روسيا، وبينهم على سبيل المثال فريتز شولتك

وهيرمان شوبرج وهانز كانينبرجر وهانز نبومان وهنريك سوسكيند وهو جوابيرلين وفيرنر هيرش وآخرون.

ظهرت رواية ستانيسلافسكي "ممثل يستعد" في ١٩٣٨ بالترجمة الألمانية في زيورخ تحت اسم "سر النجاح". وفي اللغة الألمانية اتفقت الواقعية والنازيون لوقت قصير.

رأى بريخت دائماً ستانيسلافسكي ابنًا للأيام القديمة الطبيعية، فقد قارن النظرية مع كتل التراب في الأرض، التي يحضرها علماء النبات إلى معاملهم لإجراء أبحاث عليها، وكان التركيز الأساسي للعمل هو وصف المواقف وفحص الحياة العقلية للأفراد.

ومسرحه الذي بقى ثمانين عاماً بعدها يمكن أن ينظر إليه في بعض الأحيان بوصفه شيئا من الأيام العتيقة، مثل عرض متحف.

أراد بريخت أن يساند ذلك النوع من المسرح حيث لم تعش الدور، وقد رأى أن الاندماج في دورك ظاهرة هامشية لا تضر في أي شيء، كما اعتقد بريخت أنك يجب أن تقتلع أي تعاطف لديك بوصفك ممثلا، وأن إظهار العواطف في أماكن معينة في المسرحية ينبغي أن يستخدم فقط بحرص شديد جداً جداً، ومختلطاً بنشاطات أخرى.

شخص ما عاش دوره بالكامل، وفي النهاية بدأ يصدق أنه الشخص الذي أراد أن يكونه.

obeikandl.com

أراد بريخت ممثلاً (وشخصًا) أن يرى نفسه من الخارج، فقد كان مؤيداً للاغتراب والعزلة.

في أي لحظة تتسنى لك يجب أن تسأل نفسك ماذا يحدث؟ وماذا سيحدث الآن؟

الاغتراب والعزلة هما في الحقيقة الفعلية شيئان منفصلان.

الاغتراب كلمة تعود أساسًا إلى كارل ماركس الشاب، وكان هذا المصطلح متوافقًا مع الطور الأول للرأسمالية، حيث ينفصل الناس كلية عن أعمالهم.

العزلة التي تحدث عنها بريخت بقدر كبير في أثناء حياته ليست مصطلحًا اجتماعيا، فقد كان يفكر في شيء بسيط نسبيًا.

لقد وصلت إلى مرحلة في حياتك، حيث تكون معتاداً جداً على ظاهرة محددة في التفكير والفعل، وهكذا ينبغي أن تكون، وفجأة يُظهر لك بريخت أنه ليس كل شيء يمكن الاستدلال عليه ذاتياً، وما هو طبيعي يبدو فجأة غريباً، والعزلة مطلوبة، وتكون كما لو كنت قد ولدت لتوك ولا تفهم الظواهر.. لماذا لا تسقط الشمس على رؤسنا؟ هل نحن موجودون؟ ما الطبيعي في حقيقة أن امرأة تبيع جسدها؟ وما الأغشية المخاطية؟ لماذا نأكل أجسام الحيوانات الميتة؟ من أين أتى هتلر؟ وهل من الممكن أن يصبح طفلنا هتلر آخر؟ ومتى سيصبح واضحاً أنه ليس هناك طفل إلا

وأصبح هتلر؟

لوصف "تأثير العزلة" لبريخت سوف نحتاج رواية كاملة، تسمى أيضا الاغتراب، والعلاقة بين المصطلحين فصل مثير في تاريخ العقل، لكننا لن نبدأ في هذا الطريق هنا، فقد وصفه بريخت بشكل كاف تماماً في أعماله، والجزء الأهم منه ألا وهو الأعمال النظرية والأورجانون الصغير للمسرح (كلاهما متاح في أستونيا، نشر في ١٩٧٢).

ويجب أن نذكر هنا أن العزلة مصطلح يرجع في الأصل إلى نظرية الشكلية الروسية في العشرينيات لفيكتور شكلوفسكي، الذي استخدم مصطلح "الابتعاد" المترجم إلى "الإبعاد" أو لماذا لا "الحث على التساؤل"، والفكرة من وجهة نظر بريخت كانت وصف علاقة نعدها جميعاً طبيعية، مثل تلك العلاقة بين رأس مالي وعامل، بشكل يجعلنا ننظر إليها كما لو كنا نراها لأول مرة.

كان ليون فيوختفانجر، الروائي الرئيسي الذي كان صديقاً لبريخت - يسافر في ذلك الوقت إلى مخيم التركيز في ليس ميلز، وقد سافر إلى السجن برغبته عن طريق تاكسي على حد معرفتي ودفع لإقامته بنفسه، وقد كان غريباً من وجهة النظر الفرنسية؛ ومن ثم كان يجب اعتقاله.

في فنلندا اتفاق سلام وصداقة بين تلك البلد والاتحاد السوفيتي.

تَرى وكالة الأنباء الروسية تاس أنه من الصعب عمل اتفاقات مع البريطانيين والقوات الألمانية، تغزو كلا من هولندا وبلجيكا.. يخبر بلوتشر برلين أن هذه الانتصارات كان لها تأثير عميق في الفنلنديين.. في الثالث والعشرين من مايو تم القبض على زعيم الفاشيين البريطانيين أوزوالد موسلي، وهوجمت فيلا تروتسكي للمرة الأولى، وقد تم تنفيذ هذه الهجمة باسم الرسام المعروف ديفيد سيكويروس، وكان سيكويروس بلا شك (مثل دييجوريفيرا) رساماً أثريا جيدا جداً، لكنه كان أيضا يسارياً مثل العديد من المثقفين في فترة ما بين الحربين، وقد أعلن سيكويروس جهراً أنه لم يرغب في القيام بمحاولة لقتل تروتسكي، لكن الحدث كان مجرد احتجاج على إقامة تروتسكي في المكسيك.

في الرابع والعشرين من مايو تخلى الحلفاء عن المعركة حول نارفيك، ووصلت القوات الألمانية إلى نقطة توقف تام بالقرب من دونكيرك.

٢٦ مايـــو

في فنلندا غرق ستة وعشرون شخصاً في نهر كانوا يركبون حافلة، وقد كان سبعة عشر منهم ميتين بالفعل عند وصول المساعدة، وفي فلاندرز المعارك قائمة، وفي إيطاليا لم يعد مسموحاً - دون سبب واضح - قيادة مركبات خاصة. وهنا في أستونيا نيران.. يتم حرق منشرة للخشب، وكذلك بعض المباني بمزرعة في الاتسكيفي، مع خسارة ثلاثة من

الماشية وثلاثة خنازير، وفي منطقة أدفانوسي كومة قش، وفي تارتو يذهب طفل أو آخر يساق إلى الثكنات ويقتل برصاصة طائشة.

٢٧، ٢٨ مايـو

تتهم الجريدة الشهيرة برافدا المثقفين الأستونيين بأنهم مؤيدون لبريطانيا، وتعتقد الجريدة أن هؤلاء الذين لا يتوقفون عن الثرثرة بنكات معادية لهتلر يجب أن يتم القبض عليهم من الشرطة السرية، وهذا ليس نكتة؛ لأنه في الوقت نفسه تتكدس القوات الروسية على الحدود الأستونية، ومع ذلك في عالم الثقافة تكون الكلمات مختلفة قليلاً.. أم هل هذه مزامنة؟ في ٢٨ مايو بمتحف الفن الحديث في موسكو يتم افتتاح معرض للكتب الأستونية واللاتفية.

ميركادير (الذي لعب دوره أيضا ألان ديلون) يلتقي تروتسكي للمرة الأولى.

وهو يقوم بإهداء أحفاد تروتسكي طائرة لعبة، ويعلمهم كيف يجهزونها ويجعلونها تطير.

في الوقت نفسه تحدث بالطبع الكارثة في دونكيرك: في هذا اليوم يتم إجلاء ١٧٨٠٤ جندياً.

هناك شائعة تقول إن طائرات أجنبية مجهولة الهوية تطير عبر الفضاء الجوي السويسري، وفي القصر الملكي في أوسلو يلقي تيربوفين خطابًا، يعد بمد يد الصداقة إلى

النرويجيين.

هذه هي الطريقة التي تتطور بها الحرب، فهي تبدأ بحوادث عشوائية تتراكم فيما بعد، وتتجه في نهاية المطاف إلى الإغلاق.. لماذا؟ دعنا نقول ببساطة: إن الناس أغبياء نسبياً.

٢٩ مايو

تعلن تاس أن ليتوانيا تتصرف بطريقة مستفزة، وقد قامت ليتوانيا بالفعل بعمل لجنة للتحقيق، لكن مهما يكن ما تحققه فهو قليل جداً ومتأخر جداً.

يشاع في ليتوانيا أن الجنود الروس قد قُتلوا، ومن المفترض أنهم تم تعذيبهم في أماكن غير معروفة، أُخذوا إليها وهم معصوبو العينين، وهذا يجعل أوربسيس يرسل كل سفرائه في حالة وجود كارثة، ويصبح لوزورايتيس رئيس كل النشاط الدبلوماسي.

١ يونيو

يتساءل بريخت ماذا سيفعل بعد ذلك، فهو وحيد في الحجرة والطقس بارد نسبياً، ولا داعي لفتح النافذة؛ فالغبار يدور، والشمس مشرقة، لكن الصيف لم يبدأ بعد.. إذاً ماذا الآن؟ لا أعرف.. هل التفكير في الصيف بوصفه نشاطًا منتجًا للانغماس فيه؟ في الصيف أكثر الأشياء فظاعة تحدث؛ لأن الطقس يكون دافئاً، ويجد الأشرار أنفسهم خارج منازلهم، لكنهم في الشتاء يختبئون في منازلهم ينتظرون،

obeikandl.com

وأجسادهم مقشعرة لكن في الصيف - يا عزيزي - يثار اهتمام مثل هذا! اهتمام بفعل ماذا؟ الخروج أو الصياح أو الغزو أو التحرير أو الاحتلال.

اليوم يفكر بريخت كالتالي:

هناك شائعات في كل مكان عن روح مقاومة بين القوات الألمانية نفسها، وهذا يجعل بريخت يفكر في اسم فريدريك فينسلوتايلور، وبالتالي يفكر في مجتمع تايلور، فاتجاه تايلور يميل إلى الحديث عن حقيقة أن الاهتمام والاجتهاد أشياء يمكن وضعها في حزام نقل، لكن حزام النقل يجعل بسالة الشخص بلا معنى، فالشجاعة والاجتهاد ليست أمورًا خاصة بعد ذلك، وكما يفكر بريخت فإن الجنود الألمان في الوقت نفسه كما لو كانوا يتلقون الضوء. نعم فالجندي الألماني - كما يعتقد بريخت - لا يتلقى تعليمات بأي شكل من الأخلاق الشخصية، بل هم مُحرضون بروح مجموعة، فالجندي مثل السلاح أو أداة النصر، والجنود مثل القنابل، لكن القنابل ليس لها روح، ولا يفترض أن يكون، فهل القنابل والقطط لديها نظام أخلاقي، هذا ما يسأله بريخت لنفسه؟ وهو لا يعرف الإجابة.. بالتأكيد لا يعرف، لكن إذا كان لديه فربما من الأفضل عدم المعرفة بذلك.

يفكر بريخت.. أنا بالفعل فرد يستيقظ من النوم ويذهب إلى المرآة.. نعم هو فرد، بقدر ما قد يكون أي شخص في الظروف الحالية، فهل يختلف هو بقدر كبير عن الأشخاص الآخرين؟ هذا شيء لا يعرفه، لكنه يختلف في بعض

الأشياء.

يفكر بريخت.. أنا لست الماتون (كلمة فنلندية تعني دون شخصية)، وهو يتذكر ادعاء هيلا، الذي يُبْنَى عليه أن بريخت وصحبته عديمو الشخصية.

سلاح الجو الألماني يقصف بالفعل باريس، والناس يعتقدون أن دونكيرك قد احتلت بالفعل، وفي الحقيقة لم يتم احتلالها، حتى الليلة التالية.

٤ يونيو

نعم، لقد تم غزو دونكيرك، ترفرف الأعلام لثلاثة أيام في ألمانيا، وأجراس الكنيسة تدق، وهتلر مقتنع أن الحرب سوف تنتهي في غضون ستة أسابيع، وتشرشل يعلم الجميع أنه حتى إذا تم غزو بريطانيا سوف تستمر الحرب في البحر وعبر الكون كله.. يبدأ الحلفاء في الانسحاب من نارفيك.

جريتي تموت بعد عام بالضبط.

في الوقت نفسه يتم طبع كتاب تفسير العبارات العسكرية الأستونية الروسية القصيرة، وهنا تجد عبارات مثل "أليس هناك أكثر من ذلك؟" و"أعطه هنا!" و"سوف أذهب لإطلاق النيران!"

يرى بريخت كيف تتطور الحرب بسرعة في العصر الحديث، فالآن لا يهم سوى التقدم، أما الطلائع والمناورات والحصون فليس لها أي عواقب.

السماء الفنلندية فارغة وحزينة، لكن قد يأتي منها في أي لحظة خطر جوي، مثل التهديد بغارة جوية والبناء المقابل مليء بالأجزاء شبه الشفافة، وبريخت نفسه أبيض وبلا لون.

بعد بضعة أيام تعلن إيطاليا الحرب على فرنسا وبريطانيا، وتغادر الحكومة الفرنسية باريس، ويتم إجلاء السفارات إلى بورد، بما في ذلك السفارة الأستونية. يغادر أندريه مارلو إلى لندن، ومن هناك يسافر إلى الولايات المتحدة. ليس لدى النرويج خيار آخر سوى الاستسلام، أما في أستونيا فيقال إن القواعد الروسية تتجه إلى حالة الإنذار، والسفير الليتواني تمت دعوته إلى موسكو عن طريق مولوتوف.

في المساء يجمع بريخت كل النساء حوله، ويبدأ في الحديث: "لقد انتهى الفرنسيون، وهذا ينبع من حقيقة أنهم وطنيون جداً، وهناك ليست ممارسة الوطنية فقط مكسبًا، لكنها لعنة أيضا، فهم لا يتزوجون بلادهم، لكنها تصبح سيدتهم.. الوطنية! بالرغم من ذلك سقط الدنماركيون ضحية لمزاحهم، فهم لم يروا من الحرب سوى الجانب المضحك، وقد اقتنعوا بأن الفاشية لم تناسبهم؛ لأن لديهم قدرًا كبيرًا من المرح.. كما أنهم يكسبون عيشهم من الخنازير؛ ولهذا السبب يجب أن تكون علاقتهم مع الألمان جيدة؛ لأن الألمان يحتاجون الخنازير.. والفاشية للأسف لم تكن شيئاً أخذه الدنماركيون على محمل الجد؛ لذا في صباح

يوم ما هبطت دستة طائرات تقريبا من السماء، واحتلت المدينة بكاملها. وقد ادعى الدنماركيون دائماً أن مزاحهم لا يمكن ترجمته؛ لأنه يتكون من فوارق لغوية دقيقة، لها منطق كوميديتهم، وهذا بالتالي أوضح أن الألمان لم يلاحظوا عدم جديتهم في الكلام."

عندما خرجت النساء لمشاهدة الغروب كان بريخت وحده. هل ينبغي أن أخلع بنطالي؟ هكذا يفكر، لم يكن هناك وقت كبير بين القول والفعل.. ولماذا لا؟ ثم يخلع بنطاله، ويلقيه على الأرض.. البنطال جمع (في الإنجليزية)! فلماذا؟ ربما لأن هناك قدمين للبنطال. كم يجب أن يكون هناك إذاً؟ أربع؟ هذا حيوان! مائة؟ هذه أم أربع أربعين! من أنا؟ يفكر بريخت. ذو قدمين حتى بنصف قدم ثالثة.. كل هذا هراء، فذلك الذي يتدلى بين قدمي رجل ليس قدماً لي.. كلها متماثلة فعلاً.. أنت لا تعرف ما هذا.. الشيء الوحيد الذي يعرفه بريخت بالتأكيد هو: أنه رجل من الغابات السوداء، بريخت.

١٠ يونيو

هذا الصباح قام بريخت بشرب القهوة التي أحضرتها له روث، ومارس الجنس مع جريتي المسلية، وهو الآن يفكر مع جريتي في مسرحيته الجديدة، التي بعضها جاهز بالفعل، والبعض الآخر لا، فمتى سيفكر في الفصول؟ ربما بعد الغداء. قبل الظهيرة بالكاد لا يسمح بريخت لأحد بدخول حجرته، ليس فقط في سريره، بل أيضا في أي مكان قريب

منه، والشيء الوحيد الذي يبدو صحيحاً لا ليست هيلين، بل اللاسلكي، فقد أخبره العديد من الأشياء السيئة، وإذا كان سيصدق ما يقولونه في اللاسلكي يجب أن يذهب ويشنق نفسه فوراً؛ لأن العالم يبدو سيئاً جداً.

بالرغم من ذلك تنشأ في عقله فكرة أن الإنسان جيد، وهو يكرس نفسه لفكرة أن الناس يصبحون سيئين عندما تكون المكابح تعمل.. اقتصاد السوق وهذه الأشياء الأخرى.

وعندما ينزعون المكابح سوف يصبح الناس جيدين مرة أخرى.. وما نوع الجيد؟ حب الجار أو الشخص من النوع نفسه لوضعها في مصطلحات ثابتة؛ لأنه من الجيد حب الآخرين، وهؤلاء الذين يقتلون كل شخص ربما ليسوا سيئين، لكنهم ببساطة قتلة، والعالم المتحضر ليس متسامحاً مع القتلة والقتل، على الأقل قتل شخص من الجنس نفسه ليس الشيء الذي يجب فعله.

هذا الكاتب لم يقتل أحدًا، فالقتل عمل صارخ دائماً، حيث يجب أن تعذب الناس للنهاية.. على الجانب الآخر: لقد أكلت الخنازير، لكن في مناسبة واحدة غداة كان أبي العجوز طريح الفراش، وسألني ما إذا كان يمكنني قتل ديك، ديك وليس خنزيرًا، وقد رفضت تماماً، فقال لي أبي وهو في بيجامة المستشفى: "بني، ألا يمكنك أن تذهب، وتقتل ديكاً؛ حتى لا تضطر أمك لعمل ذلك وحدها؟" فقلت: "لا." لقد تخيلت حتى ذلك الوقت أن أكون آكل حيوانات، لكني أترك الناس الذين يحبون القتل يقتلون الحيوانات بدلاً عني،

فإنهاء الحياة هو امتيازهم، وسوف آكل ما يقتلونه لي.. كل شخص له مبادئه في المجتمع، فاتركه متمسكاً بها، وإذا كنت حساساً قم بعمل حساس، أما إذا كنت قاسياً فقم بعمل قاس، فكلا النوعين لا يلتقيان في طريقهما، لكن هناك الكثير من الوظائف المتكاملة.

كان بريخت يعتقد أن الكائنات البشرية ذات جوهر جيد، ومن الصعب معرفة ما إذا كان بالفعل يفكر هكذا.. وربما فكرة الخير مرتبطة بكفاحه ضد اقتصاد السوق.. الرأسمالية قاسية كقسوة الشيوعية، والخير نادر، ويحدث غالباً في المدينة الفاضلة أو في شكل التملق.

كيف يتغير شخص ما للأفضل أو لا يفعل، وهذا ما نراه في أحلامنا أو أعمالنا الأخلاقية.. يصل أوربسيس إلى موسكو اليوم، ويقول ما يقول، لكن لا شيء يؤثر على مولوتوف. الوعود التي قطعتها حكومة سميتونا بالتعديل الوزاري لا تؤثر أيضا على موسكو.

١٤ يونيو

في اليوم نفسه يصل نيكيتين إلى تالين، وبالطبع لا يعرف بريخت ذلك، وعلى أي حال لم يكن ذلك ليجذب انتباهه... يسافر انتس اوراس، الخبير الأدبي الشهير المحب لإنجلترا، إلى تارتوثاني أكبر المدن الأستونية المعروفة بجامعتها، وتسمى هذه المدينة أثينا نهر أماجوجي، أي النهر الأم.. لماذا النهر الأم؟ يتدفق عبر المدينة نهر كبير نسبياً اسمه

أماجوجي أو أمباخ، أو بشكل أدق موترباخ.. وفي السبعينيات حينما كان لا يسمح لنا سوى بتلميحات ماكرة، غنى أحد مغني البوب أغنية عن كيف يأخذ نهر أماجوجي مياهه بشكل سري من أسفل نباتات الصفصاف على ضفة النهر أخذا ليس جبناً.. والله يعلم لم كان كل ذلك، لكن ربما تكون التعليمات الخاصة بكيف تتغير، وتغير المسار تحت أشجار الصفصاف الغامضة على الضفة.

لكن لماذا كان أوراس يسافر إلى تارتو وهو ليس بطل روايتنا، وبريخت لم يقابله في حياته (وكذلك لم يقابل أوراس بريخت).. هل كان يسافر إلى الجامعة هناك؟

مؤتمر البلطيق كان ينعقد..
ماذا سيناقشون هناك؟
أمور البلطيق بلا شك.
لكن الوقت متأخر جداً بالفعل.

لقد بدأ احتلال ليتوانيا، وفي ليلة السادس عشر غادر الرئيس سميتونا ليتوانيا، وحاولت السفن الروسية اعتراض زورق خاص بالرئيس في خليج فنلندا (لم يكن الرئيس عليه). وأخذوه إلى كرونشتات

وماذا حدث أيضا؟ التاريخ حكاية كالجن!

أعطى روزفلت أوامره ببناء سلاح نووي، وارتفع علم ذو صليب معقوف على برج إيفل.

هناك ملاحظات قليلة أخرى عن أوربسيس.. لقد تم استدعاؤه إلى الكرملين، وقرأ عليه مولوتوف الإنذار.. كان الرد قبل العاشرة، وتلقت الحكومة الليتوانية الإنذار في الثانية، واقترح سميتونا المقاومة، لكن البقية أرادوا الانصياع لشروط الإنذار، وعبر سميتونا حدود بروسيا الشرقية. وقد قيل إن المبعوث الروسي ديكانزوف أرسل آخر إلى سميتونا، لكن ذلك لم يحقق أي شيء.

الليتوانيون يعرفون أكثر مني هذا الشأن.

يستيقظ بريخت فجأة في الليل، ومفهوم أن طبيعة التلون الوقائي يقوده للجنون، من المفترض أن كوكتيو قد قال في مكان ما – أنا لا أعرف أين – إن فكرة دهان الدبابات كانت فكرة بيكاسو، وقد اقترح ألوانًا مثل هذا التلوين الوقائي، حتى لا تُرى، ويجب أن يتم رسمهم بطريقة شرسة نوعاً ما، فالمتوحشون يرسمون أنفسهم أكثر مما نفعل نحن إذا رسمنا أنفسنا على الإطلاق... ومتوحش ومصمم موضة حالية قد يتصافحان لكن لماذا لا يفعلون ذلك؟ من يستطيع أن يمنع طائرًا من الصياح؟

الأوقات المصيرية لأمتنا تقترب كل دقيقة.

عام ١٩٨٨ وفي جزيرة برانجلي بخليج فنلندا وصف أحد السكان، وهو أوسكار ميتسفالي حادثة:

"في الصباح الباكر ليوم ١٤ يونيو ١٩٤٠ ذهبت إلى البحر، وقد كنت في الرابعة عشر من عمري في ذلك

الوقت.

كان قاربنا في مناطق الصيد المعتادة تقريباً على بعد ثلاث أو أربع كيلومترات جنوب شرق جزيرة كيري، حيث كنا نقوم بصيد سمك القد في البحر بالصنانير، وكان هناك أربع أو خمس قوارب من برانجلي في المنطقة نفسها، كان الجو معتدلاً، والرؤية جيدة، والبحر ناعماً كمرآة.

بين الثانية والثالثة أتت طائرة ركاب من اتجاه تالين تسافر في طريقها المعتاد، وقد كانت طائرة بيضاء ذات جناح واحد، وفجأة رأيت مقاتلتين روسيتين تتبعانها، وقد كانتا تطيران في الارتفاع نفسه، وأطلقتا النيران على طائرة الركاب بالتتابع من الخلف في انفجارات قصيرة.. في البداية لم أفهم ما يحدث.. كان صوت النيران مسموعاً على بعد مائتين أو ثلاثمائة متر، وقد طارت الطائرات الثلاث بشكل منخفض فوق رءوسنا، ثم رأيت طائرة الركاب تسقط في البحر على بعد بضع كيلومترات من قواربنا، ولم يكن هناك دخان أو نيران، وعندما سقطت على جانبها الأيسر في البحر، وبعدها فقط كان هناك انفجار، وسمعنا القعقعة، ثم عادت المقاتلات الروسية باتجاه الأراضي الأستونية.

بعدها بقليل ظهرت غواصة رمادية من الماء تقريباً في النقطة نفسها التي سقطت فيها الطائرة، وقد رغبت في الاقتراب، لكن الرجل الذي كنت معه كان أكثر خوفاً، واقترح أن نعود إلى الجزيرة بأسرع ما يمكن، ولأني كنت

صغيراً فلم أكن خائفاً، ثم ذهبت الغواصة إلى أقرب قارب، وسمعت بعدها أن رجال الغواصة أرسلوا خطاف قارب عبر فتحة كابينة القارب مدمرين الزجاج.. تم سحب القارب قريبًا، ولم يكن هناك أي تهديدات، فقد أرادوا فقط أن يلقوا نظرة ليتأكدوا أنهم لم يصطادوا أي شيء مثير من الماء.

بعدها، سمعت أن المال الأجنبي كان متناثراً على سطح الماء، بالإضافة لقطع من الطائرة وأجسام الركاب وأشياء أخرى، وقد خطط بضعة صيادين للحصول على المال، ثم أعطوه إلى خفر السواحل الأستونية.. شيء غبي؛ فقد كان ينبغي أن يحتفظوا به لأنفسهم.

ظلت الغواصة على سطح الماء لبعض الوقت، وفي الوقت نفسه أتت طائرة مسرعة من اتجاه فنلندا إلى موقع الحادث، وطارت تقريباً على الارتفاع نفسه، وكانت بلا شك مقاتلة أيضا.. والطائرة التي سقطت كان من المفترض أن لديها وقتًا لإرسال إشارة راديو.. طارت الطائرة بسرعة بعيداً عن الموقع، واختفت عائلة إلى فنلندا، وقد شاهد كل ذلك هؤلاء الذين كانوا في قوارب الصيد الأخرى، لكن لم يقترب أي قارب لخفر سواحل من الموقع.

في برانجلي قال بعض الأشخاص إنه كان هناك أحد الشخصيات المهمة على سطح الطائرة، أراد أن يغادر أستونيا، ولهذا السبب أسقطت المقاتلة الروسية الطائرة."

(ملحوظة كتبها كولو أرجاكاس)

أقلعت الطائرة في الساعة ١٣:٥٤، وقد كان مخططًا أن تطير لبضع كيلومترات، وعلى متنها كان هناك رجل الأعمال الألماني ردولف كويلين وفريدريك أوفرمان والأمريكي هنري ويليام أنثيل (الذي يعده المؤرخ أرجاكاس أول ضحية أمريكية للحرب)، والأستوني ذو الأم الفنلندية جونفور ماريا لوتس، متزوج من أستونية، والدبلوماسيان الفرنسيان باول لونجوي وفريدريك مارتي، وقد كانا يحملان بريدًا دبلوماسيًا، وبالتالي التقطته الغواصة، والغريب أن الغواصة صعدت من الماء في النقطة نفسها بالتحديد، وخططت لإيجاد الحقائب، وقد افترض أرجاكاس أن الطائرة أسقطت بسبب البريد، وقد يكون الأمر هكذا، لكن على أي حال كانت أستونيا الآن تحت حصار جوي.

لا شك أنه لا شيء أكثر سوف يتم اكتشافه عن هذه الحادثة، وكما أكد أرجاكاس بملاحظاته في ١٩٨٣، وهي السنة التي سقطت فيها الطائرة الكورية، التي لم يظهر الكثير عنها أيضا حين سقطت.. فترة.. ما الفارق الذي يقوم به بضعة مئات من الأشخاص بشكل أو بآخر؟

لم تؤثر هذه الحادثة على بريخت.. لقد حاولت التحقق ما إذا كان يعرف أي شيء عن الطائرة، لكني للأسف لست باحثاً جيداً.. كان جورج أنثيل طالباً في أرنست بلوخ، وقد عاش بسلام حتى وفاته في ١٩٥٩، وقد كتبت مذكرة بعنوان "الرحلة العابرة للأطلسي" متعلقة به (١٩٢٧ عندما كان في

السابعة والعشرين)، لكن ما علاقة ذلك بإسقاط الكاليفا؟ لقد كان مشغولاً في فنلندا بحياة طيار صيني ومآثره، ولم يرغب في أن يقضي وقته في المشاكل المحيطة به.. الطيران وحده (قريب جداً من السماء)، وقد ينتهي نهاية تعيسة كما رأينا في حالة سانت أكسوبيري.

١٥ يونيو

بالتحديد في منتصف يونيو لم يكن بريخت قد غادر هيلسينكي، ومع ذلك كان الألمان الآخرون في حركة مستمرة مثل الزئبق، وهم الآن على بُعد عشرين كيلومتر فقط من باريس.. يكتب ألبرت كاموس (في يومياته): "مع انتهاء الجزء الأول من السخف تكون الكائنات البشرية تمسح منازلها من على وجه الأرض، ويحرقون حقولهم، وينثرون الملح عليها؛ حتى يجعلونها غير قابلة للاستعمال من قِبل الآخرين "لماذا الألمان على بعد عشرين كيلومتر من باريس؟ أولماذا الفرنسيون ـ على سبيل الجدال ـ على بعد عشرين كيلومتر من برلين؟ كل ذلك بسبب حماقة الزعماء القوميين، والجماهير تنفذ ما يؤمرون به، ثم يكتب الناس عن هؤلاء المجانين في كتب التاريخ، فرجل بقدم واحدة وبطن مشقوقة يلقى في حفرة بجانب الطريق لا يدخل كتب التاريخ، وهكذا تكون روح التاريخ.. رأى هيجل مرة نابليون يمتطي جوادًا أبيض، واعتقد أنه لم يرَ نابليون، لكن رأى الزيتجيست.

هل هذا يعني أن كل شيء يعيش، أو تحت ظروف معينة يعطي انطباعًا بذلك، أو يمكن أن يفسر بكونه حيًا أو مرتبطًا بنشاط مماثل يجب أن ينتشر على حساب الآخرين؟

لكن ربما في الواقع تكون الأرض أرضنا، مشبعة بالحياة الطبيعية، حيث لا يستطيع أحد العيش بحرية وراحة.

وللأسف كل شيء يحدث بسبب الآخرين، والناس الأكثر قلق وعصبية هم الذين يصبحون الأعظم.

ما مدى الفخر الذي تشعر به قطة عند اصطياد فأر؟

لا يستطيع الفأر أبداً أن يجيب.

يقال إن الفأر يشعر بفخر قليل.

١٦ يونيو

(تموت روث بيرلو بعدها بأربعة وثلاثين سنة تماما)

قد يرغب بريخت في شراء بعض البرتقال لستيفن، لكن لم يكن هناك أي منها، وبمجرد أن اشترى واحدة في لندن لمارجريت، وكتب قصيدة عن ذلك، وقد تذكّر الضباب الأصفر في الليل تحت مصابيح الشارع في ساوثهامبتون – حتى قشر البرتقال الأكثر صفاراً!

حدث هذا في ١٩٣٤، واضطر بريخت لأكل البرتقالة بنفسه؛ لأن جريتي كانت قد ذهبت.

١٧ يونيو

في منتصف اليوم وصلت القوات الروسية إلى تالين من كلوجا، وقد تمركزت في الثكنات الأستونية.. هناك حظر على بيع الكحول لمدة ثلاث أيام، ويبدو أن هذا معتاد في حالة الطوارئ، فالعامة لم يفهموا ما يحدث، وعندما تبدأ دولة في الفساد من الداخل تحدث أشياء مماثلة بسرعة، فهي لا تستطيع إبداء أي مقاومة، ويمكنك القول عن ذلك إنه مثل الثمرة الناضجة التي تقع في حجر الملتقط.

يذهب سولنبرج لرؤية مولوتوف (لكني لا أعرف بالفعل عما سوف يتكلمون)، لكن المحادثات بينهما ينقصها موضوع: وصلت القوات الروسية تواً إلى الحدود الليتوانية، وليس هناك شيء آخر يمكن فعله، وقريباً سوف تتشكل حكومة جديدة تحت قيادة جوستاس باليكيس وبالنسبة لألمانيا، فالحكومة هناك تمنع كل تدخل أو رأي في هذا الموضوع.

١٨ يونيو

يتم دعوة م. انت (لست أنا كاتب هذا العمل، لكن ديموقراطيًا اجتماعيًا مرحًا ليس له علاقة بي، عاش في مدينة بارنو الصغيرة) إلى تالين العاصمة، وسوف يلتقي أمين الحزب الشيوعي ساري والسفير الروسي بوخاريوف، وساري لا يمكنه عمل ذلك بتلك السرعة؛ حيث كان في التسلا لسبب ما، لكنه أيضا تمت دعوته للقاء م. انت.

في الوقت نفسه يلتقي هتلر موسوليني في ميونيخ، والأخير ليس سعيداً بسبب توقيع معاهدة في بوردو، ولأن جزءًا من فرنسا لم يحتل بعد، لكن موسوليني الآن يتفهم أن العمل كله ليس مهماً لهتلر؛ لأن إيطاليا لم تأخذ أي دور عملي في هذه الحرب، ولم يرد الفيهرر مشاركة الانتصارات مع أحد.

دي جاولي في لندن بالفعل؛ لتشكيل اللجنة القومية هناك.

على الجانب الآخر في أستونيا تقع أحداث أقل رومانسية.. يصدر قرار يتم بموجبه مصادرة الأسلحة من الأشخاص، ومن هؤلاء "الأشخاص"؟ الشعب؟ تؤخذ الأسلحة من الشعب! بناء على أوامر من؟ كما يتم إلغاء مهرجان الأغنية السنوي، كما أنك غير مسموح لك الخروج إلى الشارع من الحادية عشرة مساء حتى الخامسة صباحاً (هذا هو الوقت المتوقع فيه أكبر مخاطرة للثورة والمقاومة).. يلقي رئيس الوزراء أولوتس خطاباً في المذياع، حيث يطالب بالتهدئة.. كان ذلك جيدًا جداً، لكن الحمر يحتلون بالفعل محطات السكة الحديد ومكاتب البريد والموانئ.

ليس مسموحاً لك أن تأخذ صورًا خارج البيت، وهو شيء لا يمكن تقديره هذه الأيام في عصر الأقمار الصناعية.

الوقت في اليد.

انهض أو مُت وأنت راكع على ركبتيك؟

هل يعاقب الفخر أم هو مجرد خيال لفظي؟ فما الأفضل: ألا تقهر وتموت أو أن تقهر وتعيش؟ لكن لماذا تعني بالحياة إذا كنت لا تعرف لماذا تعيش؟ أليست مثل هذه رفاهية غير ضرورية؟ إنها تستهلك موارد العالم من الكهرباء والمفاتيح والحب التي تنفد، أو يختفي في زرقة السماء، أو على الأقل في الأماكن التي لن نعرف أبداً ماذا حدث بالفعل فيها إذا حدث شيء من الأساس.

تتم مصادرة مراكب التجار الأستونيين.. يتم جرها إلى ميناء بالديسكي حيث لا يوجد مخرج.

يحذر بريخت من أن المقارنة بين الوحوش المرسومة والدبابات المطلية قد يتم ربطها بشكل ما مع "العزلة"، فالمظاهر الكاذبة عزلة واختفاءات شخصية، وعندما يقوم الشباب العصريون بتجميل كل منهم للآخر يكون هدفهم الأساسي ذا ترتيب مختلف، وهم عادة يحققونه.

هناك شيء مثير في القواعد العسكرية!

لبعض الوقت يحوم خطر حقيقي للحرب، فقد أغضب جوكيبي الجنرال هوهتالا، وكما كانت عادته يلتقي شولنبرج مولوتوف، وكأن شيئاً لم يحدث فعن ماذا يتحدثون؟

عم إذا كانوا سيقتلون ملايين البشر الآن؟ وهل سيقتلونهم فرادى أم مجتمعين؟ لقد تم بيع أرواحنا المليون بالفعل في النهر، وبعدها يظهر أن البعض قد تفرقوا عبر العالم بشكل واسع؛ حتى لا تنمحي الأمة بكاملها.

في الرابعة يزور نيكيتين راي مرة أخرى، وكذلك في الثامنة وفي منتصف الليل سوف يلتقي نيكيتي قائد القوات المسلحة الأستونية لايدونير.. ينتهي الإنذار في الساعة ٢٣:٠٠، وفي الوقت نفسه يشكل المارشال بيتين حكومة جديدة في فرنسا.

وفي ظل كل ذلك لا يلاحظ العالم حقيقة أن المركبات الروسية تحاول ذلك، وقد تم جرها إلى بالديكي المدينة، التي كانت بالفعل في أيديهم.

وفي منتصف اليوم بالفعل تصل القوات الروسية إلى ريجا، ويصل كذلك أندريه فيشنسكي، وقد تم تقديم إنذار إلى لاتفيا أيضاً.

تنظر مارجريت إلى الفيل.. أوه كم هو ذكي! آله الكتابة الهندي جانيا له رأس فيل، ويعتقد بعض الناس أن هذا يرمز إلى الوحدة بين عالم الفناء البشري الصغير، والقوانين الكونية، التي لا تناسب عادة رءوس الكائنات البشرية، فرأس كبير له ذاكرة كبيرة! لكن يمكن النمو فقط عندما يأكل جذر نبات اليبروح، لكن بريخت لا يحتاج أي جذور، فكيف يقتل الفيل ثعبانا؟ فهو يضعف بلدغة ثعبان، ويفقد

الوعي، ثم يسقط، وبفعله ذلك يسحق الثعبان غير المتوقع..

وفي الأيام القديمة اعتاد الناس على الاعتقاد أن الفيل مثل ظبي، فهو ينام واقفاً.. الفيل الرمادي رمادي اللون كالسماء الفنلندية المغيمة.. وقد كان سانت بيف أول من يتحدث عن "برج عاجي" (فيما يتعلق بفيجني)، فالكاتب الذي لا يهتم بالمجتمع يعيش في برج عاجي، لكن في بعض المناسبات تدخل الفيلة إلى متاجر صينية وتسبب فوضى.

١٩ يونيو

حسناً، الآن تصل اللعبة إلى الدرجة القصوى، وليس هناك طريق للعودة.. يلتقي السفير الروسي بوخاريوف مع مكسيم أنت مرتين، وقد وصل زهدانوف بالفعل في الثانية عشرة صباحاً، وتقريباً في الوقت نفسه يلتقي كارل ساري مع هيرمان أربون وهو شخصية شيوعية سرية شهيرة.. في الواحدة يقال إن زهدانوف بالفعل في مكتب الرئيس باتس.. عن أي شيء يتحدثون؟ في لاتفيا قدم فيشنسكي بالفعل القائمة الجديدة للمعينين في مجلس الوزراء، وسوف يكون وزير الداخلية الكاتب فيليس لاسيس الكاتب القومي، الذي كانت أعماله عن الحياة في البحر والصيد مشهورة خاصة في أستونيا.

يصل راي بمعجزة ما عائداً من روسيا قبل وصول زهدانوف.

هل من المحتمل أن يكونا ركبا القطار نفسه؟

في اليوم نفسه تقريباً يتم عرض مسرحية روبرت شيروود "ينبغي ألا يكون هناك ليل" في بريطانيا مع لين مونتانا وألفريد لينش، وشخصات المسرحية: امرأة أمريكية وزوجها وابنهما.. الأب عادة مسالم، لكنه لا يريد أن يبقى هكذا، يقتل في البرزخ الكارلياني، فتقوم المرأة والعم والدن بحرق بيتهم والاستعداد للقتال.

تسمح السويد للقطارات الألمانية بالمرور عبر أراضيها حتى تصل إلى النرويج، كما تقرر حكومة المنفى البولندية الانتقال من باريس إلى لندن.

٢٠ يونيو

يلتقي م. انت في ذلك اليوم مرتين مع بوخاريوف.. مرتين! أليست الأمور واضحة كفاية للجميع؟ أم لا بد أن يوضع الناس في مواجهة شجاعة مع الموقف الكارثي؟

الحكومة اللاتفية قد استقالت بالفعل.

يلتقي أربون وساري ولوريستين وروس وم. أنت مرة أخرى.

لقد قال بعض الأشخاص إنك قد تلقى أمراً بتقديم ثورة، وهو بلا شك لا يريد إعلان ذلك، لكن كل الأمر قد تم تقريره على أي حال، فالثورة قد تبدو مريبة، وفي الوقت نفسه يلقى وزير الداخلية محاضرة في السفارة الروسية حول

obeikandl.com

المظاهرات التي يجب ألا يتم منع حدوثها، ويقال إن فاريس باربا روس كان في الوقت نفسه يقوم بمحادثات مع هانز كروس وزهدانوف..

وفي حالة ما إذا كان القراء لا يعلمون ذلك بالفعل فينبغي أن نذكر هنا أن فاريس كان شاعراً ذا ميول فوضوية، وقد تم إحضاره خصيصاً من مدينة صغيرة؛ ليكون رئيساً للوزراء.. طبيب النساء الناجح سقط في الفخ (بعد ذلك في الأوقات التي لا نتعامل معها هنا.. قام بقتل نفسه أو تم قتله، ولا أحد سيعرف يوماً ماذا حدث بالفعل.. نهاية طبيعية لفوضوي ومستقبلي).

لدى بريخت ثلاث نساء، فهيلا معجبة بمارجريت المريضة والجادة، وهي سعيدة بمسامحتها.. لا تبدو فيجل امرأة على الإطلاق، بل تبدو زوجة أو رفيقة في السلاح.. بينما هيلا وهيلين وجريتي لا يحببن روث، التي تبدو متحررة، فهي شخص جنسي جداً، ولا تداري تلك الحقيقة، وهي أيضا تشارك بريخت وجهة نظره في العالم، وقد كتب بريخت "قالت مي تي إن العلاقة بين شخصين تكون جيدة عندما يكون هناك شيء ثالث مشترك.. شيء يتشاركان الاهتمام فيه، وبينما تتوقع مي تي أن يكون الناتج من يدين مترابطتين معاً جيدًا عندما يشترك رجل وامرأة في العمل.. على سبيل المثال حينما يحملان دلوًا معاً فإن مين ليه (لينين) يتوقع أن أيادي الشباب سوف تلتقي بينما يحملان عجلة التاريخ."

في ١٩٤٤ وَلدت روث ابناً سمته مايكل، وقد توفى في المستشفى.. حتى ننتقل للأمام يجب أن نذكر ذلك، فبسبب سوء الحظ هذا وعد بريخت بتبني طفل فوراً عقب انتهاء الحرب.

تحاول جريتي مع ذلك العناية بروث المبتهجة والمشوشة، بل قامت بترجمة رواية روث إلى الألمانية.. كانت هيلين قلقة بالفعل من قدرة روث الطبيعية على تمثيل المسرحيات الاجتماعية، وحاولت أن تدفعها تجاه تأثير العزلة، وقد قامت روث مرة بدور مارتا في ميرحية ووليجوكي *امرأة من نيسكافوري في ١٩٥٨* تكتب روث ملخصًا لبريخت:

لغته اليومية: *أ) كلمات مدح: طبيعي، ودود، ضروري، متعاون، موهوب، مسل، نقي. ب) كلمات هجاء: فاسد، مرتش، مبتز، غير جدلي، غير ماركسي.. جـ) في المسرح: أظهر، حاول، متناقضات، الحديث بشكل جاف، خرافة، لماذا؟ مراراً وتكراراً – لماذا؟* الحيوان المفضل: *كلبه رولف..* اللون المفضل: *الرمادي..* الخامات المفضلة: *الجلد والخشب..* المتطلبات: *أ) طعام: البطاطس الجديلة في الربيع، الهليون مع الخل والزيت، سمك الشبوط، شوربة اللحم، السباتزل، الزلابيا، الفجل الحار، كل أنواع الجبنة، التوت ثم التوت ثم التوت.. ب)المشروبات: عصير الليمون في الصباح وفي منتصف اليوم وفي المساء.. البيرة في استراحة المساء، وأخيراً الويسكي عندما يكون وحيداً. لكن فقط في ضباب لندن عند شرب الشاي مع الأصدقاء مع حلم ضد البرد قد يغير*

لون وجهه، وكذلك فقط عند الحاجة تجعله الشمبانيا ينام. ماذا يحب أكثر من أي شيء: *الأشياء النحاسية القديمة والساعات القديمة والغليونات الجميلة والآنية القروية والسكاكين القديمة والسجاد الصيني القديم..* ماذا يحتاج: *العديد من الطاولات وآلة كاتبة ومصباح قراءة وأوراق كتابة بيضاء جميلة ومقص لقطع الصور وصمغ للصقها..* ضروريات أخرى: *تلاميذ، ممثلات موهوبات، مؤلفون، حوارات، خبراء، روايات بوليسية، السلام والهدوء.*

٢١ يونيو

في التاسعة صباحاً تبدأ صفارة إنذار المصنع في الانطلاق.. من الواضح أن شخصاً ما اضطر لإطلاقها، وإلا لم تكن لتسمع.. تسير الأمور في مسارها الطبيعي، وفي العاشرة صباحاً مظاهرة في فابودوسي بلاتز (ميدان الحرية) والعديد من المشاركين يبدون غريبين بالنسبة لمعظم المحليين.. ادعى بعض المؤرخين أن العديد من العمال الأجانب قد تم إحضارهم من القواعد العسكرية، وربما كان هذا صحيحاً، أو ربما كانوا أستونيين ساخطين تماماً يقومون بتشكيل مجموعة من بضع مئات.. تحركت المجموعة نفسها فيما بعد باتجاه القصر الرئاسي في كودريورج؛ حتى تتظاهر هناك. يظهر الرئيس باتز في البلكونة، لكنه لا يحصل على فرصة للحديث؛ لأن الأعضاء الأكثر نشاطاً من الحشد يبدأون فوراً في ترديد الشعارات.. وفي الساعة ١٦:٠٠ يتم إطلاق سراح السجناء السياسيين من السجن مع قدر جيد من الشفقة، ولم يبقَ منهم أكثر من عشرة؛ لأن باتز أعطى

العفو العام عن بيقتهم في ١٩٣٨.

في السادسة يعود الحشد إلى وادي تومبيا، وبعدها بعشرين دقيقة ترتفع الأعلام الحمراء من بلكونة مبنى البرلمان، ويتغير اسم الصحيفة اليومية "اوس ايستي" (أستونيا الجديدة) في الحال إلى "راهفا هال" (صوت الشعب).. في المساء بعدما يغادر روس وفاريس والآخرون السفارة الروسية يتم الإعلان عن الحكومة الجديدة.. وفي ٢٢:٠٠ يؤدي الفوضوي وطبيب النساء فلريس باربا‌روس القسم أمام الرئيس باتز نفسه، ودعنا لا ننسى أن باتز في السادسة والستين من عمره، وعلى مكتبه تمثال لستالين مع إهداء يقول الآتي: دوروجوموقنسطنتينو - جوزيف فيساريونوفيك (وهي بالروسية تعني: إلى عزيزي قنسطنتين _ جوزيف فيساريونوفيك) لكن كيف يبدو هذا الإهداء شيئا لن يعرفه أحد أبداً..

في ١٨:٤٥ يتم رفع العلم الأحمر من برج بيك هيرمان المجاور لمبنى البرلمان، وبالتأكيد فعل ذلك شخص ما.. من المفترض أنه أستوني أو آخر.. في هذا المساء كان رئيس الأركان الأستوني الجنرال لايدونير يتحدث عبر المذياع ويطالب بتهدئة بين السكان الأستونيين.

فيكتور سورفوف شخص لا يمكنك تصديقه دائماً تحت كل الظروف، لكنه يعرف الكثير، ويقول إنه في ذلك اليوم قرر الروس عمل جيش جديد، السابع عشر.

في دار السينما "بي- با-بو" يحدث العرض الأول لفيلم المدرسة الديموقراطية بطولة لويس راينر وألان مارشال وباوليت جودارد.

يلتقي تشابلين مع باوليت جودارد.. وقبل ذلك كان تشابلن في أمريكا فعلاً، وكانت باوليت وفقاً لمذكرات شابلن ماكرة ومسلية، والشيء المشترك بينهما هو الوحدة.. لعبت باوليت دوراً في **الدكتاتور العظيم**، *حيث كان شابلن هتلر في مظهر آخر، وقد تم إصدار الفيلم في ١٩٤٠، وعندما كانت الحرب العالمية تشتعل في ١٩٤١ مثلت باوليت في الأفلام* **شرطة الفرسان الشمال غربية** *و***لاشيء سوى الحقيقة**.

كان زوجها الرابع هو ماريا ريمارك، وهو كاتب أثر بشكل كبير في تطوري الإبداعي، ففي الستينيات يمكنك أن تحصل على أعماله (غالباً إصدارات باللغة الروسية ـ القنوات الأخرى كانت مغلقة بالنسبة لنا)، وكذلك أعمال همنجواي، وقد كتب كلاهما الإصدارات الخفيفة من الوجودية، لكنها كانت أفضل من لا شيء.. اسم باوليت الحقيقي هو باولين ماريون جودارد ليفي، وقد ولدت في ١٩١١ (إذا كانت حية أم لا هذا شيء لم أستطع معرفته بالرغم من كل مجهوداتي)، بينما ولد ريمارك في ١٨٩٨ سنة مولد أبي نفسها، وتوفى في هوليوود عام ١٩٧٠ تاركاً باوليت وحدها، وقد تم زواجهما في ١٩٥٨ عندما

كانت هي في الثامنة والأربعين وهو في الستين.

عند وصف الأيام المأساوية في تاريخ أمتنا كنت مضطراً إلى الكتابة كثيرا عن باوليت، الحقيقة أن ريمارك كتب بشعور رائع عن الناس الذين ماتوا تحت عجلات الحرب، وقد تأثرت بشكل غير مباشر بحقيقة أنه قبل اليوم الذي كنت أصفه كان قد مر على عيد ميلاد باوليت ثمانية عشر يوماً، فقد كانت فتاة منذ بداية يونيو.

في رأي بريخت لم تكن قدرات تعبير باوليت منتمية لمدرسة أرسطو، فقد حاولت التفخيم وليس الاعتناق، فلم تمثل باوليت شخصياتها بالطريقة التي ربما تجعلك تتوقعهم يتصرفون بشكل مختلف عما يقومون به فعلاً.

٢٢ يـونيـو

البارحة استسلمت فرنسا.

ينظر بريخت إلى الصور التي يرقص فيها هتلر وهو سعيد بغزو فرنسا.. يجب أن يضاف أيضا أنه ربما الفرنسيون راضون بشكل ما عن هذا الغزو، بخلاف ذلك لا يمكن أن يتم غزو دولة كبيرة بهذه السهولة.

بخصوص رقص هتلر اعتقد الكثيرون أن هذه السلسلة من الصور كانت تزويراً مضاداً لهتلر.. يتحرك هتلر بحماسة؛ لذلك هذه اللحظة كانت جيدة للتفاهم معه.

obeikandl.com

لقد احتاج للتفاهم، لكن هل سيكون بشكل عقلاني؟ وماذا سيبقى من عالم الجنون إذا تصرف الناس بعقلانية؟

فالجنون من الممكن مواجهته فقط بالعقل، إذا كان ذلك ممكناً من الأساس. بريخت يحسب بمصطلحات عقلانية باردة أن هتلر ليس لديه أدنى رحمة بالنسبة له، ولماذا لا؟ يمكنك أن تسأل الأشخاص الميتين عن ذلك. إنه بلا شك لديه أحكام شخصية، وليس فقط رجلاً مجنونًا؟ فهو على الأقل يبدو كائنًا بشريًا.

هتلر فخور؛ لأنه غزا دولة مجاورة وعدوه القديم.. كانت هذه هي القضية منذ احتلت الأمبراطورية الألمانية في الغابات في كومبيني عام ١٩١٨. وتم إحضار سيارة مطعم سابقة مع عربة أخرى لتنظيف الغابة.. يتذكر شيرر أنه كان في أحد أيام الصيف المشرقة.

يعتقد بريخت أنه إذا انهار خط الماجينو ذو الخمس طيات فلن يكون هناك أي مهرب، وهو أيضا شخص لا يملك أي طريق بعدُ للهرب؛ فألمانيا تعده شيوعياً، بينما تعده روسيا تعديليًا، وقبل كل شيء شكلي، وحيث إنه قبل وفاته قام لورد المزرعة العجوز والأرستقراطي ستانيسلافسكي بالتخطيط للاستمتاع بشعبية استثنائية بين الزعماء السياسيين في الاتحاد السوفيتي.

في دولة واحدة يصبح الدخول في روح الأشياء منهجًا رسميًا لا يمكن خيانته تحت أي اعتبار، وإذا حدث خلاف ذلك ينتهي بك الأمر في سيبيريا، وفي الدولة الأخرى يصبح عدم الدخول في روح الأشياء ذنبًا أكبر.

نشر آراء بريخت حول المسرح سوف يؤدي إلى قتله بلا شك، ففي الأنظمة الاستبدادية الصراحة لها ثمن، وهذا ما بدأت في الاعتقاد فيه حاليا.. أقتل بصراحة، أرسل بصراحة إلى سيبيريا أو أوشفيتز.

تناسب فيرفرمدونج الديموقراطيات أكثر.. للأسف أدرك بريخت ذلك متأخراً جداً في حياته.

كاتبنا الذي تربى في المنزل أدوهينت يلقي خطاباً في رايكوجا بلاتز (ميدان اليمين في منتصف العاصمة الأستونية تالين) ومما تقوله الأوراق يمكنك الاعتقاد أنه يؤيد النظام الجديد.. مساعد وزير الداخلية أوجست تولسي (٤٥) وزوجته (٣٧) يأخذان السم، ولفترة قصيرة يرفرف العلم الأستوني الأزرق والأسود والأبيض من برج بيك هيرمان، لكن الحكومة الجديدة قد أدت اليمين، والبيان الذي أعلنته الحكومة الجديدة قد كتبه زهدانوف، وهو يعد بالحفاظ على السيادة الأستونية والدفاع عن البلد.

يقال الجنرال لايدونير من منصبه.

في اليوم نفسه يكتب المهاتما غاندي مقالة رأيتها فقط في صورتها التي باللغة الروسية (أنا لا أعرف الهندية)، وعنوان

المقالة "كيف نناضل ضد الهتلرية" وقد كتب فيها الآتي:

"الهتلرية لن تتم هزيمتها أبداً بالهتلرية المضادة، يمكنها فقط أن تصبح هتلرية أعلى ترتفع للدرجة التالية، وما يحدث أمام أعيننا هو ظهور عنف غير مسبب يعد أيضا هتلرية."

ماذا سيفعل هتلر بانتصاره؟ هل يمكنه تحمل قوة أكبر؟ بشكل شخصي.. سوف يذهب خالي اليدين كسابقه البعيد جداً الإسكندر، وبالنسبة للألمان سوف يترك لهم سعادة امتلاك إمبراطورية عظيمة، لكن حمل مداواة جراحها ثقيل؛ لأنهم لن يكونوا قادرين على إخضاع كل الشعوب التي غزوها بشكل تام، وأنا أشك أن الأجيال القادمة من الألمان سوف تشعر بفخر حقيقي بالأفعال التي تعد الهتلرية مسئولة عنها.. سوف يكرمون هر هتلر بوصفه عبقريًا ورجلاً شجاعًا ومنسقًا ليس له مثيل وأشياء أخرى، لكني ينبغي أن آمل أن ألمان المستقبل سوف يتعلمون فن التفرقة حتى من خلال أبطالهم. وعلى أي حال أنا أعتقد أنه سيكون مسموحًا أن كل الدم الذي أراقه هتلر لم يضف شيئا ولو جزءًا من المليون من البوصة إلى هيكل العالم الأخلاقي.

وعلى عكس ذلك تخيل حالة أوروبا اليوم إذا قال التشيكيون والبولنديون والنرويجيون والفرنسيون والإنجليز جميعًا إلى هتلر: "إنك تحتاج لعمل تجهيزك العلمي للدمار، وسوف نلاقي عنفك باللاعنف؛ ومن ثم ستكون قادراً

على تدمير جيشنا غير العنيف دون دبابات ومعارك وطائرات".. وقد يتم الإبلاغ فقط أن الفرق الوحيد سيكون أن هتلر سيحصل دون قتال على ما حصل عليه بعد قتال دموي.. بالضبط.. تاريخ أوروبا قد يكتب إذاً بشكل مختلف، والحيازة ربما (لكن فقط ربما) تؤخذ مع مقاومة غير عنيفة، كما لو أنها أخذت الآن بعد تحضير لأعمال وحشية غير مبلغ عنها، وتحت اللاعنف يقتل فقط من درب نفسه على أن يقتل إذا اقتضت الحاجة، لكن دون قتل أي شخص ودون حمل ضغينة لأي شخص، وأنا أجرؤ على القول إنه في هذه الحالة قد تضيف أوروبا بوصات عديلة إلى هيكلها الأخلاقي، وفي النهاية أعتقد أن القيمة الأخلاقية هي التي تبقي، وكل شيء آخر لا قيمة له."

الطبيب النفسي واسع المعرفة فيكتور هيون ألقى خطابا للجماهير (أو أيًا كانوا) يقال إنه كان كالتالي: "أعلام من هذه؟ - أعلام العمال! - من سيبدأ الحكم تحتها؟ - العمال! - هل سيكونون قادرين على الحكم؟ - نعم سيكونون!"

٢٣ يونيو

يقال إن هتلر يفحص المواقع في باريس، ومعه الفنان والنحات أرنوبيركر بشكل رسمي، والمعماري الشهير ألبرت سبير، وشخص ما غير معروف بالنسبة لي، وهو هيرمان جيسلر، وقد انتقلوا من موقع إلى آخر في مرسيدس مفتوحة، وفي مونتمارتي بمجرد رؤية هتلر يصرخ بائع

صحف: "انظروا.. إنه الشيطان يمشي هناك!" كان حلم هتلر أن يكون في باريس؛ فهو يعد نفسه فنانًا، وباريس عاصمة الفن.. يتجول ثلاثتهم في المدينة لثلاثة ساعات، وفي هذه الليلة يخبر هتلر سبير أن برلين يجب أن تصبح أجمل من باريس، فعندما تكون برلين جميلة لن يكون هناك داعٍ لتدمير باريس تمامًا.

٢٤ يونيو

يمنح بريخت مجلة فنية للناقد هاجر أولسون الذي يرى فيه نسخة طبق الأصل من رائعة بيكاسو جويرنيكا، ويكون لذلك تأثير عليه؛ فيأخذ قرارًا بفعل شيء مماثل بنفسه، كما يعبر عمل بيكاسو عن عصره من خلال شكل فني، وفي هذا العمل يرى بالطبع حبيبته العزلة.

م. انت في بارنو، وقد صار فندق الشاطئ هناك فجأة منزل عطلة للعاملين، بينما أصبح منزل الرئيس في أوروبا بالفعل منزل أطفال.

لكن هل توجد الحياة؟ وهل تعمل الطبيعة بشكل ما؟ وما الصيف البارد والصيف الدافئ؟ هل هو حار نسبياً؟ فدرجة حرارة الظل ٢٩ درجة، وبالطبع في الشمس أكثر ـ ٤٣ درجة.

يخبر أرنولد فيمر (الذي يصبح فيما بعد أحد أهم وزراء الاتحاد السوفيتي) الناس في حي الفقراء بتالين في شبه جزيرة كوبلي عبر اجتماع عمال أن الحكم السوفيتي لن

يتم تأسيسه أبداً في أستونيا.

٢٥ يونيو

يسافر زهدانوف عائداً إلى روسيا؛ فقد انتهى عمله.

عالم الأساطير الشهير والمهاجر فيما بعد أيفار باولسون ينشر قصيدة بها السطور التالية، التي ترحب بالنظام الجديد الذي قد يوجد:
"في كومة من المعاناة وجدتنا يد تقية واقفين منتظرين على الباب."

يتم التعبير أيضا عن التعاطف مع النظام الجديد عن طريق الكتّاب أوجست جايليت وأوجست جاكوبسون ومايت متسانورك وأوجست مالك وألكسندر أنستون ويوهان سوتيستي وأيفالد تامالان وهنريك فيسنابو.

يقول الاشتراكي المحب للجمال نيجول اندرسن إن أستونيا لن تصبح نوعًا من ديكتاتورية طبقة العمال الكادحة، وإن الاتحاد السوفيتي لا ينوي التدخل في الأمور الداخلية للبلد.

بريخت سعيد بأن الطقس صار أكثر دفئاً، لكنه ما زال _ ذلك الشتاء الأبدي! "لا تقاتل كل الظلم بقوة شديدة / سوف تتجمد بأي حال؛ لأن الجو بارد / فكر فقط في الظلمة والصقيع الشديد/ هنا في وادي الدموع خاصة" (من خاتمة *أوبرا البنسات الثلاث*) يقول ملك اللحم في

سانت جون الماشية: "... كل ساعة/ اذهب إلى النافذة، وانظر ما إذا كان الثلج يتساقط، وإذا كان يتساقط فهو يسقط عليك."

يشعر خوان بالبرد، ويحتضر في البرد من مرض ذات الرئة.. وفي *أغنية الكاتب المسرحي* هناك عاصفة ثلجية مع قبعة على رأسه، وفي مسرحية *طبول في المساء* تصبح أقدام مورك باردة، وفي سشوان هناك الكثير من البرد.. يلتقي سفياك وهتلر في نهاية المسرحية في عاصفة ثلجية.. جالي جالي مستعد لعبور الحدود المتجمدة دائماً للتيبت.. وقد اعتقد بعض الأشخاص أن بريخت لم يرد أن يولد، وأراد أن يبقى في وضع الجنين، ويصطلح على ذلك بالارتداد المنتج.

لكن الجو دافئ الآن! فقد ذهب بريخت إلى الساونا الفنلندية ومارس الجنس هناك في عدد من المناسبات.

لكن الجو الآن دافئ! فبريخت ملفوف في القش، وقدمه العارية تصطدم بشيء خشن.. ضفدع؟ لا ببساطة نبات الشوك، وهذا النوع من الأزهار شائع في هذا الصيف القصير.

"السذاجة السياسية التي سادت في بعض الجهات المتعلقة بأحداث اليوم كانت عاملاً مهماً، وهكذا الحال أيضا فيما يتعلق بعدد من الأعضاء في حكومة ج. فاريس.. وقد أكد نيجول أندرسن في عديد من المناسبات: "من عرف تلك الأشياء سوف يغير الطريق الذي اتخذوه."

مما قيل.. من المنطقي الاعتقاد بأنه بين أعضاء مجلس وزراء ج. فاريس والأشخاص المتصلين به تم التفكير في حلم أن تكون أستونيا ديموقراطية للشعب كما يزعمون، مع صلات قريبة من الاتحاد السوفيتي واتفاق عن طريق المعاهدات، لكن سوف تحافظ على درجة محددة من الهيمنة على أكورها الداخلية، وهنا كان يشار غالبًا إلى النموذج المنغولي.

كانت منغوليا جمهورية تابعة للاتحاد السوفيتي، وقد بدأت العلاقات السوفيتية المنغولية في ١٩٢١ عندما تم توقيع اتفاقية لتطوير العلاقات الودية، بالإضافة إلى معاهدة المساعدة المشتركة في ١٩٣٤، وبروتوكول بالموضوع نفسه في الثاني عشر من مارس ١٩٣٦ حتى عام ١٩٤٠ يكن هناك حديث في منغوليا عن تطوير الاشتراكية، بل فقط عن ثورة ضد الإمبريالية والنظام الإقطاعي.

وحقيقة أنه في صيف ١٩٣٩ ألقى الملحق العسكري السوفيتي كلمات تفيد بأن العلاقات بين الاتحاد السوفيتي ومنغوليا سوف تكون نموذجًا للعلاقات بين الاتحاد السوفيتي ودول البلطيق، قد يكون هذا مجرد مصادفة. لكن حقيقة أن الطريق المنغولي كان في ١٩٤٠ لا يتم مناقشته في تالين، لكن في كاوناس، وربما في ريجا، من الأصعب أن تعد مصادفة.. خاصة كما في سقطة ١٩٣٩ عندما كان ستالين ومولوتوف يتفاوضان مع دول البلطيق، وقد تمت مقارنة حالتهما مع حالة منغوليا، وما قيل بالفعل إلى الوفود الأستونية عندما

تم توقيع المعاهلة لن يعرف أبداً... قام السفير الأمريكي إلى أستونيا ولاتفيا ج. ك. ويلي بإرسال تلغراف إلى واشنطن ينقل فيه كلمات مسئول رفيع في وزارة الخارجية الأستونية: "في محاولة لتهدئة المخاوف الأستونية تحدث مولوتوف عن منغوليا في موسكو، حيث كانت هناك قوات سوفيتية، لكن سيادة الدولة لم تكن مهددة، ورأيي غير الرسمي أنه كان ذلك الشيء المقلق بالفعل."

قام وزير الخارجية اللاتفي ف. مونتيرز بعمل مذكرات لاجتماع الثاني من أكتوبر مع ستالين ومولوتوف، وكتب فيما يتعلق بتعليقات القادة السوفيت على معاهلة المساعلة المشتركة: "نحن نعطيك كلمتنا.. انظر إلى منغوليا، وبعد توقيع الاتفاق سوف يعرف كل شخص أن هناك سيدين هنا – اللاتفيين والروس." (....)

عندما أدى فاريس اليمين بتولي منصبه رئيسًا للوزراء في الأول من يونيو قال رئيس المحكمة العليا أ. تامبك في مذكراته إن فاريس أضاف: "أنا من جانبي قمت بكل شيء في سلطتي لحماية الشعب الأستوني وبلدهم!" وفقًا لتامبك لم يكن فاريس يتظاهر، فقد قيل إنه حتى عيناه كانت تدمع.

خلال لقاء بالصدفة قريبا من نهاية يونيو سأل صديق فاريس القديم هـ. تولنولا: "هل فكرت بالفعل فيما أعلنت في بعض الاجتماعات، وهو أن الأمة الأستونية الآن قد أصبحت لها سيادة حقيقية؟!" وكانت الإجابة: "أغلق فمك وتوقف عن النحيب! فجوهر خطاباتي تنبه له

الروس، حتى الخطابات نفسها قد قاموا بالرقابة عليها، وأنا أندم على حقيقة أني أقحمت في تقديم نصائح ضد شعبنا عندما لم يكن هناك أمل في إنقاذهم، لكني لم أرد بالأمة الأستونية أي أذى."

من المعروف أن الألم الذي كان فيه فاريس نتيجة أنه رغم منصبه الرفيع لم يكن قادراً على فعل أي شيء لأصدقاء له تم القبض عليهم، وبعد الاجتماع ببضعة أسابيع حيث كانت أستونيا ملحقة بالاتحاد السوفيتي قالت زوجة فاريس لصديقة مقربة: "لقد كنت الوحيدة التى رأت الدموع التي يبكيها باربا‌روس على وسادته في الليل، لكن لم يكن هناك أي مخرج."

(هينواروماي في المجلة الثقافية لومينج (الطيف) ١٠/١٩٩١).

قال أحدهم ذات مرة في مكان ما إنه في أثناء خطابات باربا‌روس عام ١٩٤١ أطلق شخص ما غراباً (وفاريس تعني بالأستونية غرابًا) ذا جناح مقصوص في الصالة، وكان يرتدي بنطالاً أحمر.. وقد كان فاريس شاعراً مستقبلياً.

عاري يسحق حتى الموت مائة ألف جندي ومائة ألف سلاح ومائة ألف رمح! يسحقها إلى شظايا، وسوف يدفع خمسين ملكاً وخمسين مملكة إلى الدمار... غضبي أكبر من القذائف التي تطلقها المدافع ذات القطر الكبير، ومن البرق والرعد، ومن الحشد الثوري الذي ارتفع أعلى

إعلانات الثورة بوابل من الرصاص.. انتظر فقط! فسوف تقف لعناتي منتصبة تزأر مثل الأسود (.....)

(جزء من قصيدة كتبها يوهانس فاريس باربا روس عام ١٩١٨).

في أوائل التسعينيات قام نائب الرئيس السابق لفرع المخابرات السوفيتية المختص بالجمهورية الأستونية السوفيتية الاشتراكية فيلاديمير بول بوصف ما حدث بعد الحرب بست سنوات في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٦:

" ... دفعت الرجل الراقد على الأرض جانباً برفق (...) حيث كنت أول من يدخل المرحاض".

..... كان فاريس راقداً على جانبه الأيسر، وذراعه الأيسر بالقرب من رأسه، وذراعه اليمنى ممدودة، وهناك بالقرب منه على الأرض مسدس والتر قطره ٧.٦٥، ورفع المسدس الجسم قليلاً، وتحته كان حمام من الدم.

الجريمة المذكورة هي أن السبب في موت فاريس طلقة دخلت في بطين القلب والشريان الرئوي مسببة انسدادًا في القلب ونزيفًا في غشاء الجنب الأيسر، وقد كان مكان الطلقة تقريبًا مجوفًا؛ فقد دخلت الرصاصة من جانب اليد اليسرى للقفص الصدري بين الضلعين الثالث والرابع، وانحنت في النسيج بين الفقرتين الخامسة والسادسة من العمود الفقري؛ مما أدى إلى الوفاة الفورية.

أرادت الأمة الأستونية أن تعرف ما حدث فعلاً لفاريس، وحقيقة أنه لم يمت بشكل طبيعي، وهو ما كان معروفا بالفعل للجميع في اليوم نفسه، ولم يمنع تسرب الأخبار توقيعات الأطباء والمساعدين والحراس المنصوص عليهم بشروط غير صريحة التعهد بالصمت.. وانتشرت كل أنواع الشائعات عبر المدينة، وحقيقة أن السلطات الصامتة كانت وقوداً إضافياً للنيران: لقد تم اغتيال فاريس بإطلاق الرصاص عليه.

يقال إن وثيقة وجدت في خزينة فاريس أظهرت توجهه السلبي تجاه السياسات الستالينية وحالة عقله المحبطة، ولا يمكنني قول شيء بخصوص ذلك، فكل ما أعرفه أن من فتح الخزينة هو المدعي العام الرئيسي باس ونائب رئيس اللجنة الدائمة الأستونية السوفتية العليا أندرسن، وكذلك وزير الأمن كوم، وقد جمع ثلاثتهم الوثائق هناك، ووقعوا ورقة تفيد غياب دليل مادي على انتحار فاريس، لكن في حقيبة فاريس كان هناك دليل مادي فيما يتعلق بذلك: جراب مسدس فارغ من نوع راينولد ٦١٥ وقلم حبر، ومفكرة انتزعت بعض صفحاتها، وفي صفحة أخرى كان فاريس قد كتب مذكرة انتحار بالقلم الرصاص، ولديَّ الترجمة الروسية أمامي، وسوف أحاول أن أترجمها إلى الأستونية (...)

"انهيار المرض الذي غمرني قد أتعب وأجهد نظامي الحيوي؛ لدرجة أني لا أستطيع (بحكم عمري) الشفاء، أو

أن أصبح ملائماً للعمل مرة أخرى."

الآن تتطلب الجهود السوفيتية عملا أقوياء، وأشعر بسبب مشاكل قلبي وضغط دمي المرتفع وأعصابي الضعيفة أني لست أهلاً لهذه المهمة.

هذا يشعرني بالإرهاق واليأس، ولقد وصلت لاستنتاج أنه ليس هناك مفر.

في الوقت الحالي وصل المرض لنسب غير متوقعة.. وأنا أخشى الأسوأ- الارتباك التام والانهيار العقلي.

ربما كل من يدرك ما فعلته يسامحني.

(الحروف الأولى)

كتب فاريس ملحقًا بالقلم الأحمر:
سامحني يا عزيزي سيوتس؛ فأنت معزي بطولي

وأنا أعرف أن فعلي سوف يحطم حياتك أيضاً

لكني لا أستطيع الاستمرار أكثر من ذلك"

(الحروف الأولى)

وكما قيل، فقد دفن فاريس في الثالث من ديسمبر ١٩٤٦، لكن أرملته إميليا لم تبقَ بعده طويلاً، فبالضبط بعدها بثلاثة أشهر انتحرت هي أيضا، وفي الثالث من مارس ١٩٤٧ أرسلت المذكرة التالية الموقعة من قبل بوريس كوم

إلى وزارة الأمن للجمهورية الأستونية السوفيتية الاشتراكية
إلى أبوكاموف:

"اليوم تقريباً في ١٠:٣٠ اكتشف جثمان إميليا إيفانوفا فاريس.. أرملة الرئيس السابق للجنة السوفيتية العليا للجمهورية الأستونية السوفيتية الاشتراكية، وقد تركت إيميليا فاريس هذه المذكرة."

"أقربائي وأصدقائي الغالين! لا يمكنني الاستمرار في العيش وحيلة دون زوجي العزيز؛ لذلك اتخذت هذه الخطوة، وكل متعلقاتي وملابسي وكتبي أعطيها لأخي وأختي، وأرجوكم أن تدفنوني بجوار زوجي الراحل..

إيميليا فاريس."

٢٦ يونيو

يظهر الآن أن شاعر غرفة الرسم فالمر أدامز، وفي أثناء فترة الاستقلال بين الحروب (التي سميت "الأوقات الأستونية") عندما كان في فترة منتصف العمر (كان عنوان أحد مجموعاته الشعرية يشير إلى دانتي) - قد خضع لنوع من التحقيق من قبل الشرطة السرية، وأنها - كما قيل - كانت عملية سرية، كما يعتقد الكاتب ألبرت كيفيكاس ذلك نابع من أن الأفكار الشيوعية الجديدة، وقد رأى شيئاً من الأفكار والقيم في حركته الأدبية القديمة تارابيتا.. كما كان عالِم الأساطير إيفار باولسون سريعاً في كتابته لنعي:" إلى البطل العامل المجهول الذي سقط في أثناء نضاله."

obeikandl.com

السكر، الذي تستطيع أن تأخذ ثلاث كيلوجرامات منه زيادة عن المتوقع - يمكنك جمعه حتى أول أغسطس... حزب الأسماليت (رابطة الأمم) السياسي يتم إغلاقه، ولسبب ما أيضا بيت صيد السمك، وكأنه قد اتهم بأي أذى لأي شخص.

يرسل المجتمع الفنلندي السوفيتي تحياته إلى الحكومة الأستونية الجديدة.

يذهب انت مرة أخرى لزيارة الرئيس بانز، ولديهما بالتأكيد شيء ما للحديث عنه.

اليوم قام الاتحاد السوفيتي أيضا باحتلال صربيا وبوكوفينو الشمالية.

ماذا يعني كل ذلك؟ هل هناك انقلاب؟ وهل الناس يوافقون عليه؟ الناس صامتون، بيزمولفستويت كما يقولون بالروسية.. ينهي بوشكين كتابه "بوريس جودونوف" بالملحوظة التالية الشهيرة: الناس صامتون، وميدان كامل من الناس صامت، وما زالوا صامتين حتى تنزل الستارة، ثم يأتي التصفيق في المسرح بالطبع مؤكداً على وصوله وتبريره في مكان آمن.

من هناك يمكنك الذهاب إلى البيت، ويمكنك حتى طلب تاكسي.

ألم يحدث في نهاية الستينيات في وارسو أن قامت امرأة

obeikandl.com

بمقاضاة مسرح لتلطيخ ملابسها؟ ألم يكن ذلك خلال أداء سوزوكي لمسرحية في وارسو؟ لم ينبغِ أن يقع للجمهور ضرر بأي شكل، ولم يكن الأمر يستحق. فالمسرح البيئي خطر، ففي لا فورا ديلز باو تحركت العجلات الضخمة في أثناء المسرحية، وكان يمكنك الخروج بالكاد منها والهروب بحياتك، وهذا يحدث غالباً في الشارع، كما أنك أيضا في بعض الأوقات تهرب بحياتك حتى يمكنك الذهاب للمنزل بجسد كامل.

لكن لماذا يسمى ذلك مسحًا؟ ولماذا لا نسميه حياة حقيقية أو حتى جريمة؟

وإذا كانت امرأة تقاضي سوزوكي للأضرار، فهذا يظهر أن الجمهور لا يجب أن يبقى بالضرورة صامتاً.

لكني الآن فجأة أشعر أني ظالم لسوزوكي. أليس هذه في الحقيقة فرقة تيرایاما؟ إنها تحدث لشخص ما وشخص ما في الجمهور احتج.. على الجانب الآخر كانت أمتنا مشلولة تماماً في هذه المناسبة، وفي حالة الصدمة تلك من الصعب نطق كلمة احتجاج.

٢٧ يونيو

يغلق أنت الكايتسيليت (جمعية حماة الوطن) والجمعية التعليمية ومجتمع الجوقات والكشافة وجمعية YMCA واتحاد نوادي الرياضة الأستونية.

وصل ليون فيوختفانجر فى نهاية رحلته الطيفية إلى مخيم الاعتقال في نيميس، حيث تم إخباره أنه ليس سجيناً، بينما يخبر نفسه أنه ليس ألمانيًا.

يجوب الاتحاد السوفيتي الآن انتباه ثان نحو فنلندا، ويقترح شخص ما أن يتم إخضاع مجموعة جزر الاند للإدارة المدنية، وبخلاف ذلك ستكون البلد غير مدمجة مع الاتحاد السوفيتي.

٢٨ يونيو

يتلقى بريخت رسالة من سكرتير فيوختفانجر تذكر أنه في مخيم، حيث هناك رجال في عمر الستين إلى الخامسة والستين، وسوف يصبح فيوختفانجر في الخامسة والستين في يوليو، لكن الأوراق تذكر أيضا أن فرنسا سوف تسلم أي ألمانيّ إذا طالبت به ألمانيا.

ينظر بريخت للخارج تمر امرأة فنلندية بحقيبة في يدها، ومن الواضح أنها ذاهبة إلى المتاجر.. إنه المساء، والسماء صافية، وظلال الأشجار تلمع أمام عينيك.. ذهبت هيلين وجريتي في نزهة بالحديقة، وأتساءل عم إذا كانتا تتحدثان عني أم لا..؟ هكذا يفكر بريخت.. وهل تتبادلان الأفكار؟ أم تدخلان في حوار نسائي ما ولا تذكراني؟ هل تتحدثان عن أشياء لا تخص الرجال؟ أو ربما تمشيان في صمت.. تشقان طريقهما عبر العشب على مقدمات أحذيتهما، تلتقطان ورقة في المتناول، تعضان شفاههما وتنظران شزراً بأعينهما.

هناك صوت قعقعة يأتي من مكان ما.. رعد؟؟ يفكر بريخت أنه إذا أصبحت الأمور خطيرة فإن الفنلنديين سوف يسلمونه، وغالباً إلى الألمان فمن غيرهم يريده؟

ينعزل بريخت مع نفسه، ولسبب ما يريد فجأة أن يصبح أطول، فسكان شمال أوروبا أطول، وحينما يجتازون الثلج الذي تحركه الرياح تبقى رءوسهم ناتئة، ومن الأفضل للناس في المسرح أن يكونوا أطول؛ حيث تتاح رؤيتهم من أماكن أبعد عندما يكونون على المسرح، وفي العالم القديم استخدموا حذاء الكوثرن والأقنعة، وهذا جعل الممثلين أطول وأبسط في الوقت نفسه، وهو أيضا شيء جدلي.

يفهم السير وينستون تشرشل دوافع الروس وأفعالهم: "لقد اضطروا لاحتلال بلاد البلطيق وجزء كبير من بولندا بالتسلل وقوة السلاح قبل أن تتم مهاجمتهم، وربما سياستهم قاسية القلب، لكنها في الوقت نفسه واقعية." (من: "العاصفة المجتمعة.")

في السادس والعشرين من يونيو ١٩٤٢، وبعد فترة طويلة من التعذيب في مخيمات العمل الروسية يموت كارولا نيهر من التيفوس وقد مانت ممثلة ألمانية شهيرة وحبيبة لبريخت الذي التقته في ١٩٢٢، وعلى الفور لعبت دور بولي في أوبرا البنسات الثلاث، والدور الرئيسي في نهاية سعيدة، والبطولة في سانت جون الماشية. وعندما وصل النازيون للسلطة هربت مع زوجها الشيوعي، ورآها بريخت لآخر مرة في موسكو عام ١٩٣٥.

اعتقلت كارولا في يوليو ١٩٣٦، وشهد ضدها القائدان المستقبليان للـ SDV والتر أولبريشت وويلهم بيك، وفي ١٩٣٨، وقد كتب مهاجرٍ ألماني في باريس خطاباً مفتوحا لبريخت، لكنه بقى صامتاً، وقد اتهم بالخيانة: "بوضوح لا يمكن أن تجد حلفاء أفضل من خصومها، وإذا لم تكن موجوداً فسوف يخترعك جوبيلز." ولم يجب بريخت.. تكلف الأمر حياة المهاجر (والتر هيلد) وعائلته (زوجته وطفله).. عندما حاولوا (خلال السنة نفسها ١٩٤٠ – وبواسطة الطريق نفسه) عبور الاتحاد السوفيتي، حيث تم القبض عليهم في القطار السريع الذي يعبر سيبيريا، وأطلق النار عليهم فوراً. اكتشف بريخت ما حدث لكارولا.. ولم يرسل أبداً خطاب ما كتبه لفيوختفانجر، يقوم فيه بمحاولات خائفة لاكتشاف شيء ما، وفي فبراير ١٩٤٠ تم إطلاق النار على العدو الرئيسي لتمثيل طريقة التقديم في المسرح (ولم يعرف ما إذا كان بريخت ومايرهولد قد تلاقيا أبداً، فكلاهما كان بموسكو في ١٩٣٥ لمشاهدة الممثل الصيني العظيم مي لانج فانجوكان، وكان هناك صديقهما المشترك تريتياكوف [الذي مات رمياً بالرصاص أيضاً]؛ لذا فمن المحتمل أنهما تلاقيا.

يكتب بريخت قصيدة في ذكرى تريتياكوف، ويكتب أيضا قصيدة عما يتخيله من أسر كارولا، حيث يفترض:"لا يمكنني أن أفعل شيئا لك.." ويسأل بريخت العالم: "لن أبدأ في قول: لقد كانت هذه أوقات صعبة / وسأسأل بدلاً عن ذلك: لماذا يبقى الشعراء صامتين؟"

يتخلص أنت من الكايتسيليت، ويشهد وزير الاقتصاد نيشتيج على اسمه لنارما، وقد شهد ذلك الكاتب رودولف سيرجي والمترجم يوري سوماكوف.. قبل المساء خطط مان أنت لإغلاق كل المجتمعات العرقية (مثل المجتمعات الروسية والأوكرانية والبولندية).

يعطى جنود الجيش الأحمر رصيدًا غير محدود في الضفة الأستونية – يساوي كرون أستوني واحد خمسة وسبعين كوبك سوفيتي، والمعدل الطبيعي للتبادل على أي حال: كرون أستوني واحد يساوي عشرة روبلات.

٢٩ يونيو

يرى بريخت أن بلدًا شهيرًا قد انهار، وهذه أخرى تترنح (فنلندا حيث هو الآن)، ويكتب مسرحية جديدة اسمها الشخص الصالح من سيشوان.. ليس همساً عن تأشيرته الأمريكية، فهو يحصل على القهوة فقط من روث، والسكر ليس دائماً متاحاً في المخازن، وإيجاد السجائر يحتاج لبعض المجهود.

يصدق البرلمان الفنلندي على استعادة الرقابة، بينما في أستونيا يصدق أنت على القانون الذي بموجبه يجب أن يسلم كل الأشخاص العاديون أسلحتهم.

يذكر وزير الزراعة الأستوني الجديد جوييار أن المزارعين لن تتم مصادرة أراضيهم.

٣٠ يونيو

يفهم بريخت صعوبة أن يكون دون مسرح، بينما يستطيع أن يقدم مشاهد، ويكتب مسرحيات، وهو الآن في صعوبات مع المشهد السادس في مسرحية سيشوان، ومن السهل تخيل أي شيء تحب حين تجلس على مكتبك، لكن لا يمكنك أن تعرف بالفعل ما إذا كان سينجح أم لا، حتى يتم تقديمه.

يسمح أنت الآن بشراء البيرة والخمر، لكن الأرواح ما زالت محرومة، كما يتلقى الدبلوماسيون الأستونيون بالخارج أمراً بالعودة إلى الوطن، وتجاهل غالبيتهم الأمر شيء جيد أيضاً.

بالنسبة لليتوانيا، كان وزير الخارجية فينكاس كريفي ميكيفيشيوس في موسكو للقاء مولوتوف... ويقول الأخير شيئا ما فيما معناه: ينبغي أن تكون أكثر واقعية، وتفهم أن الأمم الصغيرة سوف تختفي في المستقبل على أي حال.. والآن تنضم ليتوانيا – مثل لاتفيا وأستونيا – إلى العائلة الموقرة في الاتحاد السوفيتي، بمعنى آخر النظام الذي سوف يحكم في المستقبل جميع أوروبا، وسوف ترى بنفسك كيف أنه خلال أربعة أشهر ستصوت جميع دول البلطيق للاتحاد السوفيتي.. وفي هذا المساء يلتقي كريفي مع ديكانزوف، الذي يعود للوطن ثانية، ومن جانبه يقول ديكانزوف بقسوة لكريفي ما يلي: سوف تجعل الحرب العالمية الثانية كل أوروبا تسقط في أيدينا مثل ثمرة ناضجة، وبعد الحرب

العالمية الثالثة سوف نغزو العالم كله.

١ يوليو

يصدم بريخت من أن العالم يتغير كل لحظة، فمبدئياً ما زالت هناك صحف.. الصحف باللغة الألمانية من النمسا وتشيكوسلوفاكيا وسويسرا وسارلاند تسقط واحدة تلو الأخرى، ومبدئياً ما زال بث الراديو يعمل، لكن في يوم رائع انتهى البث من فيينا، ثم من براغ في اليوم التالي وكوبنهاجن وأوسلو فقط يبثون الدعاية الألمانية.. كل ما تبقى هو هولندا، لكنك لن تعرف أبداً كم ستبقى.. حتى خريطة أوروبا تتغير؛ فلا خريطة تبقى في اليوم التالي كما كانت في اليوم السابق.

تكتب روث بيرلولرارة في مذكراتها أن بريخت احتقر كل النساء، باستثناء لوكسمبورج وكروبسكايا وزوجته فيجل. "لقد عاملني كحثالة، ويدعو ابتسامتي ابتسامة عاهرتك."

٢ يوليو

يظهر العديد من البعوض من مكان ما، بعضه أكبر من الآخر، كانت الصغيرة منها تطن بقذارة وتعض، بينما الكبيرة هادئة ولا تعض.. إنها غير ضارة، لكنها بغيضة وتشعر أنها أكثر خطورة، لكنها ليست كذلك! الأصابع متشابكة! لكنها ما زالت في الحجرة معك.. نعم مثل الفوضويات في مسرحياتي – مثل حقيقة أن هناك طيارًا

معاصرًا، بالإضافة إلى آلهة قديمة على المسرح في الوقت نفسه في مسرحية سيشوان.. يعد بريخت ذلك جدليًا.. وبالطريقة نفسها يشكل البعوض الصغير والكبير معاً نوعاً من التركيبات (متجنباً حقيقة أنه من الصعب تسمية ذلك تناقضًا) بينما هو في الحجرة نفسها معاً، وعلى المسرح الطيار والإله – فهما الأطروحة ونقيضها، وهما يتحدان معاً في المسرحية... في الفضاء الذي يشغله المسرح، بينما لا يكون الأداء تركيباً بعد ذلك، لكن أطروحة جديدة، ونقيضها هو الجمهور، ثم بشكل مظلم يخلق تركيباً آخر.. هل ذلك دائماً أيديولوجي؟ وهل من الممكن أن يتم التعبير عنه بالكلمات؟ لا ليس ممكناً!

جدليات ابتسامة عاهرة لا تنبع من العاهرة، وإذا لم تكن الابتسامة لعاهرة هل يمكنك تسميتها ابتسامة؟

يبدو ووليجوكي قلقاً على أستونيا، ولا يمكن لبريخت أن يفهم ذلك؛ فهو يقارن أمة صغيرة (مثل أستونيا وفنلندا أيضاً) برجل أعمال صغير، وهذا دين كبيرة (الفاشية) يريد أن يبتلعه، لكن من يكون عاجزاً في أي حال على الحفاظ على سيادته ينبغي أن يسلم السلطة إلى البوليتاريا (الاتحاد السوفيتي)، وهناك سوف تزدهر.. هذا ما يعتقده أحد معارفه، الاشتراكي الفنلندي أركي فالا، الذي مدح حقيقة أن أستونيا انضمت لعائلة الأمم السوفيتية العظيمة، كان ذلك في كتابه المنشور تحت اسم مستعار أ.ر. تورني، واسم هذا الكتاب دي بالتيسكا سوفجيتر يبابليكين، في أستوكهولم

١٩٤٥، وقد ظهر هذا الكتاب فقط بعد خمس سنوات من كتابته وفي السويد (للأسف لا أملك نسخة.)

تفسير السابق:

في الثامن من أبريل ١٩٤١ يكتب بريخت في مفكرته الجملة المليئة بالمعاني، التي نتعرف فيها على شيء بأنفسنا: من المفاجئ كيف تعيد تراجيديا رجل الأعمال الصغير في كفاحه ضد الدين الكبير في تراجيديا الأمم الصغيرة – الأمم التي عدد سكانها يقارب نصف عدد سكان برلين – التي تباشر السياسة بمنطق المغالطة.. أن كل الأمم متساوية!"

تدور روث في فستان يمكن وصفه بالرقيق جداً، وعندما يراها بريخت تخرج من العشب يذكره الأمر بشكل ما بأول إثارة جنسية له، وقد كانت من السوداء ماري، وهي خادمة في أوجسبرج بلدته الأم.

يعتقد بريخت أن الجدليات تحدث كالتالي: عناصر غير واضحة تتكدس، وهذه هي الكمية، وفي لحظة معينة هناك تحدث قفزة نوعية: ينتج الوضوح.. يصبح شعوراً آخر، وربما ضده، وحدث فردي الآن يكون مطابقاً والعكس، كما أن تغيير الكمية إلى الجودة هو بطبيعته قفزة.

ما زلنا في موضوع الجدليات، حيث يقول بريخت إن المدرسة الأفضل للجدليات هي الهجرة، وإن أكثر الجدليات حدة هي اللاجئون؛ "فهم لاجئون فيما يتعلق بالتغيير، ولا

يمكنهم أن يشعروا سوى بالتغيير."

في أغسطس ١٩٩١ حدث أني كنت في فنلندا، أنا وزوجتي خرجنا في صباح التاسع عشر، ولم نستمع إلى الراديو هذا الصباح، ولم نعرف ما حدث.. وصلنا الميناء في تاكسي، كان مغلقاً؛ حيث لم تكن هناك سفن تبحر، وكان هناك العديد من الأشخاص في صالة المغادرة، ولم يكن أحد يعرف ماذا يحدث.. يذكرك الموقف بفيلم كازابلانكا، أو ولماذا لا برواية ريماركي المساء في ليسبون، أو المسلسل البريطاني بانكوك هيلتون، أو حقول القتل لجوفي. وأنا أستعيد التفكير في أنني لم أرد أن أدخل المنفى، فقد كنت في رحلة عمل، لكن بدا أنها تتزامن مع انقلاب.. بعدها بفترة قصيرة صرخ رجل: دعنا نذهب ولنسرع في ذلك! لقد غادرت سفينة صغيرة! وقد سألنا حارس الحدود الروسي عندما أعاد جوازات سفرنا: لماذا العجلة؟ هناك سفن حربية في طرق البحر مع حركة حولهم بالرغم من كونهم ثابتين، وقد أبحرت سفينتنا الصغيرة بينها، ولم يطلق أحد النيران (ربما لم يكن لدينا مناصب دبلوماسية على متن السفينة)، ومرت ثلاثة أيام كالحلم في فنلندا، كانت وقتاً كافياً لحدوث كل شيء: تسلق يلسن على الدبابة، وكانت هناك تقارير إذاعية على مدار الساعة من الصحفي الإذاعي هاري تيدو.. اعتقدت لي (زوجتي) أني لا ينبغي أن أعود إلى أستونيا، لكن ظهرت فكرة أنها قد تسافر حول خليج لينينجراد عن طريق فيبورج، وتحضر سيارتنا والقطط، وربما يدعونها تمر.. في إحدى الليالي - كانت العشرين-

اتصلت بي صديقة مقربة، وهي الممثلة مايجا ليزا مارتون (كانت مديرة مدرسة الدراما القومية الفنلندية)، وقالت إنها تعرف أني كنت في فنلندا، وتتساءل ما إذا كنت أواجه متاعب، وفي تلك اللحظة اندفعت في البكاء؛ فقد كنت بالفعل أتعرض لما يحدث عندما تكون مهاجرًا افتراضيًا، وفجأة يساعدني صديق فنلندي في الخروج.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس

obeikandl.com

obeikandl.com

منتصف الصيف

مدونات انت

يوليو– أغسطس ١٩٤٠

منتصف الصيف، نعم منتصف الصيف، أنت هنا الآن! أنا أريد الحديث ثم الحديث عن أي شيء على الإطلاق – النضج، الاستعداد، السماوات الزرقاء، حقول الذرة، طريق المدينة الأبيض المختفي خلف الغابات، الغبار الناتج عن الأقدام العارية لفتاة شابة في شعاع الشمس الأخير قبل الغروب.

لكن هل هناك ما يستحق الحديث عنه في كل ذلك؟ لا أعرف! من يفعل؟ ربما سنفعل في يوم ما مهما يكن ما تتحول إليه تلك المعرفة.

فقط على سبيل التغيير سأقول شيئاً عن نفسي.

عندما طلب مني كتابة قصة حياتي كان هذا ما كتبته:

"لقد ولدت في بارنو، لكن حقيقةً كنت جيداً في كل المواد في المدرسة، بخلاف الكتاب المقدس، حتى الكتاب المقدس لم يكن عائقاً. لقد حضرت مدرسة اللغة (النحو

والصرف) الخاصة ببارنو، كما عملت أيضا في أثناء إجازة الصيف، وعندما اندلعت الحرب الكبرى، وقصفت بارنو ١٩١٥ - تم إخلاء مدرسة اللغة إلى موروم في روسيا.. وسافرت أيضا إلى موروم ذاك الصيف لأتابع دراساتي، وفي ربيع ١٩١٦ عدت من موروم وتم تعليمنا أنا وأخي من قبل اللاتفيين الذين كانوا رهن الاعتقال في بارنو كنتيجة لأحداث ١٩٠٥ (مرة قضينا أياماً في غرفهم)؛ لذا عندما اندلعت الثورة كان مرحباً بها.. عادت مدرسة اللغة إلى العمل، وخلال تقدم الألمان في ١٩١٧، والقصف الذي لا ينتهي للمنطقة الخلفية - تم إخلاء مدرسة اللغة، وكل المنظمات والمعاهد الأخرى ثانية، وتركت بارنو مع والدي ووالدتي، ولأن والدي له أخت في كوكاسوس قرر الذهاب إلى هناك، وقد عشنا مع عمتي بالقرب من مدينة تيلافي، حيث كان يعمل زوج عمي في مخازن سيزار للخمر..

الآن ومرة أخرى تقع أحداث رئيسية.. تبدأ الحرب الأهلية، وأفقد اتصالي بوالديّ، وأقرر أن أسافر للوطن، لكن يثبت أن ذلك ليس سهلاً، فلقد سقطت مريضاً؛ حيث كنت أعاني من التيفوس واليرقان وأمراض أخرى، وتم الإبقاء على حياتي بواسطة أناسٍ طيبين.. وعندما تماثلت للشفاء حاولت ثانية أن أسافر غرباً؛ لأقترب أكثر من وطني، واعتقد البعض أني تم حشدي للحرب في ١٩١٨، وانضممت إلى الحرس الحمر، لكن غيرت جانبي وانضممت إلى حرس دينكين البيض، وأنا لا أتذكر ذلك بوضوح، ومن يستطيع أن يتذكر كل شيء على أي حال؟

أوقات معقدة وطرق معقدة، سقطات وانتصاراته التاريخ! لكن أذكر بمعجزة ركوبي على سفينة في سيفاستوبول، وقد أبحرت السفينة – وأنت لن تصدق الأمر – إلى بلغاريا! حسناً لقد ذهبت من هناك إلى إيطاليا أليس كذلك؟ ثم إلى النمسا، ومن هناك إلى ألمانيا، ثم إلى لاتفيا والوطن، ولقد دمرت كل أوراق خدمتي! عمل غريب إذا كان هناك أحد أبداً!

أصبحت على اتصال مع القنصلية السوفيتية في ١٩٣٢ أو ربما ١٩٣٣، ومن هناك تلقيت خطاباً سرياً من الرفيق كليافين الذي وزعته، ولقد نشرت الأدب الاشتراكي السري... وعن طريق الرفيق كليافين وآخرين زودت السفارة السوفيتية بأشكال متنوعة من المعلومات: على سبيل المثال عن انقلاب باتز والقوات العسكرية وموضوعات أخرى، وقد أرسلت أيضا معلومات عن طريق الرفيق اسميستييف (مراسل تاس في أستونيا).. في مساء الثامن عشر من يونيو١٩٤٠ تلقيت أمراً تليفونيا وتلغرافياً بالحضور إلى تالين، وهو ما فعلته على الفور، وفي تالين التقيت الرفيق ساري، ولقد عرفته قبل ذلك، وكان لي تعاملات أيضا مع الرفيق لوريستين..

وقد تمت دعوتي من قبل الرفيقين روس واسميستييف، وفي مساء الثامن عشر من يونيو التقيت الرفيق بوخاريوف من السفارة السوفيتية، الذي سألني ما إذا كنت أوافق أن أصبح وزيراً للداخلية، وأجبت بأني إذا عهد إليَّ بمثل هذا

المنصب سأقبل، وفي التاسع عشر من يونيو التقيت الرفيق زهدانوف في مناسبتين، وبعد ذلك مع الرفيق بوخاريوف، وفي العشرين من يونيو أعطاني الرفيق زهدانوف مهمة اجتماع خلال الليل وتوضيح في الحادي والعشرين من يونيو..

وبمجرد أن تلقيت هذا الأمر بدأت في العمل فوراً، وأبلغت أمين الحزب الاشتراكي ساري، وفي أثناء الليل وضعت الخطط موضع الفعل في كل من تالين والمقاطعات، وفي الحادي والعشرين من يونيو كانت هناك جماهير تحتشد، وتم الاستحواذ على السلطة، وفي ليلة الحادي والعشرين من يونيو تم وضع الأشياء التي خططت لها موضع التنفيذ، وبعد ذلك التقيت مع الرفيق زهدانوف، ومنذ ذلك الوقت انشغلت بالمهام التي وزعها عليَّ الحزب."

اسمي أنت! مثل هانت – التي تعني ذئب باللغة الأستونية – لكن بحرف ناقص! كنت أحياناً أخبر الناس بأني ذئب من الغابات حول بارنو، وأنا أول وزير للداخلية في أستونيا السوفيتية!

في بداية يوليو ١٩٤٠ كنت أسافر إلى فنلندا مراراً وتكراراً، والتقيت بريخت هناك، وقد تحدث كثيراً! اشتكى من أن المذياع كان صامتاً؛ لذلك بدأ يفكر في فوضويات المسرحيات، التي من المفترض أنها له، فيمكنك أن تجد الآلهة مع الصناعة الحديثة، وقد حاول في مسرحياته الغريبة إظهار كيف أن التقاليد الأوروبية اخترعت الأجزاء الغريبة

من العالم.

لست في مثل هذا المكان بالضبط الآن، لكن لديَّ قدرة خارقة على تسخير قوى مضاعفة لاحتياجاتي، وكذلك المعلومات التخاطرية، ولديَّ قدرة محددة على مضاعفة نفسي؛ لذلك فقد كنت هناك (في فنلندا) وهنا (في أستونيا) في الوقت نفسه.

حسناً لقد كنت مجبراً هنا في أستونيا حيث ولدت أن أغلق كل النوادي العرقية، وأعاقب المثرثرين أليس كذلك؟ وبشكل ما خططت لمعاقبة مثل هؤلاء المثرثرين الحمقى... فإذا كان شخص ما يطلق النار على فمه في زاوية الشارع فإن عضواً من الميليشيا الشعبية سوف يصفعه على وجهه، وإذا حاول أحد أن يفعل ذلك في حجرة فإن المياه سوف تتدفق من الشقة أعلاه مسببة فيضاناً بالأسفل.

أخبرني بريخت لسبب أو آخر أنه لا يمكنه تحديد أي قطار مستقر للفكر في مالارمي، بالرغم من أن الأفكار غير الثابتة من المفترض أن تكون موجودة في أعماله، وأن خوف مالارمي من كونها تافهة انتهى غالباً بتفاهات أكثر.

حسناً، في الرابع من يوليو أعلنت أن الاتحاد الأدبي الأستوني منظمة قانونية أليس كذلك؟ وقدمت التحية لهم جميعاً بمناسبة هذا الإعلان، وعلى الجانب الآخر اضطر جيش الخلاص إلى الإغلاق، كما تم حل البرلمان أيضاً.

ومن ثم حدث كبير: تم إعطاء جزيرة نايسار إلى الاتحاد السوفيتي.

يقول بريخت إنه ينهض في الثالثة صباحاً غالباً بسبب الذباب، وفي ألمانيا ليس من المفترض وجود ذباب كثير، ربما بعضهم بعوض.. ففي الظلام لا يمكنك أن تحدد الفرق بين بعوضة وذبابة.

ماذا فعلت أيضا؟ في السادس من يوليو كنت مضطراً إلى تصفية الجمعيات والمجتمعات التي بقت حتى الآن، ولم أكن أخطط للتخلص منها جميعاً، فبعضها لم يأتِ على بالي، لكني سوف أغلقها في المرة التالية أليس كذلك؟ سوف أخطط لذلك بشكل ما.

بريخت وكل نسائه الآن في الريف في منزل هيلا الريفي في مارليباك!

تثير رائحة الصيف الفنلندي بريخت، لكنه يتماسك ولا ينهار تماماً.

بالنسبة لي لقد أعلنت في الجريدة اليومية الأستونية السوفيتية الجديدة "رافها هال" – صوت الشعب – أن البطالة سوف تختفي تماماً، وإذا كان هناك أي عجز في المجتمع فسوف يكون عجزاً في العاملين.

ثم في العاشر من يوليو في الساعة ١٥:٠٠ أعلنت أن كل الأسلحة يجب أن تسلم، وقد ذهبت لأداء خطابات في مدن

صغيرة.

يخبرني بعض الناس أن سعر الفودكا ارتفع.

كنت أتحدث إلى بريخت عن سبب تحمسه لأمريكا، فالأفضل الذهاب إلى الاتحاد السوفيتي، أو حتى العودة إلى أستونيا! فهذا مكان آمن. وبالمناسبة لم تكن وليجوكي لتفعل ذلك أيضا، فإذا قرر الألمان غزو فنلندا سيقول بريخت لي إنها قد اختارت أمريكا أيضاً.

كلوز مان: "يرغب الجميع في الذهاب إلى الولايات المتحدة.. بعض أصدقائي بالفعل في لشبونة بعيداً عن الخطر والآخرون موتى.. لقد بدأ الأمر بعمليات الانتحار (على سبيل المثال هاسنكليفر وبنيامين)." وكما أشير له سابقاً، فقد قام كلاوس مان بقتل نفسه في ١٩٤٩. كتب والتر بنيامين (١٩٣٤): "لأنه متبصر فقد رأى كافكا المستقبل، كما يقول بريخت، دون أن يكون قادراً على تحديد ماذا يحدث (...) يقال إن كافكا لم يكن يعاني سوى مشكلة واحدة: التنظيم (....) لقد تنبأ ببعض أشكاله مثل الكيه جي بي (....) وماذا ستصبح التشيك يمكننا رؤيته في شكل الجستابو (....) لقد اعتقد أن تريتياكوف لم يعد حياً.. (...) في روسيا ما زالت ديكتاتورية طبقة العمال الكادحين تتمسك بالحكم."

لقد كنت على قمة جبل يسيل عرقي بغزارة، ولم تكن هناك سحابة في السماء.. ربما واحدة لكنها صغيرة جداً، ولا

تستحق الذكر، وقد كان العشب الطويل يتمايلٍ مع النسيم، وفي مكان ما كانت ماشية هيلا تخور، وبعيداً عبر المساحات الممتدة من العشب رأيت ظهرًا أبيض لشخص ما يصعد وينزل.. لقد كان ذلك بريخت يمارس الجنس بلا شك، ومع من سوى روث.. قعدت وجلست تحت شجرة تنوب، وأغلقت عيني للحظة مع طنين النحل، كنت بالفعل أريد زجاجة بيرة.. إنها مزرعة كبيرة.

أنا مضطر للإعلان، أو على الأقل المشاركة في إعلان أن أعداء الشعب لن يكون مصرحاً لهم أن يكونوا مرشحين في انتخابات البرلمان الأستوني الشيوعي الجديد.. فقط الناس اللائقون سوف يكون مسموحاً لهم ذلك، ومرشحو المعارضة سوف يتم محوهم من القائمة الانتخابية، وإذا لم يتم محوهم فسوف يفعلون ذلك بأنفسهم.

يقول أحد الشعراء، واسمه سوتيستي- إن المسرح ينبغي أن يتم تفعيله! لقد أمرت مالك كل بناء أن يقوم برفع علمين على الأقل، وطول العلم الأحمر يجب أن يكون بالضبط طول العلم نفسه ذي الألوان الأزرق والأسود والأبيض!

بالمناسبة لقد بدءوا في القبض على الناس.

تم إرسال الجنرال لايدونر بالفعل إلى مكان بعيد..

بالنسبة لهتلر فقد قال في الرايخشتاج: مناطق اهتمام ألمانيا والاتحاد السوفيتي قد تم تحديدها أخيراً.

لقد وضعت أو ساعدت في وضع قائمة بالفنانين الأستونيين؛ لقد خططنا لإيجاد ١٤٢ شخصاً معاً.

كان هناك اجتماع في مطعم دونورد، وقد قام المونولوجيست الشهير ياخونوف بمخاطبة "جواز السفر السوفيتي" لمایاكوفسكي.

يقول بريخت إن فيوختفانجر قد هرب إلى مارسيليا.

لقد ذهب أولمانيس (الرئيس اللاتفي) أيضا إلى مكان بعيد.

حسناً، لقد قمت الآن بإغلاق المركز الثقافي الأستوني البريطاني أليس كذلك؟ كانت ذلك واحداً مما يجب إغلاقه – منذ أن اضطررت إلى إغلاق جميع المجتمعات.

تحت قهر الظروف خططنا لإغلاق كل ما كان ممكناً إنسانياً.

أعلن مولوتوف من جانبه إلى باسيكيفي أن فاينوتانر معادٍ للسوفيت، وأنك لا تستطيع أن تؤيده حتى عندما تحاول استيعابه فأنت تزوره مرة وأخرى، ويبدو أن لا شيء يحدث بالفعل، فلماذا تهتم بالاتحاد معه إذا كان يتصرف بشكل غريب جداً؟! هل يمكن أن يتم الاتفاق على أي شيء مع حقيقة أنه غريب جداً؟ أنا لا أريد أن أزعج نفسي... لا، أنا لا أريد ذلك على الإطلاق.

تاريخ وفاة م. أنت غير معروف؛ فقد نبذه كل من الاشتراكيين والقوميين.

لكن دعنا نستمر في الحديث الآن بينما ما زال حياً.

في السادس والعشرين من يوليو كنت مضطراً لحظر استخدام الألقاب بروا (سيدة) وبريلي (آنسة) وهارا (سيد): فهذه الثلاثة تم استبدال كلمة واحدة بها – كودانيك (مواطن). وهذا الإعلان كان به نفحة من الثورة الفرنسية العظيمة إذا أمكن أن يُفْهَم أيًا منها.

تم عزل م. أنت من منصبه وفقًا لبروتوكول الحزب الاشتراكي رقم ٨ بتاريخ ٢١ مايو ١٩٤١، ثم تم إطلاق النار عليه. بعض الألسنة الخبيثة تقول إنه خلال عام ١٩٤٠ أو ١٩٤١ ألقى أنت خطاباً في راديو موسكو، وانتشرت صورته في الصحف، وقد قامت امراة أوكرانية كان من المفترض أنه تزوجها، بينما كان يخدم في جيش دينيكن، وأنجب طفلاً منها – بالتعرف على صورة الرجل الذي هجرها، وهاتفت المراة موسكو، ثم خرجت القطة من الحقيبة.

لكن أنت لا يعرف ذلك حتى الآن؛ ولذلك يكمل قصته.

بريخت مشغول بتحليل السياسة كالعادة، فها هو يجادل ادعاءات هؤلاء (لم يقل من) الذين يقولون إن الفاشية سوف تعطي أوروبا مقياسًا للاستقرار، وهو لا يعتقد أن ذلك محتمل، فقد سمع أن بعض أتباع سيمون دي بوفوار قد

بدأوا في اللحظة نفسها قراءة رائعة هيجل ظواهر الروح، وعندما (أو نسختي) سألته ماذا كان يفعل الكاتب الرائد في نظرية الأنظمة، بيرتالانفي، الآن (لقد حدث أني سمعت اسمه في أثناء سفرياتي حول العالم). كان بريخت فاقداً للإجابة، وأنا أيضا ربما لم أقرأ أيًا من أعمال بيرتالانفي الرئيسية، التي سوف تصل إلى صيغتها النهائية بعد وفاتي، وتحتاج ألا تكون بعيدة جداً.

حسناً لقد ألقيت خطاباً في اجتماع للصيادين في بارنواليس كذلك؟ لقد أخبرتهم أني تمنيت أن تصبح الأشياء أفضل.

يعتقد بريخت أنه طبيعي نسبياً أن الفنلنديين يحبون بلدهم، فالمناظر الطبيعية نفسها لا تقدم أي مشاكل، فهناك السمك والأنهار وأشجار التوت والبتولا في الغابات، كما أنهم يتنفسون هواء نقيًا – تقريباً كما هو مقصود لهم أن يفعلوا، وهي باردة في الشتاء، لكنها دافئة في الصيف، وفي الصيف هناك روائح كثيرة جداً، وبسبب الحرارة والنمو المفرط للمواد العضوية.. حتى الرياح لم تعد رياحاً؛ حيث تحمل رائحة الكثير من العشب والعديد جداً من الأفرع والشجيرات.. إنها رياح متناغمة كما يحاول بريخت أن يشرح لي.. هذا ما قاله لي، لكن فيما فكر.. هذا أمر آخر.

في السابع والعشرين من يوليو كنت مضطراً لإغلاق كل المدارس الخاصة والصحيفة المسماة بإيفاليهت (الأخبار اليومية)، وهو شيء مناسب للفعل، لكن مَن أمر أن تحمل

الجريد مثل هذا الاسم الواضح؟

يا إلهي! كم كانوا ثائرين في هذه الأثناء بهلسنكي؟ وكيف ثار أصحاب الاتجاه اليساري؟! كان هناك شيء أرادوه، وهذا الطلب كان جيداً لشيء ما.

لست أنا، لكن رئيس الأمن الداخلي خبير الحشرات هارالد هابرمان هو من قام بمنع جميع الصحف الصفراء.

يا له من رجل! له مظهر مثير أكثر من ذلك الذي يكون لعالم ومفكر، وقد أجبرته البراجماتية الحيوية أن يكون واقعياً.

قريباً سوف يصبح أصلع، لكن سوف يكون هذا ميزة له بشكل كبير خاصة مع النساء.

في الثاني عشر من يوليو ١٩٤٠ اعتمد الريجيفوليموجو - المجلس الأدنى للبرلمان الأستوني- مشروع قرار تصبح أستونيا بموجبه جزءًا من الاتحاد السوفيتي.

تم اعتماد القرار من أول دراسة، وعندما انخفض التصفيق المدوي قمت باقتراح أنه ينبغى ألا تكون هناك فترة كبيرة بين الدراستين الأولى والثانية لمشرع القرار، لكن - ولم لا؟ - يجب إعلان الجلسة الثانية فوراً.

لذلك انتهت جلسة الدراسة الأولى لمشروع القرار في ١٣:٥٥، وكان هناك استراحة تدخين، ثم انعقدت جلسة الدراسة الثانية في ١٤:١١.

obeikandl.com

بريخت هنا سعيد إلى حد ما الآن!

بالنسبة لي كنت مضطراً إلى إلغاء جميع جوازات السفر السابقة، التي تسمح لك بالسفر خارج البلاد.. لم تعد صالحة بعد ذلك.. أفعل ما تريد بها.

حسناً ها أنت.. في هذه الأثناء الطبيب النسائي باربا روس أوفاريس أيهما كان لا يهمني فماذا أعرف أنا، الذئب البسيط، عن البرابرة في باربا روسيس، وربما من الأفضل ألا أفعل - فكلما عرفت أقل كان ذلك أفضل لك - على أي حال لقد ذهب مع وفده إلى موسكو، وقد أراد أن يعلن شيئاً ما هناك ربما أمنيات الشعب الأستوني. كان باربا روس كاتباً بطبيعته، وقد طالب بإعلان الريجيكوجو الأستوني.

لقد ذكرت بالفعل أني كنت مضطراً لمنع مرشحي المعارضة، وهكذا أترك في القائمة الانتخابية فقط هؤلاء الذين كان مقبولين وضروريين سياسياً - نعم أنا أيضا مذنب في ذلك، لكن الدولة قدمت نظامًا جديدًا للحكومة، حيث لم يكن هناك بالفعل أي خيار، فمرشح واحد يتم دائماً انتخابه من اختيار واحد، وهو عادة يحصل على ٩٨.٥ ٪ من الأصوات.

من الصعب إدراك ذلك للوهلة الأولى.

لكني عشت في روسيا وكنت ثورياً، ثم خنت الثورة، ثم أصبحت ثوريا مرة أخرى؛ لذا لم أكن مندهشاً أبداً عندما لم

يكن هناك أي خيار.

مع الحظ السعيد يكون لك أن تختار بين الحياة والموت، وليس مؤكداً أيهما أفضل.

-- طالب الشاعر باربا روس الريجيكوجو الأستوني أن ينضم إلى الاتحاد السوفيتي، وكان "أعظم رواية مجمعة كتبت في أستونيا فما نهاية الرواية؟-- ضد كل الأذواق الأدبية تكون نهاية سعيدة أسعد من أي قصة يكون الأشخاص العاملون شخصيات فيها."

يا إلهي لقد تم أخذ باتز أيضا إلى مكان بعيد.

فقط من أجل التسلية كنت أقرأ قصائد بريخت. شخص ما أحضرها إليّ أو صادفتها بنفسي.. أوه، لست أدري، لكنٍ إحداها بدا لي أنها تقول إن الطعام يبدو جيداً جداً، والحليب كان في قدر كبير وجميل.

كتب بريخت أيضا قصائد عن فنلندا، مثل هذه القصيدة عن الريف الفنلندي:

مياه مليئة بالسمك! (لقد قال بريخت هذا لي بالفعل)

غابات جميلة!

للرياح مجموعة منوعة من النغمات.

أو قصيدته الثانية:

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

الآن هذه قصيدة، أنا أحب الشعر.

تم إصدار مرسوم بأن جميع السفن الأستونية يجب أن تبحر إلى مورمانسك أو فالديفوستوك، ومن المفهوم أنهم قد يبحرون تحت العلم السوفيتي، لكن أي علم آخر سوف يبحرون تحته؟ دعنا نجرب ونقبل أشياء قليلة كما هي، فقط نرفع العلم ونذهب حيث يجب أن نذهب – سواء إلى مورمانسك أو فالديفوستوك.

تأخرت تأشيرات بريخت وعائلته مرة بعد أخرى، وقد ذهبت فيجل مرات عديدة إلى القنصلية الأمريكية، وعندما خرجا من الترام، وكانا يسيران إلى الميناء رأوا سفينة أستونية، هي بالطبع سفينة أستونية شيوعية؛ حيث كان هناك علم أحمر يرفرف على ساريتها، وكان لدى السيدة كيلبيس مشاعر متضاربة حول ذلك، لكن فيجل كانت سعيدة، وقالت إنه في وسط كل هذه الفوضى من اللطيف أن ترى شيئًا مطمئنًا ومتفائلاً.. حدقت فيجل لبرهة في السفينة التي يرفرف فيها العلم الأحمر، وأتت من مسافة ثمانين كيلومتر، وبعد ذلك رأت سمك بلايس مدخنًا.

في هذه الأثناء كنت مضطراً لتنفيذ أوامر تلقيتها من الرئيس، وفي الثالث عشر من يوليو كنت مضطراً لحل البحرية، وكذلك مؤسسة حراس الوطن.

ثم اضطررت لفصل كل كبار السن في العديد من المقاطعات الأستونية، وقد كان بينهم بلا شك أشخاص

صالحون، لكن في أوقات كالوقت الحاضر لا يمكنك أن تولي اهتماماً كبيراً بالأفراد.

قدمت مشروع قانون أو آخر تعامل مع تفاصيل التجنيس.

أمرت أيضا أن تحل كلمة "رفيق" محل "السيد" في القوات المسلحة، كما قمت بحل المجلس المحلي لجزيرة نايسار، ولم يكن عندي مشاكل في عمل ذلك، لكن بعض الأشخاص اعتقدوا أن هذا كان على القمة.

كان لديَّ حفلة استقبال للفنانين، وكان نصفهم لاتفيين أو روسًا.. إنه حدث عالمي.. لكن تخيل فقط - اليوم (الثاني من أغسطس)، أنا في الوقت نفسه في هلسنكي، وما يقارب من ٢٠٠٠ شخص أرادوا أن يكونوا أصدقاء مع الاتحاد السوفيتي تم تفريقهم. فقد تم قذفهم بالحجارة وضربهم بالعصي المطاطية.

ذهبت إلى ألمانيا، ورأيت هناك كيف يقوم جوبلز بتشجيع جوستاف جروندجينز على عمل فيلم عن يوليوس قيصر.

تم قبول ليتوانيا جزءًا من الاتحاد السوفيتي (الثالث من أغسطس)، وما زال هناك وقت قليل للذهاب قبل وفاتي.

بالأمس كنت في فنلندا مرة أخرى لفترة قصيرة، ولست أريد بالفعل أن أكون هناك ثانية، لكنك يجب أن تكون

هناك الآن، ومرة أخرى ترسل الجزء الأفضل أو الأسوأ منك.. في هذه المناسبة أصبح بريخت متحمساً للواقعية، وأنا لست ضد الواقعية؛ فأنا مجرد طفل مسكين من خارج طريق بارنو، وهؤلاء الناس الذين أتوا من الريف يثيرون نوعاً من العاطفة تجاه الواقعية بوصفها فنًا.

للأسف - أن أعرف ما إذا كان للأفضل أو للأسوأ - قمت بإغلاق بعض المجتمعات الباقية التي لم تكن بعد أغلقت، وكذلك اتحادات الطلاب وجمعيات الخريجين تم إغلاقها، ولا أفتقد أيًا من هذا المؤسسات كثيراً - فقد كان يجب إغلاقها على أي حال، لكن سوف يكون هناك - بلا شك - شباب ونساء لطفاء لن يعرفوا ماذا يفعلون مع أنفسهم في المستقبل.

كان سوماكوف يزأر، متى سوف نحصل في أستونيا على كاتب مثل جوركي خاص بنا؟؟ لم أكن فعلاً قادراً على إعطائه إجابة على هذا السؤال.. اذهب واحصل على جوركي الذي تريد من حيث تريد.

كانت البرافدا تتخذ نغمة أليفة في وقت متأخر، فاليوم كانوا يكتبون عن مدى الروعة واللطافة عندما تهتز مؤسسات العالم، ويسقط العظيم منها.

بشكل ما كنت أتحدث إلى أعضاء حزب العمل المخضرمين في عطلة بالمنزل في بارنو، وقد كان الحوار متوقعاً، فقد أخبرتهم أن القادم قد يحسن حياتهم من الآن

فصاعداً.

حسناً قد حدث الآن شيء سيئ بالفعل؛ فقد تلقيت أمراً بأن أعلن قانونًا يغطي كل هؤلاء الخونة الذين يعيشون بالخارج، وكنت مضطراً لقول إن القانون سوف يكون له تأثير رجعي، فإذا لم تأتِ إلى الوطن في وقت جيد (مثلاً خلال أربعة وعشرين ساعة) سوف يتم قتلك فوراً مهما يكن المكان الذي أنت فيه.

في الخامس من أغسطس في منتصف الليل تم اعتماد توقيت موسكو، وأنا لا أعلم لكني أفترض أن هناك منفعة في تغيير الوقت كذلك.

(بالمناسبة، أنا ما زلت حياً)

كتب المخرج المسرحي كاريل أرد في مجلة نسائية أن دورانًا قد حدث في كل مناطق الحياة، فبدلاً من التجمل لدينا النضال، وبدلاً من الغرب لدينا الآن الشرق، وبدلاً من البريما دونا لدينا فتاة المصنع.

حسناً، كنت مضطراً لإغلاق كلية الدراسات الدينية في جامعة تارتوفليس، لديهم في روسيا دراسات دينية، ولا يسمحون لنا بذلك أيضا، وحقيقة يجب أن يتم السماح بها، لكن رأيي لم يعد ذا قيمة.

في روسيا، بعد ذلك بعامين، في الثامن من أغسطس ١٩٤٢ قتلت ماريا أوستن التي كانت اشتراكية ألمانية، ذهبت

للقتال في الحرب الأهلية الأسبانية مع كولتسوف (قتل في ١٩٤٠). وقد تم القبض عليها في أغسطس ١٩٤١؛ لذا كان بريخت ما زال يخطط لرؤيتها عندما سافروا عبر روسيا، وقد كان آخر اتصال له معها هو المذكرة الكتابية التي تلقاها عندما كان ينطلق في القطار السريع عبر سيبيريا من موسكو إلى فالديفوستوك في يونيو ١٩٤١: "سوف أكتب لك بعد ذلك عن كل شيء قد أنسى كتابته الآن، فقد ألبست جريتي الفستان الأسود الذي كانت ترتديه في الأيام القليلة التي قضتها هنا، وسيكون إحراق الجثث في الثالثة.. مع تمنياتي بالأفضل.. إلى اللقاء.. ماريا." وهما بالطبع لم يلتقيا مرة أخرى أبداً، حيث تم إعلان أن أوستن جاسوسة لألمانيا وفرنسا.

أخبرني بريخت أنه اكتشف ساونا فنلندية، وأنه يذهب إلى هناك باستمرار، وأنه يمارس الجنس مع بيرلو هناك. كان بريخت بالصدفة مرعوبا بشدة من الأنفلونزا، لكن حين ضربته روث بأغصان البتولا صار دافئاً، وقد كتب قصيدة سماها "الساونا والمعاشرة"، سجل فيها بالتفصيل كيف اقترب من بيرلوا من الخلف، بينما كانت تنحني على دلو وتلمسها مداعباً بين قدميها.

القفز في الماء البارد شيء لم يكن بريخت يحبه بالطبع، وهو لم يفعل ذلك.

إنهم يخططون لتقديم شيء ما من نوع جان دارك، وهي فتاة معاصرة تقاوم المحتلين الألمان، وبعدها توضع في مصحة

نفسية (أو مكان مماثل)، وعلى الجانب الآخر يفحص ستيفن قصصًا كتبتها هيلين ووليجوكي عن عم مدمن للكحول، أو رجل عجوز آخر يكون رجلاً صالحاً حينما يكون مخموراً، لكنه يكون سيئا عندما يكون متيقظاً، ففي الحالة الأولى هو إنسان وفي الثانية رأسمالي.

لكن الآن دعنا ننتقل لشيء أكثر إثارة..

عندما كنت أطير في يوم ما فوق مزرعة هيلا سمعت صرخة ذعر؛ فاتجهت لأسفل إلى الخمائل؛ لأقترب ورأيت نساء في حالة شجار.

كانت روث تصرخ: "سوف أعيش حيث أريد، وأنام حيث أريد، فماذا لدى جريتي ضدنا؟ إن علاقتهما الآن أفلاطونية تماماً."

ردت هيلا: "هذه مزرعتي ومنزلي، وسوف أقرر ما يحدث هنا! وجريتي ليس لديها شيء ضدك، لكن حاولي أن تفكري في هيلين كذلك! فهي لا تحب حقيقة أنك تنامين بجوار سريرهم على السجادة بملابسك! دون وسادة! وأنت تغطين وكذلك بريخت، وهي لا تستطيع أن تنال أي قسط من النوم، وفي الحجرة المجاورة لا تستطيع جريتي المسكينة أن تنام أيضا، وأنت تعرفين مدى سوء حالتها الصحية!"

تقول روث بعناد: "لكني لن أغادر، فلدينا الكثير من العمل لنقوم به، وأنت لا تعرفين ما سوف أفعله؟"

obeikandl.com

تصرخ هيلا: "لا، لا أعرف."

تتبجح هيلا: "سوف آخذ حقيبتي، وأنصب خيمة تحت شجرة التنوب هناك، ولن تستطيعي إيقافي خاصة مع كونك شيوعية."

في أستونيا قدمنا تسجيلات المنزل؛ فلا يمكنك بعد الآن أن تكون هنا وهناك في الوقت نفسه، ومالك المنزل سوف يضطر إلى تسجيله لأي شخص يريد الإقامة في منزله لفترة أطول من أربع وعشرين ساعة.

ليست روث مضطرة للتسجيل مع أي أحد بالخارج بالنسبة لخيمتها، وقد ذهب بريخت لهناك أيضا حيث كان صوت الآلة الكاتبة يكاد يكون مسموعاً.

عندما خرج بريخت استنشق رائحة الصمغ في نسيم الغابة، فانحنى أمام فرع ينمو بالقرب من الخيمة، وقال إنه في العالم، وفي حياته هناك حاليًا مرحلة مؤقتة.

لقد كنت مضطراً لحظر إرسال مذكرات عن أستونيا للصحافة الأجنبية.

ما لا يعرفه أنت أنه في اليوم نفسه – العشرين من أغسطس – يقوم ميركادر بزيارة إلى تروتسكي، كما لو كانت تظهر له مقالة.. تمت خياطة خنجر في بطانة معطفه، وكان لديه أيضا مسدس في جيبه، بالإضافة إلى معول جليد، وهو يستخدم الأخير.. ولا يموت تروتسكي على الفور كما

تخيل ميركادر، فقد اعتقد أنه سوف يكون عملاً روتينيًا، بدأ تروتسكي في العويل، لكنه مات في اليوم التالي، وهكذا أتم ميركادر مهمته بطريقة ما..

في مسرح "فانيموين" انعقد اجتماع للعاملين، حيث تم إقرار أنه لا الصداقة ولا الكره يجب أن تعرض في أثناء ساعات العمل، فالأصدقاء لوقت فراغك كالرفقاء، ومن المقترح أن التظاهر والتملق يجب أن يختفيا، وأن تضاف الكلمات "يحيا ستالين!". تبدأ الغارات الجوية على بريطانيا العظمى، كما انتشر مفهوم أنك ستاخانوفايت (وهذا يعني: أن تقوم بعمل أكثر مما تسمح قواك.)

بريخت يثرثر بشكل لا نهائي عن مسرحياته.. إنه بالخيمة في صباح ما مع بيرلو يمارسان الجنس، وبريخت بالفعل هو رجل للنساء، وفي أثناء ذلك يخطط لكتابة بضعة قصائد أيضا، وإحداها هكذا: "ابنتي الصغيرة / تعود للبيت في مساء ما مجروحة / فلا طفلة أخرى تريد أن تلعب معها، فهي ألمانية وعضوة في أمة اللصوص." وأخرى:"هذه هي السنة التي سوف يكون الحديث عنها أكثر، إنها السنة التي ستبقى مسكوتًا عنها." أو واحدة عن زوجته "ممثلة ولاجئة خادمة وسيدة."

حسناً أنا أنتقل بين الدول في بعض الأوقات عن طريق البحر، وبعض الأوقات بالطيران، وهنا في أستونيا أتقدم لنشر بحث ييفيموف المسمى "سوفسيتسكايا أستونيا".

تقف هيلا في شرفة منزل المزرعة، وتلعن المزارعين؛ لأنهم تركوا الثور في الخارج بين النباتات، وهذا يجب ألا يحدث ثانية! بالإضافة إلى أن الثور هو صورة الشيطان.

يستيقظ بريخت مبكراً، ويذهب للتمشية في الغابات وأنا أتبعه، البارحة سمعته يتمتم لنفسه: "مفهوم العظمة يحدد التأثير، فالعظيم هو من يكون له تأثير." ثم يرقد ويتدحرج لوقت طويل في العشب.. وأنا أخشى الأسوأ، وعلى الجانب الآخر اكتشفت الآن لماذا تقول بيرلو إن بريخت يشم الأرض.

لقد وضعنا إعلانًا في الصحيفة يوضح حقيقة أن تماثيل ستالين متاحة الآن، فالتماثيل بحجم اثنين وسبعين سنتيمترًا تتكلف ٢٥ كرون، والتي بحجم اثنين وثلاثين سنتيمترًا تساوي فقط ٦.٥ كرون.

المسرحية التي يخطط لها بريخت مع هيلا عن لورد المزرعة وسائقه (الأول هو الرجل الذي يكون طيباً عندما يكون مخموراً)، تظهر كلها أن البشر صالحون بالفطرة، وهو شيء يتمتم به بريخت مع أنفاسه. والشوفير بالطبع عضو من الطبقة العاملة، ولا شيء يمكن أن يمسك ضده؛ فهو من النوع الرجولي الذي يثرثر بالنكات وقت الضرورة.

يشرح بريخت لي هيجل ذلك الفيلسوف، الذي تحدث عن تناقضات السيد والخادم، والأمل الوحيد يكون للخادم، كالرجل الذي يؤدي العمل، وهكذا يحاول التطور، عندما

يكون السيد سيداً، وهذا كل ما يتطلبه الأمر، وهكذا سوف يبقى.

يجب على السفراء الأجانب مغادرة أستونيا قبل الخامس والعشرين من أغسطس! لا شيء لدي ضدهم شخصياً – فهم أشخاص مهذبون وهادئون – لكن لسبب ما لا يحبهم رئيسي.

يا لها من بلد ظريف، فنلندا! أنا أدردش مع الصحفي السويدي سفين لاندين، وهو أيضا يعتقد أن الصورة العامة لفنلندا حزينة، فهناك أطلال وعاجزون في كل المكان... ولا وجه واحد سعيد.

في أستونيا يقولون إنك يمكنك أن ترى وجوهًا سعيدة مع كل خطوة تخطوها.
وهذا ما قاله..

ووجوه حزينة أيضا، لكن كما يقول المثل القديم: إذا قمت بقطع الغابة يجب أن تتوقع أن تطير الشرائح.

يبدو بريخت موافقاً.

في مساء فنلندي بينما كنا نجلس تحت شجرة تنوب قديمة قال بتفكير عميق: "لا يمكنك أن تحصل على كل شيء في الحال، فإذا قدمت الكثير جداً من الخبز إلى الناس سوف يحدث شيء ما بشكل خاطئ."

بخصوص أي آثام محتملة لدى بريخت، فالأمر الجدلي التالي يقول: الاتجاهات المثمرة يمكن فقط أن تعمل بواسطة الأوغاد، ونادراً ما يحدث أن يكون الأشخاص الفاضلون في جانب التقدم.

ظل صامتاً لبرهة، ورقد على ظهره، ونظر لأعلى إلى أوراق شجرة البتولا، ثم قال إنه ربما لم يكن أبداً سعيداً كما كان وقتها، هنا في فنلندا.

بوصفي وزيرًا للداخلية كنت مضطراً لإنهاء الدراسات الدينية في المدارس الأستونية، لكني لم أفعل ذلك بنسبة ١٠٠٪ ضد ضميري الشخصي، فقد كنت دائماً أسأل نفسي عما إذا كانت الجنة ليست فارغة.. لا شك أنها كذلك.. من يستطيع الإجابة؟

قال لي بريخت إن إبداع فن هو شيء يثري حياة الأشخاص، وقد رأى أن كتابة الشعر هي ممارسة اجتماعية بالرغم من كل مفارقاتها وعدم استقرارها وحتميتها التاريخية وصنع التاريخ.. ومن المفترض أن يكون هناك شكل ما من الاختلاف بين الانعكاس والإمساك بمرآة عالياً لشخص ما.. لقد كنت مضطراً أن أعرف بنفسي عناوين الكتب المطلوبة للتدمير، هناك اثنان منها. قال بعض الناس إني قمت بتهريب المجوهرات إلى روسيا قبل أن أهرب إلى بلغاريا، قد يكون هذا صحيحاً، لكن يحتاج ألا يكون، وقد قيل إنهم عاقبوني بالموت، وإذا فعلوا ذلك يمكنهم تنفيذ العقوبة، وقد يكون من السهل تنفيذها.

obeikandl.com

الفصل السادس

obeikandl.com

obeikandl.com

ـ فصل آخر من الوثائق ـ

حول الكاتب فاريس (باربا‌روس) عند وصول قوات الجيش الأحمر إلى أستونيا؛ من أجل موضوع المقترح الذي يعرض على مجلس الوزراء الأستوني.

١٩٤٠

يعتقد باربا‌روس أن أستونيا تعيش الآن في فترة اختراق، وهو سعيد بمجيء الوقت الذي تكون فيه جميع الأفكار التي ظلت تقاتل بكل قوتها لعشرين عاماً منتصرة الآن، وهو يقول إن وصول الجيش الأحمر قد تم قبوله من السكان بشكل كبير من الهدوء والتفهم.

السكان خائفون من التأثير الألماني؛ لأن ألمانيا كانت معادية للأستونيين لقرون؛ لذلك فأي أحد غير الألمان مرحب به، وجميع السكان والعاملون والمزارعون والنخبة المثقفة للطبقة الوسطى يفهمون أن الاتحاد السوفيتي هو البلد الوحيد، الذي يحترم حقوق الشعب الأستوني، ويمكنه ضمان سيطرتهم.

obeikandl.com

بين أعضاء الحكومة القديمة كان هناك أشخاص مبجلون ومهذبون، لكنها كلها كانت رجعية، ولم تكن كما ينبغي، فلم تكن هناك ديموقراطية، والعلاقات مع الاتحاد السوفيتي كانت موالية بالمصطلحات الرسمية.. في الحقيقة كان غير مفهوم كيف خطط الاتحاد السوفيتي لتوقيع اتفاقية مع مثل هذه الحكومة، التي وقفت دائماً موقفًا عدائيًا من روسيا السوفيتية.

يستعد باربا روس للعمل من أجل خير أمته وتقوية العلاقات الودية معنا، لكنه يشعر أنه غير مستعد لمنصب رئيس الوزراء.

فهو يخشى أن هذا التغيير سوف يكون حادًا جداً، فلاثنين وعشرين عامًا قامت طبقة الأثرياء الحاكمة بالكثير جداً لتقوية الشوفينية الأستونية، ولهذا السبب ليس مفهوماً - في عيون الأستونيين - أن يتم تعيين كاتب وشاعر بوهيمي الطباع في مثل هذا المنصب المهم، ومن المحتم ألا يتم إزعاج توازن الشعب الأستوني.. بعيداً عن ذلك، فهو شخص حساس تنقصه قوة الإرادة، وربما لا يقوم دائماً بإعطاء أوامر وقت الضرورة.

باربا روس مستعد.. والاتجاه الذي سيتخذه واضح، لكنه يعد ضروريًا - بصرف النظر عن كل الاعتبارات الملخصة أعلاه - ألا يرفض قيادة الحكومة.

إنه شاكر للشرف والثقة الموضوعة فيه، وقد قام بالمقترحات التالية: رئيس وزراء أو نائب رئيس وزراء – الأستاذ كروس، وزير خارجية أو وزير شئون اجتماعية – أندرسن، وزير تعليم الشعب – سيمبر، وزير الداخلية – أنت، وزير العدل – جوبير، وزير الخارجية أو سفير إلى الاتحاد السوفيتي – فارمان، وزير الزراعة – بول، وزير النقل والاتصالات – ماديسون.

Rossiyski tsentr Hraneniya I Izucheniya Dokumentov Noveishei Istorii. F. 77 (A s. 124., n. 3،Zhdanov)

قصيلة بريخت رقم ١

حتى لا يفقدوا خبزهم اليومي في أوقات القمع المتزايد يختار بعض الأشخاص عدم قول شيءٍ عن جرائم النظام، بينما يظل الاستغلال في المكان، وبدلاً من ذلك لا تنتشر أكاذيب النظام، على سبيل المثال ألا يفرض أي شيء، لكن ما زال البريق عليهم، وما حدث سابقاً يبدو فقط مؤكداً أنه مصمم حتى في أوقات زيادة القمع ألا يفقد حياته، لكنه في الحقيقة مصمم على ألا يفقد خبزه اليومي..

نعم فقراره هذا ليس لقولٍ كذبة تجبره من الآن، من الآن فصاعداً على البقاء صامتاً عن الحقيقة، وهذا يمكن بالطبع أن يستمر فقط لفترة قصيرة، لكن في هذا الوقت أيضا بينما ما زالوا يعملون محررين أو موظفين حكوميين في المعامل والمصانع، ولأن الناس الذين لا ينطق لسانهم

بأي كذب يبدأ ضعفهم، فذلك الذي يغلق عينه أمام منظر الجرائم الدموية، يمنحهم مظهرًا خادعًا بالاحترام، فهو يجعل الفعل الرهيب شيئاً غير بارز كالمطر، وأيضا حتميًا كالمطر، وهكذا يمنحهم الدعم بصمته، قريباً سيلاحظ أنه حتى لا يفقد خبز يومه ليس فقط مضطراً للبقاء صامتاً عن الحقيقة، لكن أيضا الكذب.

لا يرحب به الظالمون دون فظاظة، فذلك غير المستعد لفقدان خبز يومه لا يذهب مثل شخص يأخذ رشوة؛ لأنه لا أحد يعطيه أي شيء ولا يأخذ منه أي شيء، فعندما يكون المادح واقفاً على طاولة أصحاب السلطة تنفتح الدموع كبحر، ويمكنك رؤية بقايا الوجبة في أسنانه، كما يمكنك الاستماع إلى مديحه المشكوك فيه، لكن مديح شخصٍ ما كان البارحة فقط ما زال محل نقد، ولم يكن مدعواً إلى الوليمة - يساوي أكثر، وهو بعد كل ذلك صديقاً للمظلومين، فهم يعرفونه، وما يقوله يكون، وما لا يقوله لا يكون، والآن ها هو يقول إنه لا يوجد قمع..

الأفضل حين يقوم القاتل بإبعاد أخي الضحية الذي اشتراه؛ حتى يؤكد أن أخاه لم يقم بقتله بل انهيار السقف، يبدو واضحاً أنها كذبة بسيطة لن تساعد في أخذ شخصٍ ما لا يريد؛ ومن ثم يكون فقدان خبز يومه بعيداً جداً، فهناك الكثير مثله، وقريباً سيدخل في طابور معركة قاسية، يقاتل فيها كل هؤلاء الذين لا يريدون فقدان خبز يومهم، فليس كافياً أن تكون عندك الإرادة لقول كذبة، فالمهارة

مطلوبة والعاطفة أيضا، كثيرًا ما تقوم الرغبة في عدم فقدان شخص لخبز يومه بإقحامه في رغبة تجعله يعطي معني لأكبر كمية من الهراء، وذلك بقول ما لا يمكن أن يقال، وهذا يعني أنه يجب أن يمدح الظالم أكثر من الأشخاص الآخرين؛ لأنه مشكوك في أنه قام ذات مرة بإهانة القمع؛ لذلك فهؤلاء الذين يعرفون الحقيقة يصبحون كاذبين سمجين، وكل ذلك يبقى حتى يأتي شخص ما يسترجع الأمانة والكرامة المفقودة؛ ومن ثم يفقدون خبز يومهم.

صفحة من قائمة الكتب التي يجب تمزيقها في أستونيا

ج. بيرسن *الحرب القادمة*، تالين، اس بي ايه كيه، الاتحاد الأستوني ١٩٣٢، ٧٩ صفحة.

ج. بيرسن *من أجل مستقبل أفضل*، النسخة الثانية التي تمت مراجعتها، تالين اس بي ايه كيه، الاتحاد الأستوني ١٩٣٢، ١٥٠ صفحة.

بلاكستون *المسيح قادم*، ريجا، ناشرون يقظون، ١٩٢٤– ١٩٢٨، ٤٥ صفحة.

هـ. بلان *الثعبان الأحمر*، نتاين، ناشرون أولي،١٩٢٤– ١٩٢٨، ٤٥ صفحة.

ا. بلومفيلدت *تاريخ الغرب*، تارتو، المجتمع الأدبي الأستوني ١٩٣٨، ٥٧ صفحة. المجلد الثامن من *أستونيا: مقاطعة لا نيما*.

ج. بوجاجيفسكي *تحضير الصوامع* مع ١٧ رسما توضيحيا، لينينجراد، ١٩٣١، ٦٨ صفحة.

ب. بولمان *الطريق الثالث دراما من أربعة مشاهد* (الجزء الخامس)، تالين، المجتمع التعليمي الأستوني، ١٣٦،١٩٣٢ صفحة.

ر. بورجلين *تحت علم دانيبورج، السلام والحرب* المجلد الأول *السلام*، تالين، ناشرولوسالو، ١٣٦،١٩٣٤ صفحة.

ر. بورجلين *تحت علم دانيبورج، السلام والحرب*، المجلد الثاني *الحرب*، تالين، ناشرولوسالو، ٣٢٠،١٩٣٤ صفحة.

ت.براكس أبطال إيجل هيل مسرحية حربية من مشهدين، تالين، المجتمع التعليمي الأستوني، ١٩٣٥، ٣٩ صفحة.

ا. بريشو-بربشوفاسكايا، *ماذا يجب أن يفعل في الجمعية التأسيسية؟*، تالين،١٢،١٩١٧ صفحة.

أ. بريجادير *القبض الكبير، كوميديا من خمسة مشاهد*، تالين، المجتمع التعليمي الأستوني،١٩٣٤، ١٥٥ صفحة.

أ. بوبنوف *لحظة مهمة في تطوير الحزب الاشتركي في روسيا*، سانت بطرسبرج، الفرع الأستوني للحزب الاشتراكي الروسي، ١٩٢١، ٤٦ صفحة.

ج. بوتشان *الخطوات التاسعة والثلاثين*، تارتو-تالين، ناشرولودوس، ١٩٣٩، ١٥٩ صفحة.

obeikandi.com

م. بوش *تاريخ الصحوة في أبرشية ريدالا*، التجمع البابوي بريدالا، ١٩٢٨، ١٣٢ صفحة.

د. بوخوفدن *كيف قمت بحماية نفسي من الهجمات الغازية*، تالين، مراكز رابطة الدفاع، ١٩٢٨، ٤٨ صفحة.

أ. كارنيجي *العاصمة والعمل، مشاكل من الزمن المعاصر*، بارنو، ناشروكيري، ١٩٢٢، ١٣٨ صفحة.

أ. كريستي *العدو السري، رواية جريمة*، تالين، ناشرو جوتوليهت، ١٩٣٣، ١٤٠ صفحة.

ر. كودينهوف-كاليرجي *رابطة عموم أوروبا، المجلد الأول*، ناشروبان أوروبا، ١٩٢٩، ١٢ صفحة، نص الكاتب في النهاية.

ر. كودينهوف-كاليرجي *إجمالي الدولة – إجمالي الفرد*، تالين، اتحاد الناشرين الأستونيين بتالين، ١٩٣٨، ١٥٨ صفحة، ١٩٢٩، ١٥٨ صفحة. (.....)

قصيلة بريخت رقم٢

عندما أمر النظام أن تحرق الكتب ذات المعرفة الخطيرة علناً، ومن كل مكان كانت الثيران مضطرة لأخذ عربات الكتب إلى النيران، وقد صدم شاعر لاجئ، وهو من أفضل الشعراء، حينما نظر إلى القائمة أصابه الغضب؛ حيث رأي أن كتبه ليست فيها، فاندفع إلى مكتبه وهو مملوء بالثورة، وكتب خطاباً للسلطات أن: أحرقوني! كما كتب وكان قلمه

obeikandl.com

يطير على الأوراق.. أحرقوني!

لا يهمني! لا تتركوني! ألم أخبر دائماً بالحقيقة في كتبي؟ والآن تعاملوني ككاذب! أنا آمركم أن تحرقوني!

آراء المحاضر فيلاتوف من المعهد التربوي سلافيانسكي فيما يتعلق بالبروتوكول السري لاتفاقية مولوتوف- ريبنتروب.

إلى نائب رئيس الجنة السوفتية العليا لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفتية، أ. لوكيانوف.. حيث إن ردك فيما يتعلق بالمعاهدة الموقعة في ١٩٣٩ يقلق كل المواطنين السوفت، الذين ما زالوا يحافظون على المبادئ الشيوعية اللينينية. أرجوكم اسمحوا لي أن أجذب انتباهكم إلى الحقائق التاريخية التالية....

الشائعات التي تقول بأن هناك ملحقًا مرفقًا ببروتوكول الاجتماع بين ألمانيا والجمهوريات الاشتركية السوفيتية - خرافة وتزييف، كانت قوى ماكرة في الغرب تحاول مراراً وتكراراً نشرها في الأربعين سنة الماضية؛ لتتلائم مع مخططاتهم الإستراتيجية.

عند التخطيط لمهاجمة الاتحاد السوفيتي تصور هتلر احتلال دول البلطيق أيضا، وهناك دليل على هذه الصيغة قبل الحرب...

إذا تخلى هتلر عن خططه لدول البلطيق (وهو شيء مع ذلك غير متوقع)، وإذا حافظت الدول على سيطرتها المزعومة بوصفها جمهوريات بورجوازية - سوف يصبحون حلفاءه في حالة هجموه على الاتحاد السوفيتي.

هناك وثائق تاريخية توضح أن كل الحكومات (مثل أستونيا وليتوانيا) مؤيدة للفاشية؛ فلديهم اتفاقات سرية، ليس فقط مع بريطانيا العظمى، لكن مع ألمانيا الفاشية أيضا، فهم لم يلاحظوا ببساطة الشروط المتعلقة بالطوق الصحي في مقابل جمهوريات الاتحاد السوفيتي، لكن نادت صراحة على الغرب لإعلان الحرب على الاتحاد السوفيتي.

تُظهر الوثائق أن حكومات بلاد البلطيق البرجوازية تعيش في عزلة تامة عن سياسات هتلر، وتنوي أن تشارك في تمزيق الاتحاد السوفيتي، حتى بتسمية امتدادات المقاطعة التي طالبوا بها.

(من الجريدة اليومية نورتي هال)
قصيلة بريخت رقم٣
المهاجرون

لقد وجدت دائما أن الاسم الذي يسموننا به خطأ المهاجرين؛ لأنه يعني الناس الذين هاجروا، أما نحن فلم نغادر بلادنا طواعية مختارين إلى بلد آخر نعيش فيه، لكننا هربنا.. نحن لاجئون، أشخاص منفيون، والأرض التي قبلتنا لن تصبح وطنًا لكن منفى.. فنحن نجلس هناك قلقين

بأقرب مكان ممكن من الحدود، منتظرين يوم العودة، نشاهد أصغر تغيير عبر الحدود سائلين بلهفة كل قادم جديد، ولا ننسى أي شيء، ولا نقلع عن أي شيء، ولا نسامح في أي شيء يحدث، لا نسامح.. لا، فالهدوء الحالي لا يخدعنا، حتى هنا يمكننا سماع الصرخات الآتية من المخيمات من هناك، فنحن نتشبث بالشائعات التي عبرت الحدود، وكل منا يمشي عبر الحشود مع أحذية تحمل شهادة على الفضيحة التي تلوث بلدنا الآن، لكن لا أحد منا سوف يبقى هنا، والكلمة الأخيرة لم يتم قولها بعد.

البروتوكول السري بنفسه

١٣ أغسطس ١٩٣٩

بمناسبة توقيع معاهدة عدم التعدي بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاشتراكي وألمانيا كان هناك حديث عن بروتوكول إضافي سري مُوقَّع من الأشخاص المصرح لهم بشكل كامل من كلا الطرفين، يحدد نطاقات التأثير في أوروبا الشرقية، وكانت نتائج المفاوضات في هذه المنطقة كالآتي:

١) في حالة إعادة التنظيم الإقليمي والسياسي لدول البلطيق (فنلندا، أستونيا، لاتفيا، ليتوانيا) فإن الحدود بين نطاقات التأثير لكل من ألمانيا والاتحاد السوفيتي سوف تكون الحد الشمالي لليتوانيا، وكلا الطرفين يقر بالمصالح في منطقة فيلنيوس.

obeikandl.com

٢) في حالة إعادة التنظيم الإقليمي والسياسي سوف يتم حد مناطق بولندا التي تلتحق بنطاق تأثير ألمانيا والاتحاد السوفيتي بالأنهار نارو وفيستولا وسان.

فيما يتعلق بالسؤال ما إذا كانت هناك مصالح لكلا الطرفين من أجل الحفاظ على بولندا مستقلة، وإذا كان كذلك فأين ينبغي أن تكون حدودها.. سوف يتم تحديد ذلك بواسطة التطورات السياسية المستقبلية.

في أي حالة سوف تقرر كلتا الحكومتين إجابة هذا السؤال عن طريق الاتفاق الودي.

٣) انطلاقًا من أوروبا الجنوب شرقية فإن الاتحاد السوفيتي يؤكد حقوقه في بيصربيا، وألمانيا تعلن بنفسها أنها ليس لها أي مطالبات في هذه المنطقة.

٤) كلا الطرفين سوف يحافظ على السرية المطلقة فيما يتعلق بهذا البروتوكول.

موسكو، ٢٣ أغسطس ١٩٣٩

عن الحكومة الألمانية – عن الحكومة السوفيتية

ج. ريبينتروب – ف. مولوتوف

. DGFP. Ser. D. Vol VII. P. 246–247

مترجمًا من اللغة الانجليزية.

(من الجريدة الأستونية الشهرية لومنج)

قصيدة بريخت رقم ٤

قناع الشر

على معلقات جدراني هناك نحت ياباني يمثل قناع شيطان الشر مرسوماً بالبلاك الذهبي، وقد تحركت عندما رأيت الأورمة المتوردة للحاجب، التي توضح مدى المجهود الذي تحتاجه لتكون غاضباً.

مقتطفات من كتاب تفسير العبارات الشائعة الذي عرض للطبع في ٩ يونيو١٩٤٠.

قل الحقيقة... إذا لم تكن تعرف... قل: لا أعرف.. يجب أن تعرف.. يجب أن تطيع!.. يجب أن تنظر!.. أنت لا تقول الحقيقة!.. اهدأ.. توقف!.. استسلم!.. ترجل عن جوادك!.. ارفع يديك!.. اخرص.. إذا لم تصمت فسوف أقتلك!... من أي اتجاه تتوقع أن تهاجم طائراتنا؟.. هل هناك أي حمام زاجل؟.. ما نوع القنابل التي عندهم؟

Otkuda pozvozyat prodovolstviye?	**من أين يأتي الطعام؟**
Sobat’ i dostavit’	**اجمعها وأحضرها**
syuda korov (ovets)!	**الماشية (الماعز) هنا!**

onerkan.com

Ne boites’ krasnoarmeitsev!	ألا تخشى جنود الجيش الأحمر؟
Za vse vzatoye u zhitelyei	كل شيء أخذ من السكان
voiska Krasnoi Armii zaplatyat!	سوف يدفع ثمنه الجيش الأحمر!
Sobrat’ zhitelyei dlya	اجمع السكان
ispravleniya dorogi!	لإصلاح الطريق!
‹Provedite nas tak chtoby nikto ne zametil.	خذنا من طريق حيث لا يرانا أحد
Prinesite toplivo!	أحضر الوقود
‹Yesli sprachite my sami budem iskat’!	إذا أخفيته فسوف نبحث عنه بأنفسنا!
Gde imeetsya restoran?	أين المطعم؟
Gde mozhna kupit’ sakharu konservov)? ‹(myaso	أين يمكنك شراء السكر (اللحم، البضائع المعلبة)؟
Yest’ li luchshe?	أليس هناك أفضل من هذا؟
Yest’ li yeshcho?	أليس هناك أكثر من هذا؟

oberkandi.com

قصيلة بريخت رقم ٥

الربيع الثالث

في شجر الصفصاف على صوت البومة التي تصرخ في مساء الربيع تقول الخرافة القروية إن صوت البومة يخبر الناس هكذا أنهم يجب ألا يشتاقوا للحياة، وأنا أعرف جيداً أني قلت الحقيقة عن أصحاب السلطة، ولا أحتاج بالفعل لطائر الموت هذا ليخبرني ذلك.

أين اختفى كل هؤلاء؟

في الثلاثين من يوليو١٩٤٠، ذهب باتز مع ابنه فيكتور (الذي كان عضواً في الريجيكوجو، وهكذا انتمى لمجموعة مسئولي الحكومة الرسميين)، وابنته في النسب هيلجي إلى مدينة يوفا في روسيا بواسطة أمر إداري تأديبي، وكانت الخادمة المحلية أولجا توندر تسافر معهم بإرادتها الحرة.. وفي ٢٦ يونيو قُبض على كل عائلة باتز، وأخذوا إلى السجن الداخلي للجمهورية الاشتراكية السوفيتية المستقلة بشكير، التي كانت تدار بواسطة مفوض الشعب للأمن، وتقع في مدينة يوفا، وقد تمت إدانة قنسطنطين باتز بالجرائم المذكورة في الفقرة ٥٨-٣، بند ٤ من الدستور الجنائي، وقد حاول الرئيس في عدد من المناسبات أن يحصل على تصريح بترحيله هو وعائلته من البلد؛ حيث كان قلقاً جداً على الحالة الصحية لحفيده، وقدم عرضًا بأنه قد يتم مبادلته بتالمان أوراكوزي، لكن رفض عرضه، وهكذا مات الطفل الصغير.

في ١٤ سبتمبر ١٩٤٢، أُخذ الرئيس مع ابنه فكتور إلى موسكو؛ حتى تستمر التحقيقات، وقد يتم التحقيق معهما من قِبل لجنة الغرفة الخاصة، وبعد حدوث التحقيقات تم إرساله لفترة إلى السجن الداخلي في مدينة كيروف، وفي ٢٤ مارس ١٩٤٣، ودون أي قرار من المحاكم وضع تحت الحجر الصحي في المصحة النفسية المغلقة في كازان (تاتراستان)، وفي جلسة خاصة للجنة الغرفة الخاصة في ٢٩ أبريل ١٩٥٢ تمت مراجعة قضيته، وخضع ثانية للحجر الصحي، وقبل هذا الوقت قضى باتز تسعة سنوات في مصحة نفسية مغلقة تحت إدارة خاصة، ولم يحدث ذلك لابنه فكتور.

ملحوظة المترجم: تم استبدال الإنجليزية بالأستونية هنا.
بعدها في أرض الحياة تم القبض عليه في سجن إيفانوفو، وعقب ذلك كانت وفاته في ٤ مارس ١٩٥٢ بسجن بوتيركا في موسكو.

أراد أعضاء مفوضية الشعب للداخلية أن يجندوا فكتور باتز مساعدًا لها، واستخدامه بصورة أو بأخرى، لكن طبيعته الفخورة والثابتة لم تسمح له بعمل مفاوضات، وهكذا دفع ثمن هذا مع زوجته (.....).

في يونيو ١٩٤١ مباشرة عقب القبض عليه، وإرساله إلى سجن بنسا تأثر فيكتور باتز بشكل سيئ جداً بالحكم غير القانوني، من ثم حاول أن ينهى حياته بضربه على رأسه مراراً وتكراراً في حائط زنزانته.

في ١٥ نوفمبر ١٩٥٤ غيرت اللجنة المركزية قرار اللجنة الخاصة بقنسطنطين باتز، وفي ٨ ديسمبر من العام نفسه تم إيقاف الحجر الصحي عليه، وتم إرساله إلى المصحة النفسية العامة في جوميجالا بموطنه أستونيا، ي هذه الحال لم يكن ليبقى هناك طويلاً؛ ففي ليلة ٣١ ديسمبر ١٩٥٤ تم إرساله إلى مدينة كالينين (تفير، على نهر فولجا في روسيا)، وهناك شاهد العام الجديد الذي كان آخر أعوامه.. في يومياتي كتبت القصة التي أخبرني بها سائق السيارة البوبيدا الزرقاء الموضحة كيف أُخذ باتز من جوميجالا في ليلة رأس السنة.

تم ترحيل رئيس هيئة أركان القوات المسلحة الأستونية ج. لايدونير، مع زوجته ماريا من أستونيا في ١٩ يوليو ١٩٤٠، وقد تم هذا عن طريق رئيس لواء متابعة مفوضية الشعب للشئون الداخلية لجمهوريات الاتحاد السوفيتي، وهو نقيب المخابرات فالديوروف، وأُخبر لايدونير أن هذا المنفى قد يطول لبعض الوقت حتى نهاية الحرب؛ من أجل أمنه الشخصي. كان لايدونير يعيش خارج أستونيا، في ٣٨ شارع جوجول بمدينة بنسا في منزل مستقل من خمسة غرف، وقد أمر بعمل تقرير أسبوعي لمفوضية الشعب للشئون الداخلية، ومُنح معاش للايدونير.. كما قام بالقراءة كثيراً هناك، وتابع سير الحرب في أوروبا. (.....)

في اليوم الرابع بعد اندلاع الحرب ضد ألمانيا أي في ٢٦ يونيو ١٩٤١ تم القبض على لايدونير؛ بناء على توصية

مفوضية الشعب للشئون الداخلية لجمهوريات الاتحاد السوفيتي، وقد تم اقتياده إلى سجن أولابست الداخلي ببنسا، الذي كان تديره مفوضية الأمن القومي، حيث بقى محتجزاً حتى يوليو ١٩٤٢، وقد أرسل ملفه فيما بعد إلى لجنة الغرفة الخاصة في موسكو للفحص، بينما تم اقتياده إلى سجن بوتيركا، وفشلت اللجنة في نظر قضيته، وأرسل لسنوات عديلة إلى السجن الخاص بمفوضية الشعب للشئون الداخلية في مدينة إيفانوفا.

وصلت الحرب لنهايتها، وبحلول ذلك الوقت وصل لايدونير إلى حالة وضيعة، وعانى من التيفوس كما عانى من نوبة قلبية، وفي صيف ١٩٥١ أصبحت حياة السجن لا تطاق بالنسبة له، وتم احتجازه في الطابق الثالث من السجن، ولم يقم بتمرين؛ حيث كان صعباً على الرجل العجوز أن يصعد السلالم؛ لذا قرر لايدونير أن يكتب إلى ستالين، فحين كان لايدونير جزءًا من وفد إلى موسكو في ١٩٣٩ التقى ستالين الذي قال له: "إذا كنت في ظروف صعبة يوماً ما في الاتحاد السوفيتي اتصل بي مباشرة، وسوف أساعدك.". تذكر لايدونير هذا؛ ومن ثم طلب الجنرال الأبي من القائد العام أن يجعل الحياة أسهل له ولزوجته، التي كانت في السجن نفسه في الوقت نفسه، لكن ستالين لم يفِ بوعده؛ فكتب رداً على خطاب لايدونير قراراً يتعلق بحجة لايدونير: "أيها الرفيق جولوفانوف، قم بترتيب تعديل للمجموعة." وبعدها بتسعة أشهر في ٤ أبريل ١٩٥٢ أرسل ليفين جنباً إلى جنب مع قرار ستالين: "للتقديم بناء

على أمر السلطات يجب أن يقدم لايدونير لمحاكمة."

أضيفت هذه المذكرة بعد أن تم اقتياد لايدونير من سجن إيفانوفا في بوتيركا من أجل ذلك، وبدأ التحقيق المكثف فوراً.. وعندما وصل إلى بوتيركا أخذت كل متعلقاته الشخصية منه، وكتاب الحرب الشمالية، بالإضافة إلى قصاصات كتابية كانت مخفاة في مقدمة حذائه الأيسر، وفي حشوة الكتف الأيسر لسترته؛ مما أحبط مزاجه بشكل واضح، وقد حاول في علة مناسبات استعادة بعض الحريات البسيطة.

بين السابع والثاني والعشرين من مارس ١٩٥٢ تعرض لايدونير للتحقيق أربع عشرة مرة، وفي الثامن من مارس ذكر الطبيب أنه يجب أن يرتاح في السرير، لكن التحقيقات الليلية استمرت. ومع ذلك وصلت لنهايتها عندما صار لايدونير مريضاً جداً، وفي ١٦ أبريل ١٩٥٢ اتهمت لجنة الغرفة الخاصة جوناثان لايدونير بأنه "مناضل نشط ضد الحركة الثورية، وبالنشاط المعادي لمصالح الاتحاد السوفيتي. وعقوبة هذه التهمة هي السجن لمدة ٢٥ سنة."

ولأنه مجرم خطير أرسل ليقضي عقوبته في مدينة فيلاديمير؛ حيث السجن الخاص بمفوضية الشعب للشئون الداخلية، وهناك قضى الرئيس السابق للقوات المسلحة الأستونية آخر سنوات حياته. ثمة تقرير قدمه حاكم السجن الثاني كاربوف والسجان الموقع رقم ١ أرخيرييف بتاريخ ١٣ مارس ١٩٥٣، وينص على: أنه "في هذا الشهر بالزنزانة

رقم ٢١٥، سجين رقم١١، توفى المتهم وفقاً للقانون الجنائي الاتحادي لروسيا فقرة ٥٨-٤ والمعاقب بخمسة وعشرية سنة سجن."

عند موت لايدونير كتب رئيس المخابرات في سجن فلاديمير الكولونيل جورافليوف إلى رئيس مخابرات السجن في وزارة الأمن بالاتحاد السوفيتي بيفسينين قائلاً: "أود اخبارك بأن السجين رقم ١١ المولود في ١٨٨٤ قد مات في ١٣ مارس ١٩٥٣." وسبب الوفاة المقدم كان سكتة قلبية بسبب نزيف دماغي ثانوي.

في ١٤ مارس ١٩٥٣ في الثامنة إلا الربع مساء قام أعضاء من العاملين بالسجن، وهم الملازم فوروبيوف والرقيب أول بورانوف والرقيب زيمسكوف - بدفن السجين رقم ١١ بمقبرة فيلاديمير في قبر مشترك مع رئيس وزراء الحكومة البولندية في المنفى بلندن جان ستانيسلويانكوفسكي، الذي توفي في اليوم نفسه، وقد كانت عقوبته ثماني سنوات وفقاً للفقرة ٥٨-٨ ب.

وفي أثناء الوقت الذي سجن فيه ببنسا وإيفانوفا وفلاديمير وبوتيركا كان يشار إلى لايدونير بالسجين رقم ١١، وقد دفن وهو يحمل الاسم نفسه، بينما بقى اسمه سراً.

تلقى الكولونيل الصغير جورافليوف رداً من الكولونيل كوزنيتسوف من قسم السجون بوزارة الداخلية بالاتحاد السوفيتي، وكان الرد موضوعاً في مظروف كتب

عليه "خاص وسري" وقال: "الملف الشخصي للسجين رقم ١١ يجب أن يحفظ في خزنة مكتبك."

وقد كان صعباً فيما بعد، بل تقريباً مستحيلاً - أن تحدد المكان الدقيق لدفن لايدونير، ففي هذه الأيام لم يكن الناس الذين يأخذون سجناء يسجلون عند المتعهدين، ولم تكن أرقام القبور مسجلة، وفي هذه القبور كان سكان مدينة فيلاديمير مدفونين أيضاً.

ريجيفانم (رئيس الوزراء) ومعه ف.اكيل (الذي كان أيضا وزيراً للخارجية) تم القبض عليه من قبل أعضاء مفوضية الشعب للشئون الداخلية في ٧ أكتوبر ١٩٤٠، وأطلق عليه النار في الثالث من يوليو ١٩٤١، وكان مثواه الأخير غير معروف للأسف، وقد كان فريدريك أكيل آخر مسئولي الدولة السابقين في الجمهورية الأستونية، الذين قتلوا رمياً بالرصاص قبل أن يبدأ ترحيل المقبوض عليهم، وقبله قتل أربعة من مسئولي الدولة القياديين، وفي اليوم الثاني من الحرب أي ٢٣ يونيو ١٩٤١ قتل عضو الريجيكوجو (البرلمان) رودولف ريفيز ووزير النقل أوتوشتيرنبيك، وبعدها بأسبوع أي في ٣٠ يونيو ١٩٤١ تبعهم وزير الحرب أدواندركوب وألكسندر تونيسون.

قبض على القنصل الأستوني في تركيا أرنست فيبرمان (الذي كان أيضا وزير التجارة والصناعة) من قبل الشيكا في العشرين من ديسمبر ١٩٤٠، وفي اليوم التالي وهو يوم ميلاد ستالين قام بإنهاء حياته بالانتحار في سجن تالين.

إذا تصفحت القضايا الجنائية التي تعاقب فيها لجنة الغرفة الخاصة الناس بالموت رمياً بالرصاص يمكنك أن تجد أشخاصًا لم يكونوا أحياء عندما تم الحكم عليهم، ففي يناير ١٩٤٢ أرسلت مادة من مخيم فياتكا إلى موسكو للاطلاع عليها من قبل لجنة الغرفة الخاصة والمتعلقة بعضو الريجيكوجو الزعيم الإقليمي في مقاطعتي فيلجانديي وتارتوهندريك لوري، وقد أوصى القائد أن يقتل لوري رميا بالرصاص، وفي فبراير من العام نفسه مات هـ. لوري بسبب مرض في الأمعاء (وقد دفن في مقبرة موقع المخيم السابع في قرية ليسنوي في منطقة كرايسك من كيروف أوبلاست)، وبعدها بأربعة شهور (في يونيو ١٩٤٢) أصدرت لجنة الغرفة الخاصة أمراً بأن يتم إعدامه رمياً بالرصاص.

وحدث العكس أيضا: شخص ما يعاقب بالسجن، عندما يكون في الحقيقة قد مات رمياً بالرصاص، وقد حدث هذا لوزير النقل أوتوشتير نبيك الذ ذكرناه أعلاه.. وقد أرسل طلب عفو إلى رئاسة اللجنة السوفيتية العليا في الجمهورية الروسية السوفيتية الاشتراكية، التي خففت عقوبة الإعدام إلى ملة عشر سنوات في السجن (حتى ١٩٤٧ كانت عشر سنوات هي أقصى ملة للسجن، وفي العام نفسه رفعت الملة إلى خمسة وعشرين عامًا، وفي ١٩٥٠ أعيد تقديم عقوبة الإعدام، بينما لم يتم تقليل ملة السجن - ملحوظة الكاتب).

لم يكن الإعدام من قبل فرقة إطلاق النار لمسئولي الحكومة الأستونية في مخيمات العمل عام ١٩٤١ شيئا نادرًا.. وذلك بالنسبة للخمسة المذكورين أعلاه، ففي الأيام الأولى للحرب تم إطلاق النار على مسئولين حكوميين آخرين: كان الأول من سبتمبر ١٩٤١ آخر يوم في حياة مطران الكنيسة اللوثرية الأستونية، وهو جوبرنهارد راهاماجي (في كيروف)، وعندما تفكر أن راهاماجي قد كان أيضا وزير التعليم فإن إعدامه في الأول من سبتمبر يعد أمراً مثيرا للتساؤل، وبالمدينة نفسها في يوم ميلاد ستالين الحادي والعشرين من سبتمبر اغتيل عضو الريجيكوجو ألكسند أوسيبوف.

وقد بدأ إطلاق النار على سجناء السجون ومخيمات العمل في أبريل ١٩٤٢.(...)

معظم مسئولي الحكومة في الجمهورية الأستونية مدفونون في مدينة سفيردلوفسك.. في أثناء العقد الرابع والخامس والسادس من القرن العشرين تم تحويل الأورال إلى مخيم عمل ضخم لجمهوريات الاتحاد السوفيتي، وداخل مقاطعة منطقة سفيردلوفسك وصل العدد إلى مائتين من سجون الجولاج ومخيماتها، وعدد السجناء في هذه المخيمات الخاصة كان بين ٣٠٠٠٠٠ و٣٥٠٠٠٠ مشكلاً من ١٠ إلى ١٢ ٪ من إجمالي السكان في المنطقة، وقد وضع الناس من مناطق متعددة من الدولة تحت الأرض فيما يشبه المفرمة..

في سجن سفيردلوفسك أطلق النار على الوزراء التالين: جان هو نيرسون (٥ مايو ١٩٤٢)، تيودور بول (٢٥ أغسطس ١٩٤٢)، يوهانس فريدريك زيرمان (٢٤ أغسطس ١٩٤٢)، هو جوفيلي كوكي (٣ أغسطس ١٩٤٢)، بالإضافة إلى أعضاء الريجيكوجو: جان كوك (١٠ أبريل ١٩٤٢)، أنطون يويسون (١٣ أبريل ١٩٤٢)، آرثر كاستريالو (٢ يونيو١٩٤٢)، أوسكار لوفي (٢ سبتمبر ١٩٤٢)، كارل جالاكاس (٣ أغسطس ١٩٤٢). وفي ١٣ مارس ١٩٤٢ توفى وزير الدفاع الأستوني الجنرال باول ليل بسبب سكتة قلبية في سجن سفيردلوفسك.

كما نعرف، فإن أسوأ مخيم على الإطلاق هو ذلك الذي كان في سيفورال، ويقع مركزه الرئيسي في مستوطنة سوفسا بمنطقة سفيردلوفسك، ولم يخرج مسئول واحد في الجمهورية الأستونية حياً من هذا المخيم، بالرغم من أنه كان محط أكبر اهتمام، وقد تم إعدام عدد من الوزراء بالرصاص في سوسفا، منهم: لوسكار كاش (١٣ أبريل ١٩٤٢) أغسطس كيريم (٢٨ مايو ١٩٤٢)، بالإضافة إلى أعضاء الريجيكوجو: يوري جاكسون وجاكوب كالي وألكسيس تسانك وأيفالد كونو (جميعهم في ٢٠ أبريل ١٩٤٢) ونيكولاي فيتاك (٢٤ أبريل ١٩٤٢) وأرنست هابيهت (٤ مايو ١٩٤٢) وأغسطس لاور (٨ مايو ١٩٤٢) والمر ليهتميتس (١٧ يونيو ١٩٤٢) ويوهان هاجيفانج (٣٠ أكتوبر ١٩٤٢.)

تسعة مسئولين في الحكومة ماتوا في مخيم سوسفا من بينهم رئيس الوزراء أدوبيرك (٢ فبراير ١٩٤٢) وسبعة وزراء: جان بييساك (١٩ ديسمبر ١٩٤١) ميهكل جوهكام (٢٨ يناير ١٩٤٢) أنطون بالفادري (١٦ فبراير ١٩٤٢) جان كريزا (٨ أغسطس ١٩٤٢) أنطون فيبرف (١٩ أغسطس ١٩٤٢) ألفريد يوليوس موتوس (٤ أكتوبر ١٩٤٢) ليوبولد يوهانسون (٣٠ نوفمبر ١٩٤٢) وعضو الريجيكوجو جورجي أورلوف (١٥ أكتوبر ١٩٤١)، والعديد من هؤلاء ماتوا في نهاية عام ١٩٤١ قبل بداية فوضى الإعدامات في الربيع والصيف التاليين، حيث تم استبدال الموت بطريقة طبيعية فيها بالإعدام.

التالي في الترتيب بعد منطقة سفيردلوفسكي، باعتبار هذه الإستراتيجيات القائمة - هي منطقة الفياتكا (كيروف)، ففي مدينة كيروف نفسها تم اغتيال الآتي أسماؤهم: جوبرنارد راهاماجي وألكسندر أوسيبوف (كما هو مذكور أعلاه)، بالإضافة إلى أعضاء الريجيكوجو: يوهان أويما (١٠ أبريل ١٩٤٢) وألكسندر سار (١ أغسطس ١٩٤٢)، وفي مخيمات فاتيكا مات المسئولون الحكوميون من الحثل والسل وأمراض خطيرة أخرى، وكانت معنويات السجناء مدمَّرة، كما كانوا ضعفاء بسبب الجوع؛ لذلك لم يستطيعوا أن يواجهوا العمل في الغابات: رئيس الوزراء كاريل أغسطس أينبالو (٢٧ يناير ١٩٤٢)، مطران المنيسة الكاثوليكية الرومانية الأستونية إدوارد بروفيتليك (٢٢ فبراير ١٩٤٢) ورئيس الأركان للقوات الأستونية المسلحة الفريق يوهان

تورفاند (١٢ مايو١٩٤٢) والوزراء: كايكل بونج (١١ أكتوبر ١٩٤١)، كارل تيراس (٢٥ ديسمبر ١٩٤٢) كارل أوجست بارس (٢٧ فبراير ١٩٤٢) كارل يوهانس فيرما (١١ نوفمبر ١٩٤٢) كارل إيسبرج (٢٧ يونيو١٩٤٣)، وأعضاء الريجيكوجو جان بودرا (٤ فبراير ١٩٤٢) جواكين بوك (١٤ سبتمبر ١٩٤٢) ويوهانس أوراسما (٢٤ مايو ١٩٤٣)، بالإضافة إلى هيندريك لاوري كما هو مذكور سابقًا، الذي حكم عليه بالإعدام رميًا بالرصاص، بينما كان ميتًا بالفعل.

يرقد أربعة عشر مسئولاً حكوميًا من الجمهورية الأستونية في مقاطعة بيرم (معظمهم في مخيم عمل أوسول الذي يقع في مدينة سوليكامسك)، تم إطلاق النار على الآتي: وزير الحرب القائد العام نيكولاي ريك (٨ مايو ١٩٤٢)، أعضاء الريجيكوجو هندريك أوتستافيل (١١ فبراير ١٩٤٢) ونيجول لاليستي (٢٥ يونيو١٩٤٢)، وأحد عشر من الموظفين الكبار ماتوا هناك (وما زال سبب وفاتهم غير معروف): ريجيفانيم (في بعض السنوات أيضا وزير الخارجية ووزير التعليم) أنتس (أنطونيوس) بيب (١ أكتوبر ١٩٤٢)، وزير الحرب جان سوتس (٦ فبراير ١٩٤٢) وزير الداخلية ريتشارد فيرما (١٩ فبراير ١٩٤٢)، ووزراء آخرون (لن أذكر كل مناصبهم هنا؛ لأنه كان لهم مناصب متعددة على مر السنوات) أرتور توبليس (٢٨ أكتوبر ١٩٤١) ليوسيب (١٣ ديسمبر ١٩٤١) ألكسندر أويناس (٣ مارس ١٩٤٢) ورئيس المحكمة العليا في أستونيا بيتر كان (١٨ يناير ١٩٤٢)، وأعضاء الريجيكوجو يوهانس

بيرينز (٢٥ ديسمبر ١٩٤١) أوجست كوهفر (١٩ أغسطس ١٩٤٢) يارفوتاندري (٣٠ أغسطس ١٩٤٣) والحاكم الإقليمي لفاروكارل بوجاس (٢٥ مايو١٩٥٣).

وبالنسبة لمسئولي الحكومة في السجون ومخيمات العمل بالمناطق الأخرى فقد كانوا قليلي العدد نسبياً.

هنا في منطقة كاراجاندا في قرية دولينسكايا في ١٥ أغسطس ١٩٤٢ مات عضو الريجيكوجو أدوروزبرج، وفي ٢٦ يناير ١٩٤٨ بمدينة كاراجاندا مات عضو الريجيكوجو برنارد بوستفيلد، وسبب الوفاة في كلتا الحالتين غير معروف.

جمهورية كومي السوفيتية الاشتراكية المستقلة، في مدينة سيكتيفكار في ١٦ أغسطس ١٩٤٢ توفى عضو الريجيكوجو إدوارد أرنوفير، وفي ٦ نوفمبر ١٩٤٢ توفى فيلاديمير روبيري، وسبب الوفاة غير معروف.

كرازنويارسك كراي، في مدينة نوريلسك في ٦ أكتوبر ١٩٤٢ قتل الفريق هيربرت بريلي بالرصاص، وفي ١٦ سبتمبر ١٩٤٣ في مدينة كانسك توفى الوزير ألبرت أسور (سبب الوفاة غير معروف).

هنا في منطقة كيميروفو في ٢٨ نوفمبر ١٩٤٣ توفى ألكسندر هيلات (وزير الداخلية، وزير الخارجية، عضو المحكمة العليا، سبب الوفاة غير معروف).

obeikandl.com

منطقة نوفوسيبيرسك في ١ أكتوبر ١٩٤٣ توفى الوزير إدوار ساك (سبب الوفاة غير معروف).

منطقة نيجلي نوفجورود (جوركي) في محطة سكة حديد سوخوبيسفودنايا في سيميونوفسكي كراي قتل عضو الريجيكوجو ألوكارينيل بالرصاص (٢ أبريل ١٩٤٢).

بحلول خريف ١٩٤٢ لم يعد أعضاء البرلمان الأستوني وأعضاء الحكومة من الطبقة الثرية الحاكمة (لم أخترع هذا المصطلح) يسببون أي مشاكل؛ لأن نصفهم قد قتل بالرصاص، والنصف الآخر توفى من تلقاء نفسه.

فقط اثنان من مسئولي الحكومة تم ترحيلهم قبل الحرب وعادا، ولم يكن هناك أي وزراء أو أعضاء في الريجيكوجو.. وهما وزير التعليم باول كوجيرمان، الذي قضى ملة سجنه في مدينة تافدا في منطقة سفيردلوفسك، وأطلق سراحه مبكراً في ٢ مارس ١٩٤٥، وعضو الريجيكوجو كارل يوريسون، الذي تم القبض عليه في ٥ أكتوبر ١٩٤٠، وبعدها بثماني سنوات بالضبط في أكتوبر ١٩٤٨ أطلق سراحه، وقضى بقية ملة عقوبته في مخيم عمل فوركوتا.

تم ترحيل عضوة الريجيكوجو ليندا ماريا أينبالو في ١٤ يونيو ١٩٤١، وأرسلت بشكل أبدي إلى منطقة تومسك في تاينسكي رايون، وقد أطلق سراحها في ٢١ مايو ١٩٥٦ في بارنوو، بينما لم تكن قد قبض عليها فعلياً؛ لذا لا يمكنني أن أعدها أحد الذين أطلق سراحهم. وفي نوفمبر وديسمبر

١٩٤٤ أعلن أعضاء من مفوضية الشعب للشئون الداخلية أن الأشخاص التالين قد بقوا أحياء بعد الحرب، وقد أفرج عنهم من الاعتقال، حيث كانوا أعضاء في الريجيكوجو ويعيشون الآن في أستونيا: إدوارد بيدوسك ومايكل ريمان ووزير التعليم ألكسندر أوجست فيدرما، وقد قبض عليهم فورًا، وأرسل أولهم إلى كاراجاندا والاثنان الآخران إلى مخيم عمل دوبراف في جمهورية موردفا السوفيتية الاشتراكية المستقلة، وأفرج عن ثلاثتهم من المخيمات بعدها بعشرة سنوات تحديدًا.

ليس هناك صورة واضحة لما حدث لثماني مسئولين رفيعين في الجمهورية الأستونية.

قبض على الريجوفانيم (رئيس الوزراء) جان تيمانت في ٢٤ يوليو١٩٤٠، وهو يعني أن تصبح أستونيا بالفعل جمهورية عضوًا في الاتحاد السوفيتي، وقد عاقبته لجنة الغرفة الخاصة في ٢١ فبراير ١٩٤١ بعشر سنوات حرمانًا من الحرية، وليست هناك معلومات متاحة عن المخيمات التي أرسل إليها أو مكان موته، أما الريجيفونيم الثاني جان تونيسون فقد قبض عليه في ١٢ ديسمبر ١٩٤٠، ورُحّل من أستونيا في يونيو ١٩٤١ مع آخرين من المقبوض عليهم، وليست هناك معلومات متاحة عن مصيره فيما بعد ذلك، وكل ما يمكن توقعه أنه مات في الطريق، وتركت جثته في إحدى محطات السكة الحديد، وقد أشيع أنه بعد الحرب تم الاحتفال بعيد مولده في السجن في فورونيج، وقد كان في طريقه لبلوغ

الثمانين في ١٩٤٨، ومن الصعب أن تصدق أن رجلاً عجوزًا كهذا (كان أكبر المسئولين الحكوميين المذكورين سناً) قد خطط للبقاء حياً في نظام السجن تحت ظروف الحرب، وقد حاولت أن أجد أي آثار لتونيسون في فورونيج لكني لم أكن قادراً على ذلك.

قُبِض على وزير الدعاية أنتس أويديرما في ٩ ديسمبر ١٩٤٠، وليس هناك أي تفاصيل أكثر عما حدث له.

قبض على وزير الداخلية أوجست ريت في ١٩ يوليو ١٩٤٠، وفي ٨ مارس ١٩٤١ عاقبته لجنة الغرفة الخاصة بثماني سنوات في مخيم العمل، أما إلى أي مخيم تم اقتياده وما حدث له بعد ذلك فهذا غير معروف، ومن الممكن التوقع أنه بقى مسجوناً في منطقة أرخانجلسك.

قُبِض على وزير المالية أوسكار سورسوت في ٥ سبتمبر ١٩٤٠، وفي ٢٨ مايو من السنة التالية عاقبته لجنة الغرفة الخاصة بثماني سنوات حرمانًا من الحرية، ومن الممكن توقع أنه أرسل إلى ماجادان، لكن لا توجد تفاصيل دقيقة.

قُبِض على الوزير كريستيان كارنا في ١٨ سبتمبر ١٩٤٠، وقررت لجنة الغرفة الخاصة أنه فيما يتعلق بعضويته في حكومة الطبقة الثرية الحاكمة في الجمهورية الأستونية ينبغي أن يعاقب بثماني سنوات، ومن المفترض أن كريستيان كارنا أُرسل إلى أحد مخيمات العمل في أرخانجلسك، لكن لا توجد تفاصيل أكثر. (....)

(نشر بواسطة فلاديمير بول نائب الرئيس السابق في جهاز الاستخبارات الروسية في الجريدة الأستونية اليومية بوستيميس في أكتوبر ١٩٩١).

قصيلة بريخت رقم٦

في أثناء الحلم عندما دخل إلى كوخ الشاعر المنفي الذي يقف بجانب الكوخ، حيث يعيش الأستاذ المنفي (سمع جدالاً وضحكة تأتيان من هناك) - جاء أوفيد لمقابلته في المدخل، وقال بصوت نصف هامس: "الأفضل ألا أجلس حتى الآن.. أنت لست ميتًا، ومن يعرف ما إذا كنت ستعود دون أي شيء قد تغير سواك." لكنٍ - والعزاء في عينيه - اقترب بوتشي يي، وقال مبتسماً: "ذلك الذي تحدث مرة عن الظلم يستحق الدرس الأخلاقي المماثل." وقال صديقه توفو بهدوء: "أنت تفهم، المنفى ليس المكان الذي تنسى فيه غطرستك،" لكن فيلون الفظّ كان أكثر واقعية سائلاً إياه: "كم عدد الأبواب في البيت الذي تعيش فيه؟"، وصعد إلى دانتي، وأمسك بكمه وهو يتمتم: "بيتك الشعري مليء بالأخطاء يا صديقي، فقط رأى أن كل الناس ضدك!" وصرخ فولتير: "هذا لن يساعد،" وقال شكسبير ساخراً: "عندما وصل جاكوب لم يستطع الكتابة بعد ذلك." وصرخ يوريبيدس: "إذا وصل الأمر لمحاكمة احصل على الشر من محامٍ؛ لأنه يعرف الثغرات في شبكة القانون."

كانوا مشتغرقين في الضحك عندما أتت صرخة من الجانب المظلم: "أنتم، هل حدث أن حفظتم قصائدكم غيباً؟ وهذه التي تعرفونها، هل يمكنكم الهرب من عواقبها؟" – "هذه هي القصائد المنسية." قال دانتي بخفة: "لن يتم تدمير أجسادها فقط، لكن أعمالها أيضاً." واندفعوا جميعا في الضحك، ولم يجرؤ أي منهم في النظر لأعلى، بينما امتقع وجه الوافد الجديد.

زهدانوف مخرجًا مسرحيًا

لا الأمبراطورية الرومانية ولا نابليون أثرا يوماً في أستونيا، وحتى منتصف القرن العشرين لم يصل سقف أوروبا المشترك إلى رءوسنا، ومنذ ذاك الحين بدأ تاريخنا المشترك في كل من الأرض الأستونية والبرلمان في تومبيا هيل والبرلمانات في أوروبا.. ففي ١٦ يونيو ١٩٤٠ استقالت الحكومة الفرنسية، وفي اليوم التالي طلب رئيس الحكومة من الألمان هدنة، وفي اليوم نفسه ١٧ يونيو، دعا مفوض الشعب للشئون الأجنبية مولوتوف السفير شولنبرج لزيارته، وهو أرستقراطي ألماني غير مدعٍ، طوله تقريبا متران، ومعجب جداً بالثقافة الروسية.

انضم بالفعل أوينوي لتحالف مضاد لهتلر، وبالتالي شُنق لذلك، وقد حيا الرجل بموجة شديدة من جانب الحكومة السوفيتية للنصر اللامع الذي أحرزته القوات الألمانية.. ومن المقنع – بالرغم من عدم ثبوت ذلك أبداً–

أنه في هذا المساء لم يعرف أي من أطراف الحوار أنه بسبب نجاح البليتزكريج في فرنسا قام القائد العام للقوات الألمانية بإخلاء بولندا من القوات المسلحة مانعاً همسة فيالق..

وكان الجيش الأحمر يستطيع الوصول إلى برلين خلال أسبوعين دون مواجهة أو مقاومة كبيرة، لكن في هذا اليوم كان الجيش الأحمر مشغولاً باحتلال أستونيا وبحلول المساء كان هناك كما يقال ١٣٠ ألف من القوات موجودة هناك..

كانت هذه الأفكار تمر في رأس مفوض الشعب عندما قال للسفير: "حان الوقت الآن لوضع نهاية للمؤامرات التي حاولت بريطانيا وفرنسا من خلالها إثارة الاختلاف وعدم الثقة بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي في دول البلطيق." عندئذ تذكر شولنبرج من البروتوكول السري: "بخصوص التغييرات في الطبيعة الجغرافية والسياسية في دول البلطيق (فنلندا وأستونيا ولاتفيا وليتوانيا،...)" .. وفكر شولنبرج.. يا إلهي! هل أحضر الروس بالفعل ١٣٠٠٠٠ رجل إلى أستونيا؟ وفيم يفكر مولوتوف عندما يتحدث عن مؤامرات بريطانيا وفرنسا؟ أليست التغييرات السياسية تحدث بالفعل فيما يتعلق بتأسيس قواعد عسكرية في دول البلطيق؛ لتجعل هذه الدول في نطاق سلطتها؟ لم يستطع شولنبرج أن يخفي الدهشة في تعابير وجهه.. وكانت مصافحة مولوتوف دافئة وقوية. وأضاف مفوض الشعب: "إلى نهاية الخلاف." كما أرسل مبعوثيه الشخصيين ديكانزوف وفيشنسكي وزهدانوف إلى دول البلطيق الثلاثة، وقد عرف شولنبرج

هذه الثلاثية، ولم يكن لديه أي أسئلة إضافية.

كان زهدانوف يستطيع الاختيار بين نوعين من الاتجاه المرحلي.

كان الارتباك بخصوص عمل جمهورية الشعب في فنلندا ما زال في عقله، فقد قام الشعب العامل في فنلندا بالقتال فعلاً ضد "الحرس الأبيض الفنلندي"، وعلى رأسهم حكومة الشعب الموجودة في تريجوكي، وقد ساعد الجيش الأحمر حكومة الشعب عن طريق اتفاق مساعلة، لكن في المقابل طُرد الاتحاد السوفيتي من عصبة الأمم، وفي هذه الأثناء خطط زهدانوف لتعلم شيء ما.. فعندما ذهب الألمان إلى النرويج في أبريل قام السفير الألماني بنشر النص التالي: "بروح العلاقات الودية بين ألمانيا والنرويج، تعلن الحكومة الألمانية إلى ملك النرويج أنها ليس لها مطالب في السلامة الإقليمية لمملكة النرويج ولا سيادتها، لا الآن ولا في المستقبل."

وقد قاموا بفرض صديقهم عضو الحزب فيدكون كويسلينج على الحكومة، وفي البداية كان كل شيء هادئا في النرويج، لكن في ٢٨ سبتمبر ١٩٣٩ عندما تم فرض القواعد العسكرية في الجمهورية الأستونية وعد الناس أيضا بألا تكون هناك مطالب في سيادة الدولة ولا في شكل حكومتها أو نظامها الاقتصادي.. وهذا الجزء من الاتفاقية مفتوح ومعروف عالمياً، ومنه ينبثق اتجاه جديد، فتصفية الجمهورية الأستونية كان يجب أن يكون اتجاها مرحليا؛ حتى تتمتع

بقدر من الشرعية في الخارج، وتظهر كما لو أنها ناتجة عن عملية برلمانية، ولهذا الغرض تم إيقاف حرية المعلومات، وأصبحت أستونيا معزولة عن العالم الخارجي.

في منتصف يونيو ١٩٤٠، ما زالت لدى دول البلطيق أبواب قليلة مفتوحة على العالم بالخارج، على سبيل المثال عن طريق الحدود المشتركة مع ألمانيا، وما زال ممكناً السفر إلى دول محايدة مثل سويسرا أو البرتغال أو الولايات المتحدة، وفي الاتجاه الآخر عبر البحر ظهر وجود السويد، كما كان هناك رحلات طيران تربط العاصمة مع العالم الخارجي.. وأولا أغلقت هذه النوافذ، فطائرة الركابكاليفا، التي تصل من أستوكهولم توقفت في لاسناماي شرق تالين، ثم اتجهت بالطبع إلى هلسنكي، وبعدها بسبع دقائق أسقطت بالقرب من منارة كيري بواسطة المقاتلات السوفيتية.. حتى قبل صياح الديك اتصل موظف كبير من بالديسكي قائلاً في قلق إن السفن السوفيتية قد أوقفت كل سفن التجار والركاب، التي ترفع العلم الأستوني حتى مراكب الصيد، واقتادتهم إلى بالديسكي.

وفي ١٤ يونيو، في اليوم نفسه الذي احتل فيه الجنرال كوشلر باريس مع الجيش الثامن عشر كان مولوتوف يعطي لوزير الخارجية الليتواني إنذارًا بتسع ساعات بعدها قام الجيش الأحمر باحتلال ليتوانيا، وإغلاق حدودها مع ألمانيا.. كانت دول البلطيق داخل الأمر..

وصل المبعوث الخاص زهدانوف إلى تالين مبكراً في صباح ١٩ يونيو، وبعدها بيومين وصل الجيش الأحمر.. وبأمر من الشرطة بقيت جميع النوافذ على شارع بيك مغلقة؛ حتى يكون هناك دخول آمن إلى السفارة الروسية التي تقع في الجهة المقابلة لمقهى جورج ستودي (المعروف الآن باسم "مایاسموك")، ولم يضيّع المبعوث الخاص لحظة، فبحلول الواحلة كان في زيارة إلى الرئيس قنسطنطين باتز، وفاجأه بخبر أن رئيس الوزراء الجديد سوف يكون طبيبًا وشاعرًا قرويًا من بارنو، وهو يوهانس فاريس باربارويس، وقد حاول الرئيس أن يتهرب من هذا..لكنه كان فعلياً سجينًا في مسكنه بكادريويج، وفي ٢١ يونيو خفف عنه زهدانوف قليلاً بعرض لمركبات مدرعة، وبين المشاهدين وقف مراسل رياضي شاب نحيل: "أنا أشك بشكل ما أن هذه كانت ثورة."

هكذا يقول رالف بارفي منذ نصف قرن، وقد أكد زهدانوف لفاريس أن سيادة أستونيا سوف تحترم، وأنه بمجرد زوال الخطر سوف ينسحب الجيش الأحمر من أستونيا.. وفي يوم الجمعة ٢١ يونيو أعلن عن الحكومة الجديلة في المساء المتأخر، ولم يكن هناك شيوعي واحد فيها، وقد أعطى ذلك الثقة للعامة بشكل كبير، كما كان هناك في ذات الوقت ١٣٠ شيوعياً في أستونيا وربما أكثر لم يستطع الناس إحضارهم من روسيا؛ لأنه في أثناء سنوات إرهاب الدولة قد أطلق النار على هؤلاء الأشخاص أو ماتوا جوعاً، أو اختفوا ببساطة في مخيمات القوات العسكرية.

أكد يوهانس فاريس حقيقة في كل من بيانه وخطاباته، وهي أن السيادة السوفيتية مكفولة، وأنه في الاتفاقية التي وقعت في ٢٨ سبتمبر ١٩٣٩ بين الجمهورية الأستونية والاتحاد السوفيتي قد ذكر أن الجمهورية السوفيتية سوف تدير أمورها الخاصة وفقا للدستور، وأن كل شائعات السوفيتية لا تمت للحقيقة بصلة، وقد طمأن ذلك الشعب، وقبلها ببضعة أيام في الإنذار المقدم في ١٦ يونيو اتهمت أستونيا ولاتفيا وليتوانيا بالتآمر لشن هجمة على الاتحاد السوفيتي، كما أعلنت روسيا في كلمة مبهمة أن عضوًا في عصبة الترويج للحرب بتالين كان مسرح عمله البلطيق!

تم التشديد على إعادة النظر حول أعضاء بمجلس الوزراء كانوا سابقًا "دعاة للحرب": عالم التاريخ هانز روس الذي تم تعيينه مساعدًا لرئيس الوزراء، وعالم الآثار هاري مورا مساعد وزير التعليم، وعالم الاقتصاد يوهان فابل مساعد وزير المالية، ولم يبق فقط في وظيفته السابقة سوى يازيبز فيتولز مديرًا لمعهد الموسيقى في ريجا، وقد بدا كما لو أن هناك - بعد الإنذارين الساخرين - أملاً صغيرًا قد عاد، ذاك الأمل رآه السياسي الأستوني المعارض جان تونيسون في الضوء المؤقت: "التصريح الذي قامت به الحكومة الجديدة يعيد التأكيد وفقًا للظروف الحالية أنه إذا تم تطبيقه تحت العلم الأستوني، أو بمعنى آخر على أساس سيادة أستونية مستقلة... كما كان خطاب الراديو الذي قام به رئيس الوزراء د. فاريس باربا روس في يوم منتصف الصيف، وتوضيحات نائبه هانز كروس في عرض

الصحافة، يمكننا تأكيد أن نشاط الحكومة سوف يتسبب في تأسيس أستونيا مستقلة، مع واجباتها التي تؤدى بشكل دقيق وأمين، كما تم التنبؤ به في الاتفاقية الثنائية بين الاتحاد السوفيتي وأستونيا." ("بايفاليهت" ٢٨-٦-١٩٤٠) وهؤلاء الذين فضلوا الانتحار على التعاون مع قوة أجنبية، مثل عضو البرلمان ستراندمان والمسئولين الرسميين توسل وزوجته وكالاس، بالإضافة إلى ذلك فبعد الحرب أصبح اسم المتعاون مع العدو مرادفًا للتعاون في أستونيا – د. يوهانس فاريس وزوجته.

في يونيو١٩٤٠ بحكم القانون، تم تقنين نظام الاتفاقيات بين الاتحاد السوفيتي وأستونيا، كما هو مخطط في معاهدة تارتو في ١٩٢٠، حتى تنتهي في ٢٨ سبتمبر ١٩٣٩، عندما تم توقيع اتفاقية المساعدة المشتركة في موسكو. تاركين جانبًا العامل الحاسم وفقًا للقانون الدولي؛ حيث إن إنذار ١٩٣٩ قد حدث تحت تهديد الاحتلال من قبل القوات المسلحة، وكذلك حقيقة أنه من النتائج المباشرة لإنذار ١٦ يونيو ١٩٤٠ كان الاحتلال العسكري للجمهورية الأستونية، كما كانت الضمانة الممنوحة من قبل الاتحاد السوفيتي بالسيادة الدستورية المستمرة لأستونيا، بالإضافة إلى عدم التدخل في شئونها الداخلية – ما زالت سارية.. حيث يذكر الفصل الخامس من الاتفاقية: "لن يمس سريان هذه المعاهدة من أي جانب بحق السيادة للأطراف، خاصة فيما يتعلق بالهيكل الاقتصادي ونظام الحكومة." إذًا، أكدت قيادة الاتحاد السوفيتي في ثلاث مناسبات خلال تسعة أشهر على هذه

الحصانة: توقيع المعاهدة في ١٩٣٩ والإنذار في ١٦ يونيو ١٩٤٠، وعندما احتل الجيش الأحمر أستونيا كان الأمر فقط "حتى تؤكد الأمن المتبادل للاتحاد السوفيتي وأستونيا."

وقد قيل إنه انتهى في ١٩ يونيو عندما قام المبعوث الخاص زهدانوف بمحادثات مع الرئيس ويوهانسن فاريس، وفي تلك النقطة استدعى زهدانوف قدرًا من وهم الشرعية التي ثبت أنه قاتل لعدد من الأستونيين المتعاونين مع العدو.

حقيقة أن أستونيا قد تم احتلالها، وأن حكومة فاريس قد ظهرت من السماء أصبحت غير ملحوظة في بقية أوروبا، فقد كانت أوروبا الغربية تهتز من القلب، فباريس قد سقطت تواً، وكان متوقعاً أن يغزو هتلر بريطانيا، لكن الولايات المتحدة كانت تبدأ لتوها في فهم الدرجة الحقيقية للمأساة في أوروبا، ولم يكن لزهدانوف يد حرة كما أراد، حتى يتم تطبيق إرهاب الدولة من الاعتقالات والإبادة الجماعية، فقد طلب المبعوث الخاص ترحيل الشهود غير المناسبين، لكن في أستونيا كان سفراء وصحفيو الأمم الديموقراطية ما زالوا موجودين، وكان يجب إخراجهم بأسرع ما يمكن، وقد قرر المبعوث الخاص تبسيط توجهات المرحلة.

في ٥ يوليو ١٩٤٠ صدر قرار يحمل توقيع باتز وفاريس من أجل تكوين الريجيفوليكوجو (مجلس ممثلي الشعب) والريجينوكوجو (مجلس الشورى)، حتى يكون ساريًا في ١٤

و١٥ يوليو من العام نفسه؛ مما يعني أنه كان بعدها بتسعة أيام.

القانون المنظم لمجلس الشعب حدد مدة خمسة وثلاثين يوماً بين الإعلان والانتخابات، وقد نصت المادة ٩٩ فقرة ٢ من الدستور على أنه: "لا يمكن لرئيس الجمهورية بواسطة قرار... القيام بتغييرات في انتخابات مجلس الشعب ولا تكوين مجلس الشيوخ." وهكذا كانت الانتخابات تحت توجيهات زهدانوف المرحلية ضد الدستور؛ وهي بذلك تعد باطلة وملغاة، ولأنه الكاتب المنفرد للدستور فقد عرف الرئيس ذلك جيداً؛ حيث لم يكن لديه في حجره بمسكنه الرئاسي أي فرصة للتأثير على سير الأحداث السياسية؛ فاختار القتال ضد أوامر القوات المحتلة، مستخدما السلاح الوحيد الذي يملكه: المنطق الدستوري.

من وجهة نظر قانونية لم يكن هناك، في أثناء النصف الأخير من ١٩٤٠ مجلس شعب ولا مجلس شورى منتخب بشكل دستوري، وبرلمان الجمهورية الأستونية الريجيكوجو - كما ينبغي أن نتذكر -كان في هذه الفترة من مجلسين.

في هذه النقطة يمكن وضع علامات الاقتباس حول هذه الرواية، لكن حتى التزييفات تحتوي على بعض من الحقيقة؛ فدعنا نقرأها، فعن طريق التلاعب بالقانون الانتخابي كان لدى المرشحين أربعة أيام لإعادة الانتخاب، ولجان الدائرة كان لها الحق في قبول المرشحين أو رفضهم، كما أن اللجنة الانتخابية بنفسها، التي كان تكوينها أمرًا

من أمور مجلس الشعب - تكونت أساساً من أعضاء في الحزب الشيوعي من حكومة فاريس، وحق المرشحين في الاستئناف في المحكمة العليا كان باطلاً، وكذلك الاقتراع السري المرتبط بالأمر تم التلاعب فيه، بطريقة تسمح فقط لعضو في اللجنة الانتخابية بوضع ورقة الاقتراع في الصندوق، كما أن التسرع غير المعتاد الذي أديرت به الحملة الانتخابية كان المقصود منه التخلص من المرشحين المستقلين؛ حتى يكون هناك في كل دائرة مرشح واحد فقط باق، وقد يكون واحدًا من الكتلة الانتخابية لـ"اتحاد العاملين الأستونيين"، وهذه الكتلة الانتخابية استخدمت التهديد والإرهاب أسلحةً ضد منافسيهم: أي شخص لا يصوت للكتلة كان عدواً للناس! كما كان العديد من اللجان الانتخابية تحت مراقبة الجيش الأحمر، وكان أعضاء الكتلة مسموحاً لهم باستخدام الآلة الدعائية للجيش الأحمر وموارده، وعلى الرغم من الإرهاب والتهميش الساخر استطاع المرشحون المستقلون (ثمانية وسبعون منهم) تسجيل أسمائهم بما يعني تقريباً كل الدوائر الثمانين، وقد كانت هذه مفاجأة غير سارة لزهدانوف؛ مما اضطر رئيس الوزراء فاريس، في أثناء الحملة الانتخابية، إلى إرسال برقية بحظر أكبر في ٩ يوليو: كل المرشحين من خارج "اتحاد العاملين الأستونيين" يجب أن يقدموا كتابياً لبرنامجهم الانتخابية قبل الساعة ١٤:٠٠ من ١٠ يوليو، ومن لا يمتثل لذلك سوف يلغى تسجيله، ولتأكيد الاحتيال تم الحظر على اللجنة الانتخابية من إعلان النتائج، التي بدلاً عن ذلك

كانت تسلم إلى لجان الدوائر، وكانت النتائج بالضبط كما خطط لها المبعوث الخاص: ٩٢.٩ ٪ من الأصوات لكتلة اتحاد العاملين الأستونيين، وهذا التخريف كان معتاداً لدينا الآن لأكثر من خمسين سنة...

دعنا نضيف هنا أنه لم يقم مرشح أستوني يوماً بطلب تعديل للدستور، ولا توضيح أن أستونيا يجب أن تنضم للاتحاد السوفيتي، ولم يطلب يوماً أن تنعقد الغرفة الثانية للبرلمان الريجينوكوجو أو مجلس الشورى، فهذه كلها لم تكن انتخابات قانونية نتج عنها برلمان دستوري قانوني، برلمان تتمتع قراراته بصلاحية تشريعية، لكن في الحقيقة كان هذا بلا معنى، فكل ما تبعه كان المسرح الساخر للمتعاونين مع العدو..

وكانت الغاية هي المهمة، غاية وضعها زهدانوف لنفسه، وهي تؤثر على كل من تبرير السياسة الخارجية السوفيتية والقانون الدولي، وعندما عبر الجيش الأحمر الحدود إلى أستونيا في ٢٨ سبتمبر ١٩٣٩؛ حتى يتم "تأمين" المعاهدة - كان ذلك عذراً للاحتلال، والتدرجُ في القراءة في الجمعية التأسيسية الأستونية للبيان غير القانوني كانت محاولة لتغطية الاحتلال في ١٧ يونيو ١٩٤٠ بغطاء من الإلحاق القانوني، لكن القانون الدولي لم يعترف بالقرارات المتخذة تحت ضغط الإنذار وتحت تهديد القوة، وكونها مستخدمة من جيش أجنبي، وبعد الأحداث الموصوغة هنا ببضعة أيام كتب وكيل وزارة الخارجية الأمريكية سومر

ويليس التالي في يومياته: "عمليات المراوغة التي وفقا لها الاستقلال السياسي والسيادة الإقليمية لجمهوريات البلطيق الثلاثة الصغيرة – أستونيا ولاتفيا وليتوانيا – حيث دمرت من قبل الجيران الأكثر قوة، قد وصلت بسرعة إلى نهايتها." (٢٣-٧-١٩٤٠)

(لينارت ميري في الجريدة اليومية نورتي هال، ١٩٨٩)

قصيدة بريخت رقم٧

هربت من النمور، وشبع مني القمل – لقد كان يتم التهامي بواسطة كائنات متوسطة القدرة.

"Den Tigern entrann ich—/ Die Wanzen nährte ich—/ Aufgefressen wurde ich / Von den Mittelmäßigen."

مقتطفات من التقرير المقدم من قبل قائد أسطول البلطيق في بحرية الجيش الأحمر نائب الأميرال ف.ف. تريبوتس.

صفحة ١٧١. توجيهات 02622ss بتاريخ ٩ يونيو١٩٤٠، حيث أعطيت تعليمات لأسطول البلطيق في بحرية الجيش الأحمر بـ:

١. الاستيلاء على القواعد البحرية لأستونيا ولاتفيا وكل السفن في البحر.

٢. الاستيلاء على البحرية التجارية الأستونية

واللاتفية، وكل السفن الأخرى وقطع روابط البحر بين هذه الدول.

٣. إعداد إسقاط المظليين في بالديسكي وتالين وترتيبه، والاستيلاء على ميناء تالين والمدفعية الواقعة في جزر نيسار وإيجنا، وعمل إعداد للاستيلاء على مدفعية سوروبي من اليابسة.

٤. إغلاق خليج ريجا، والحفاظ على حصار السواحل الأستونية واللاتفية من خليج فنلندا وبحر البلطيق، وعدم السماح لهذه الدول بإخلاء حكوماتهم القومية أو إزالة الأشخاص أو المواد العسكرية.

٥. تنظيم عملية أمن ميدان دائمة وفعالة في خليج فنلندا من اتجاهها، وفي بحر البلطيق من اتجاه السويد والجنوب.

٦. بمساعدة قوى مقاطعة لينينجراد يتم تخطيط هجمة في اتجاه راكفيري.

٧. ينبغي أن تمنع المقاتلات طائرات سلاح الطيران الأستوني واللاتفي من الطيران إلى فنلندا والسويد.

صفحة ١٧٢، المشاركة في العمليات: ١٢٠ قاربًا، بارجة، سفينة حربية، زورقان، زورق حربي، ٧ مدمرات، ٥ قوارب حراسة، ٥ سفن قاعدة، ١٨ سفينة ثقيلة، ١٧ غواصة، ١٠ قوارب طوربيد.

القوة الجوية المنتمية إلى أسطول البلطيق في بحرية الجيش الأحمر تتكون من:

قاعدة سلاح الجو الثامنة – ٧ أسراب طائرات إس بي ودي بي – ٣ قاعدة سلاح الجو العاشرة – ٦٤ ام بي ار – طائرتان اس بي سرب سلاح الجو العاشر – ٦٤ ام بي ار – ٢ اس. سرب سلاح الجو الثالث والسبعون – ٩ ام بي ار ٢ اس، القاعدة الجوية الواحدة والستون كل الطائرات والمعدات من القاعدة البحرية.

صفحة ١٧٣.. الدفاعات الساحلية والقوات الأرضية المضمنة: الوحدات ١١ و١٢ و١٨ من مدفعيات السكة الحديد (...) الدفاعات الساحلية في القواعد البحرية في بالديسكي وليباجا وهانجو.

صفحة ١٧٤.. تم تقسيم مسرح العمليات كالآتي:

١. الساحل الشمالي لخليج فنلندا من بنجيتسكار إلى جزيرة كيري.. قائد القاعدة البحرية هانجو نائب الأميرال س. ف. بيلوسوف.

٢. الساحل الجنوبي لخليج فنلندا من خليج نارفا إلى جزيرة كيري.. النقيب ا.ا. ماتفييف من لواء الغواصات الرابع القسم الثاني.

٣. منطقة جزيرة كيري وسويلا ساوند متضمنة.. القائد في بحرية البلطيق نائب الأميرال س.ج. كوتشيروف.

ottelikanat.com

٤. منطقة بحر البلطيق المركزية قائد القوات الخفيفة نائب الأميرال ف. تلبانوف.

٥. قاعدة ليباجا البحرية.. قائد القاعدة نائب الأميرال ب.أ تراينين.

٦. منطقة الساحل الشمالي للسويد.. قائد لواء الغواصات الثاني النقيب ياكوكين.

٧. خليج فنلندا، المنطقة الغربية.. قائد السرب نائب الأميرال نيسفيتسكي.

صفحة ١٧٦.. في أثناء فترة المفاوضات، وبعد توقيع المعاهدة بين الاتحاد السوفيتي وحكومات أستونيا ولاتفيا وليتوانيا تم القيام بالمهام التالية بواسطة أسطول البلطيق في بحرية الجيش الأحمر.

أ. قطع الروابط البحرية بين هذه الدول.

ب. لواءات الغواصات ١ و٢ و٣ و٤ التنسيق مع القوات المسلحة الخفيفة، وأخذ مواقعها في بحر البلطيق؛ أي في خليجي ريجا وفنلندا؛ حتى تقطع الروابط البحرية وتمنع السفن من إخلاء الناس والبضائع.

جـ. السرب المكون من البارجة أوكتيابر سكايا ريفولوتسيا وفيلق المدمرات الثالث وفيلق الحراسة قامت بالتمركز في غرب جزيرة نيسار؛ حتى يدعم المظليين بضرب دانات المدافع.

د. كتيبة اللواء الواحد والعشرين تبدأ من مدفعية سوروبي إلى شمال كلوجا وتم دعمها من قبل فيلق المدافع الثاني عشر.

هـ. لواء مشاة البحرية الأول يتكون من الكتائب ١ و٣ و٥ و٦ تمركز في سفن سيبير وفتورايا بياتيليتكا والتون وتحرك من كويفيستوالى بالديسكي.

و. تم إغلاق خليج ريجا وحصار خليج فنلندا، ومنع سلاح الجو الأستوني واللاتفي من الطيران إلى فنلندا والسويد.

ز. ترتيب هبوط المظليين وتنفيذ العملية والاستيلاء على تالين وجزر نيسار وإيجنا.

في ١٤ يونيو حققت السفن والقوات التالي:

أ. أخذت مواقع بداية العمليات.

ب. أعدت لهبوط المظليين (مدعومين بسفن النقل والبارجات ودوريات الحراسة وقوارب الطوربيدات) إلى جزر نيسار وايجنا.

جـ. حركت كتيبة المشاة وأحضرتهم إلى مواقع العمليات بواسطة الدنيستر وستروجيفوي وسيلنيي إلى بالديسكي من كرونستادت والمظليون مستعدون للهبوط في تالين.. الهدف: الاستيلاء على الموانئ والسفن البحرية والتجارية ومباني الدفاع.

صفحة ١٧٩ ب.. في أثناء حصارنا قمنا بالاستيلاء على إجمالي اثنتين وخمسين سفينة أجنبية (من لاتفيا وأستونيا وفنلندا والسويد) والعملاء ووحدات المخابرات كانت مستعدة بموقعها في الرابع من يونيو في أثناء الفترة المتوترة وقدمنا معلومات قيمة.

صفحة ٢٥٢.. بسبب مقاومة أسطول التجار قامت السفينة كيروف والزورق الحربي مينسك والمدمرة لينين إضافةً إلى الغواصة س.١ بإطلاق طلقات حية أسفرت عن التوقف التام لسفن النقل.

المصدر: الأرشيف المركزي لجمهورية أستونيا السوفتية الاشتراكية، مقتطفات من: دفعة ار-٩٢، رقم ٢ اس، ملف ٦٧٢، صفحات ١٧١-٢٥٢.. سري للغاية.

قصيدة بريخت رقم ٨

أنت يا من ستنهض من الطوفان الذي غمرنا، فكر – عندما تتحدث عن مرات ضعفنا وعن وقت الظلام الذي ظهروا منه.

لقد ذهبنا نغير بلدنا أكثر من أحذيتنا في الحرب الطائفية وفي اليأس عندما كان هناك فقط الظلم، ولم تكن هناك ثورة وقد عرفنا فقط بشكل جيد جداً: حتى كره الدونية يشوه خصائصنا، حتى الغضب على الظلم يجعل الصوت أكثر غلظة، واحسرتاه، نحن الذين أردنا تأسيس الصداقة لم نستطع أن نصبح أصدقاء.

لكنك عندما وصلت إلى النقطة حيث يستطيع المرء أن يساعد صديقه فكر فينا بتسامح.

obeikandl.com

الفصل السابع

obeikandl.com

obeikandl.com

خطاب إلى ممثلة، فصل ٢

ـ السيدة الفاضلة ماريا افديوشكو ـ

أريد أن أعطيك فكرة عن الحدث كله حيث كان في متناول اليد، وما سوف يحدث في المستقبل، لقد انتقيت اقتباسًا من شخص ما اسمه جون موراي، يعود تاريخه إلى ١٨٣٩: الأشخاص ذوو المزاج العصبي ينبغي ألا يذهبوا إلى فنلندا، وبعدها بوقت قصير في ١٩٠٧ قال سيلفيا بيرجستورم: فنلندا محجوبة عن عيون الرحالة.. حسناً الآن هناك رحالة موجود وهو في طريقه إلى مزرعة هيلا ووليجوكي في ماريبياك.. وبريخت لا يستطيع بأي شكل اتخاذ هيلا زوجة له أو سيدة أو أي كان لكن النساء الثلاث الباقيات هناك مع بريخت في ليلة الشتاء البيضاء هذه.. وهن في فنلندا.. في بعض الأوقات يقول الناس إن الفنلنديين مدمنو الكحول ومهتمون بالسحر، وهي بعد كل شيء دولة شمالية، وليس الجزء الجنوبي فيها كبيرًا جداً، لكنها بلد طويلة ورأسية، وما يحدث هناك يعرف طريقه مع ذلك فلنقل إلى هيلسنكي – على الأقل في محيط العقل.. وقد يكون من الجيد التفكير في فاوست هنا.. فبريخت رغم أي شيء كان ألمانيًا! ومارجريتا تقول شيء ما من نوع هذا

العمل من مثل "بنجرد ارتداء التاج في ثولي / بواسطة ملك تقي"....

"إذا قلت إنك، وربما الكثير من الأشخاص الآخرين، قد أصابكم الحزن بسبب اتجاهي، إذا فيمكنني قول ذلك أيضاً." (اقتباس من رواية ليل الأرواح [١٩٥٣] بقلم كارل ريستيكيفي، حيث كتب الكاتب في منتصف الكتاب خطابًا إلى السيدة إجيناس روهوما وفي حالتي اخترتك كرهوما الخاصة بي)، لذلك الآن قمت بتوضيح الطبيعة الرسمية للخطاب.

إنهم في مارليباك وما زلنا في الصيف والحرب ما زالت جارية، بالرغم أن الحرب النهائية، الحرب التي تنهي كل الحروب – لم تبدأ بعد.

بالنسبة لمزرعة هيلا في مارليباك يجب أن أخبركم بكل الحقيقة أني لم أذهب إلى هناك يوماً ليس؛ لأنها بالخصوص بعيدة عن هيلسنكي، فهناك محطة سكة حديد في كاوسالا ومارليباك تبعد حوالي ١٦ كم إلى الشمال.

لقد لاحت لي الفرصة مرة في الذهاب، لكني لم أكن مهتمًا جداً في ذلك الوقت والقليل فقط بقى كما كان في تلك الأيام.

بالنسبة إليك يا من أنت ممثلة محبوبة بشكلٍ خاص في عيني، التي شاركتني أوقاتًا جيدة وسيئة مهنياً على مر السنوات، لدي هذا الاعتراف لأقدمه: لقد تمنيت أن أنهي

هذه الرواية بشكل مختلف إلى حد ما، وقد قمت الآن بكتابة ما هو بالنسبة لي عمل طويل، فنصف إقامة بريخت المؤقتة في فنلندا ما زالت قادمة، ويا له من وقت مليء بالأحداث! فالتاريخ يلعب ألعابه وبريخت يكتب مسرحياته مع خصام وتشابك النساء معًا، لقد أصبحت أستونيا أو تم جعلها جزءًا من الاتحاد السوفيتي.. وتم وضع أهمية كبيرة لمسرحية بريخت بونتيلا وعبده ماتي، وقد كتب النص بناء على مسرحية لهيلا لكن لأن هذه المسرحية قد أعيد عرضها حديثاً في أستونيا بواسطة كاتري كاسيك أسلاف، ولست بصدد الدخول في تفاصيل عظيمة هنا؛ بل مكان المسرحية على خشبة المسرح، أليس كذلك؟ دع المحللين يحللونها عندما يتم عرضها.

في الحقيقة هناك موضوع آخر أريد أن أوضحه، وأكتب عنه في الحقيقة، وهو كيف تعاون بريخت وهيلا، والأمر لا يتعلق بمسرحية.. إنها ملحنة كتبتها هيلا اسمها "أغنية الحرب" وقام بريخت بترجمتها (مع امرأته) إلى الألمانية، لكن هناك شيء يثيرني في هذا العمل كله ويكشف شيئاً ما كان خفياً (ربما عرضت أن الخير يعرف ما يحدث هنا بالفعل ومعظمها بتصريح الكاتب وتلاوة مصادري بشكل دقيق نسبياً بالرغم من أن معظم الكتاب ميتون حتى التاريخ نفسه ميت في بعض الأوقات) يمكن قول هذا كثيراً عن أغنية الحرب، ففي رأي بريخت كانت واحدة من أكثر القصائد دعوة للسلام في العالم وقد قال عنها بريخت: "إنها عمل عظيم" وقد شرعوا في ترجمتها وهي الآن منشورة في

كلا من هلسينكي وتالين (عبر نص مقارن في كلتا الحالتين).

كتبت هيلا بعد ذلك عن أغنية الحرب التي ترجمها بريخت وجريتي:

"[الأمة الأستونية] لديها أغانيها الخاصة من فترة العشرين سنة من الاستقلال، التي قد تم أحضرت قربانًا عندما أصبحت جزءًا من الاتحاد السوفيتي."

تذكر نيورويتر أن "قربانًا" تتضمن معنى مهر.

وضحت ووليجوكي في هذا العمل أحد الموضوعات المهمة في الشعر الشعبي الأستوني:

"ابتهج يا أخي / إذا ذهبت للحرب / أو إذا ذهبت للهجوم على عدو/ هذا ما سأعلمك إياه: / لا تذهب إلى الحرب في الطليعة / ولا تذهب في المؤخرة - / في الطليعة النار بلون الدماء وفي المؤخرة الدخان أزرق / ابق في المنتصف عند الذهاب إلى الحرب / بالقرب من الراية ذات الألوان / فهؤلاء في الطليعة سوف يموتون/ وهؤلاء في المؤخرة سوف يسقطون، أما من في المنتصف فسوف يعودون إلى الوطن آمنين."

ما يتم التعبير عنه هنا بهذه الطريقة الشديدة الحساسية هو شيء ما لا يزال الأستونيون يمتلكونه، وقد قام بريخت أيضا بترجمة هذه السطور عندما كان ينهي عمله "دائرة الطابشير القوقازية" في ١٩٤٤ وهي مسرحية عن جورجيا

obeikandl.com

إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي – وبالرغم من ذكر الكولخوزات في المقدمة فإن المسرحية لم تعد أبداً في خط التاريخ – ويضيف بريخت هذا الجزء كأغنية شعبية جورجية واضعاً إياها في فم جروشي

(*... halt dich in des Krieges Mitten / halt dich an den Fahnenträger. / Die ersten sterben immer / die letzten werden auch getroffen / die in der Mitten kommen nach Hause*).

يحدث الموضوع نفسه في ملحمتنا القومية الكاليفيبويج، فقد قال أوسكار لوريتس إنك لا تستطيع قهر أي أحد إذا كان لديك اتجاه العقل هذا، ونحن لم نقهر أي أحد أيضا، لكن البروفيسور فليكس أويناس قد أشار إلى أنه بالرغم من أنه وجد هذا الدافع في النصوص الأوكرانية فإنه لا يصير ملاءماً حين يوضع في فم جبلي قوقازي، وقد قيل في البداية إن هيلا قد كانت منزعجة جداً من السرقة، لكنها استطاعت مسامحة بريخت، لكن المعركة العظمى لم تبدأ بعد: في ١٩٤٨ نسى بريخت أن هيلا أحد مؤلفي البونتيلا (لكن عندما وصلت هيلا إلى برلين في ١٩٤٩ أحبت فعلاً عرض المسرحية وقد تراضيا وتلقت هيلا نصيبها من الأرباح.)

سوف ألمس هنا باختصار التطابقات وهي شيء من الخصائص الأساسية للشعر الشعبي الأستوني.

من النظرة الأولى لا يبدو هناك تفسير واضح لسبب حدوثهم، يعطيك ذلك انطباع أن الشعراء قاموا بصياغة أول شيء يأتي على بالهم.

في إحدى مقالاته أعطى جان كابلينسكي مثال:

“Võttis puusta naista teha ،
tammepuusta tahuda،
haavapuusta Annekesta،
maarjapuusta Marikesta،
kasepuusta Kaiekesta.”

بما يعني

أردت عمل امرأة من خشب مقطوع من شجرة بلوط، وقد تكون من خشب الحور أن شل ومن خشب الزان ماري شل ومن خشب البتولا كايي شل.

لقد اخترت هذا المثال لأن اسمك يظهر فيه وكذلك اسم زوجة أبيك الراعي الثانية وهي الممثلة كايي ميهكلسون لكن هناك سؤال مهم يجب سؤاله هنا: هل الرجل الذي نحتك من الخشب (كايي ميهكلسون وعلى سبيل المثال رفيقتك ممثلة مسرح المدينة آني ريمان) هل قام ذلك الرجل بعمل النساء الثلاث في الوقت نفسه وماذا فعل بهن بعد ذلك؟ كما سوف تفهم. أنا أشير هنا إلى نساء بريخت الثلاثة كما هو مذكور في روايته، التي لم تكن كما أعتقد عن بريخت أو هيلا أو نسائه الثلاث على الإطلاق، ولا

عن الثلاث أخوات الطبيعيات أو الغريبات، ولا عن ناسجي القدر الثلاثة ولا عنك أو أي ممثلة أخرى قد لعبت دوراً في أداء القتلة ونوربرت (مشتقة من عمل أبسن نورا في بيت الدمية).

لكن هذه الأوهام تقول القليل لأي شخصٍ باستثناء أنفسنا؛ لأنه من يحضر المسرحيات الأستونية كثيراً على أي حال؟ دعنا نعود إلى التطابقات في الشعر الشعبي.. وبعد نموذج كابلينسكي أود هنا أن أتحدث عن جبر بوليان، فكل شيء يرافق شيئًا آخر، وإذا ذكرت كلمة "توت" فقد تعني شجرة عنب الثعلب أو التوت الأزرق أو الفراولة أو أي نوع من أنواع التوت.. فنحن لا نفكر في التوت؛ لأنه بكل بساطة مجرد توت (الكلمة الأستونية للتوت – ماري – وهذا مرجع آخر لك) لكن الشعر الشعبي لا يذكر فقط كلمة توت مرة لكنه يذكر العديد من الأنواع المختلفة وهو لن يذكر فقط أن حيوان يقترب لكنه سيبدأ في وصف كل أنواع المخلوقات ودائما الأكثر أمناً أن تقول ماذا يأتي باتجاهك، والأمر بالتأكيد مختلف إذا كان أسدًا أو دودة أرض لكن الأمر يختلف عندما نبدأ في كتابة الشعر (وسوف أحاول هنا كتابة قصيدة في شكل شعر شعبي أوجري فنلندي).

أتي أسد باتجاهي، وقد أسبح أرنب الغابة خائفاً والدودة – التي هاجمها السنونو– تم ابتلاعها.

أشار كابلينسكي إلى أن التطابق يحسن الواقعية اليومية للقصيدة وفي الحقيقة في عرض كهذا للعالم – هذا رأيي الشخصي الآن – يكون كل شيء متماثلا، وكل شيء مختلفا وقابلا للمقارنة بالنسبة لأشياء مختلفة، حتى الكائنات البشرية.. هذه فكرة بوذية إلى حد ما بالرغم أني كما أعتقد لست خبيراً عظيماً في مجال البوذية، وقد قام كابلينسكي بتسمية التطابقات في النوع الريجيفارس الأوجري الفنلندي من الشعر بالطباق، وهذا لا يمكن مع ذلك أن يترجم في لغات "ذات توجه غربي أكبر"؛ لأن الطباق طبيعي في النوع الأسطوري من التفكير.

بريخت متأثر بالقصائد التي تحتوي على توازيات متناقضة (يرتفع الدخان الذهبي من المطبخ/ ومن الفناء دخان فضي/ ومن المدخنة دخان رمادي) وهنا نرى لحظة جدلية في تفكير بريخت كما يضيف بعض الانتشار إلى التصوير. المغني لا يخرج كل شيء كما هو بالضبط، هو ببساطة إشارة إلى خيال وذاكرة، بإضافة البعد الأسطوري، تبدو وكأنها تخاطب كل مستمع بشكل فردي لتصنع التصوير كله أوضح بالنظر إلى الهدف من زوايا متعددة في الوقت نفسه، وهذا يحتوي على تأثير اغتراب.

ماريا، أنت تفهمين ما أرمي اليه..

لقد باشرت هذه الموضوعات من قبل – حتى إذا كانت فقط كموضوعات عابرة، لكن بالنسبة لبريخت كان هذا النوع من الازدواجية أو القطبية موجوداً وقد يتم التعبير

عنه بالنقائض كالعقل ضد الغريزة والحفاظ على النفس الإلهي ضد تدمير النفس الرومانسي وحالات الواقع ضد الأخلاق والواقع ضد العاطفة والوكالة ضد النتيجة والغباء ضد التلقائية.

ونحن الأستونيين ربما لا نريد أن نحصل على أي من أقطاب المعضلة لكني لا أعرف، فهل أنا أستوني وبأي حق اتحدث عنهم؟

هناك تفسيرات أخرى فاوكوماسينج يشير إلى حقيقة أنه لا زمن مستقبل للفعل في اللغة الأستونية: "حيث إننا ليس لنا مستقبل فليس لدينا وقت، لنتحدث بشكل فلسفي، لأي من الوقت الذي يتحرك أو الحاجة للهجوم؛ لأن المستقبل وحركة الأشياء في تقارب شديد، ونحن نفترض مسبقاً أن المستقبل هو الحاضر، ولأننا نفعل ذلك فنحن نعيش في حاضر مستمر (....)".

من المحتمل إلى حد ما أن الشعر الشعبي الأستوني القديم قد تم تمثيله في شكل أسطوري وليس تاريخيًا، وكل شيء يحدث في الوقت نفسه، ويتكرر لا يتطور في أي اتجاه بالشكل الذي قد يفعله سهم، وفي أغاني الريجيلاول ليست هناك كلمة مستخدمة لوصف الأحداث التاريخية وكل شيء يميل إلى الحدوث بشكل عفوي:

“Läksin metsa kõndimaie / pühapäeva / ، / äripäeva õhtaalla،hommikulla laupäeva lõuneella.”

(لقد ذهبت لأمشي في الغابات/ في صباح الأحد / ومساء أيام العمل / وبعد ظهر أيام السبت).

الناس لا يمشون معاً طوال الوقت أنهم فقط يمشون لفترة.

لقد نظر بريخت، الذي ترقد جثته مع هيجل في القبر نفسه – إلى العالم بشكل مختلف كشيء ما يتطور.

على سبيل المثال لقد استمتع بريخت بأفكار جدلية.
زوج من الاقتباسات العشوائية:

"دون ديكتاتورية (دون اضطهاد الريفيين الذين لا يدعمون الصناعة) لا يمكنك خلق وضع تكون فيه الديكتاتورية غير ضرورية" أو: "ليس هناك حرية في الوقت الراهن في روسيا لكن فقط تحرير" أو: "الشيء في حد ذاته غير ملائم بشكل لا يقاس." أو أكثر عن الديكتاتورية: "يجب عليك دعم الديكتاتوريات التي تمزق جذورها بنفسها." أو، الفكرة التي انبثقت من مكان ما أن "السببية (تفاعل السبب والتأثير) يجب فقط أن يتم الاعتراف بها حيث يمكن اكتشافها." وكذلك (وفقاً لأوكوماسينج): "الى هؤلاء الذين تم إفساد مشاعرهم بواسطة الأنظمة الأوروبية في التفكير والشعور، يبدو شعبنا ممل ونائم والناس الذين تتكون أرواحهم من همهمة الملل المحددة بواسطة حدود الجسم.. ماذا قد يكون في ذلك مشترك مع شخص تسعى روحه دائماً للهرب من

الجسد، لا أن تتشتت مثل الضباب أوالدخان لكن أن تحاول إيجاد الطريق المباشر للخلود؟"

في الواقع هذا كله اكتئاب أو حنين، فالاكتئاب يجب أن يكون سمة رجولية (وفقاً لسيبوكنوتيلا فإن رجال الدين والأساتذة والمدرسين يكونون مكتئبين؛ لأنهم يعرفون كل شيء ويشعرون بالكآبة لفقدان كل شيء وكآبتهم موجهة أكثر في الزمن عن المكان.)

تحياتي

مـــــاتـــــي

obeikandl.com